

محمَّد صَادق

#انستا_حَياة

Insta_hayah

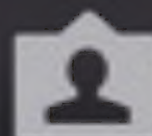
193 Likes

باقي من الزمن.. عشرة أيام.. #حسين_عارف

Like Comment







#إنستا_حياة

رواية

محمد صادق

الرواق للنشر والتوزيع

إهداء

إلى يوم سيأتي.. شئتُ أم أبيت..
في انتظارك.. :)

إما أن أصل لنهاية الطريق، أو لنهايتي أنا..
لا فارق..

الشاطئ

٩:٠٠ مساءً

نهاية

"Formidable"

تساقطت قطرات المطر على وجهه بعنف.. فابتسم ابتسامة صافية..

رغم هدير البحر العاصف، والهواء الغاضب الذي يضرب كل شيء بلا رحمة.. مازال يستلقي على رمال الشاطئ، متأملًا السماء التي قررت ـ في هذا اليوم بالذات ـ أن تهبه مناخًا قاسيًا..

لكنه لا يعبأ على الإطلاق..

ولماذا يهتم بأي شيء من الأساس؟

نائمًا على رمال الشاطئ.. نظر لساعته في هدوء.. ثم شردت عيناه في ظلام الكون حوله..

باقٍ من الزمن ثلاث ساعات..

بأي منطق تكون آخر ساعات تقضيها في تلك الحياة البائسة بهذا الملل؟!

منذ فترة رسمت في خيالك سيناريوهات كثيرة، وسألتَ نفسك مرارًا وتكرارًا سؤالاً واحدًا: كيف ستقضي آخر يوم في عمرك؟

هل ستقوم بكل ما مُنعت منه طوال سنوات عمرك التي زادت عن الثلاثين؟ هل ستتناول طعامًا فخمًا مثلاً؟ هل ستذهب لأي فتاة وتخبرها أنها آخر ليلة فلماذا لا تقضيانها في نشوة ممارسة الحب الساحرة؟ سألت نفسك كل الأسئلة ووضعت كل الاحتمالات.. إلا أن تظلّ طوال اليوم مستلقٍ على رمال الشاطئ.. تنظر لسماء ممطرة.. تسمع موسيقى في أذنيك لأغنية فرنسية تعشقها..

وتبتسم في صفاء للمطر..

وتصمت..

Tu étais formidable,

j'étais fort minable

Nous étions formidables

برودة قطرات المطر وقسوتها، جعلت كل شيء فيه مبتل لدرجة لا تطاق، التصق الرمل بقدميه وذراعيه وهو يكره ذلك، خصوصًا وقد صارت تلك الرمال كائنًا مهجنًا نتيجة لتزاوج غير شرعي بينها وبين المطر، لكنه لم يهتم هذه المرة بالتحديد..

فاليوم.. هو آخر يوم يشعر فيه بأي إحساس يستفزه إلى ما لا نهاية..

ما أنقى الخلود..

وما أتفه البقاء..

اليوم هو النهاية..

تبقت ثلاث ساعات حتى يحتفل العالم بسنة جديدة بلهاء.. يحتفلون بعام جديد يمارسون فيه كل ما هو معتاد.. يقضون حتفهم ويتبادلون العزاء المفتعل.. سنة جديدة يكررون فيها نفس الأخطاء، ويبحثون كالمدمنين عن مواساة بائسة من شخص أكثر بؤسًا يريد أن يرتكب أخطاءً جديدة.

هيا بنا نجتمع من أجل فرحة بلا طعم.. نأمل في أن يتحسن كل شيء دون أن نحاول ولو للحظة أن نتعب قليلًا ونحسّن من أنفسنا أولًا..

عام ٢٠١٥.. هيا نحتفل بمزيد من العبث..

Formidable,

foooooooooooooooooormidable

Tu étais formidable,

j'étais fort minable

فتح عينيه ونظر جواره، لتعلو شفتيه ابتسامة بلا معنى وهو يرى ذلك الجسد لأنثى جالسة بجانبه على الرمل، ترمق البحر الهائج في شرود تام.. كأنما انفصلت عن كل ما حولها..

حرك شفتيه ليناديها ثم تذكّر أنه لا يذكر اسمها!

مسكينة..

تجلس برقة على الأرض.. تضم ركبتيها إلى صدرها بيديها وتتأمل البحر في سكون غريب.. لا تعبأ مثله بالمطر والجو البارد.. يتطاير شعرها بعشوائية وعنف رغم ابتلاله، والتصقت ملابسها بجسدها في مشهد خُلق الرجال ليعشقوه..

قال بصوت عال كي تسمعه:

- لماذا لا تستلقين مثلي على الرمال؟

يحب دائمًا أن ينام فاردًا ذراعيه وقدميه لآخرهما بوضع معروف باسم "ملاك الثلج".. الوضع الذي يمارسه الأطفال على الثلج حين يحركون أذرعهم وأقدامهم ليكوّنوا شكل ملاك على الأرض..

يشعر براحة أن الأرض تحتضنه عندما ينام بهذا الشكل.. لم ترد عليه كما هو متوقّع.. منذ أن جاءت في الصباح وهي صامتة تمامًا ولا تريد أن تنطق.. لا يدري لماذا فعلت ما فعلت.. لا يدري لماذا جاءته..

لكنه يُقدّر صمتها..

فالموت مخيف لمن لا يعرف متعته..

ما أتفه البقاء..

وما أروع الخلود..

ابتسم وهو يغمض عينيه ثانية مستمتعًا بالمطر والأغنية الفرنسية التي يعشقها، ربما لأن معنى كلماتها يلمس وترًا ما داخله..

"كل شيء رائع..

لقد كنتِ أنتِ رائعة..

وكنت أنا مثيرًا للشفقة..

لكننا كنا رائعين..!"

* * *

(أ)

"Formidable"

يا للملل!

لم تمضِ سوى سبع دقائق فقط..

شاركه المطر ملله فلم يعد يهطل بعنف، تحوّل لقطرات رقيقة ناعمة.. ربما ملّ من محاولة غسل أرضٍ قد تقوم القيامة دون أن تزول قاذوراتها البشرية.. حرّك يديه وقدميه في نومته ليرسم ملاكًا كالأطفال.. ثم نهض فجأة في حماس لينظر له، قال في سرّه "لا بأس".. ملاك سيء المنظر، لكنه نجح على الأقل في جذب انتباه الفتاة التي التفتت له عندما نهض بهذا الحماس، ثم نظرت للشكل على الرمل في شرود.. قال لها ببسمة:

- ما رأيك؟ من إبداعي..

التفتت ثانية للبحر ولم ترد، فهزّ كتفيه في لامبالاة، وجلس على الرمل ثانية.. فتح جهازه المحمول الذي ابتاعه ضد الماء خصيصًا كي يجلس في هذا الجو العاصف يسمع ويرى ما يريد، اعتدل في جلسته

متربعًا بجوار الفتاة التي لا يذكر اسمها، وفتح موقع الـ(Facebook) ليرى ما في صفحة الـ(Fanpage)..

صفحة "إنستا_حياة"..

قلّب في الهاتف قليلًا، ينظر لجميع التعليقات ويبتسم في سخرية.. تعليقات هنا وهناك وشجار عنيف يدور بين مؤيد ومعارض وكاره ومحب.. يتشاجرون حول أنه لم تتبقَ إلا ثلاث ساعات ولم يسمعوا شيئًا عنه أو منه. هناك من يدّعي أنه جبان يريد شهرة مجانية لكنه لن يجرؤ على فعل شيء في النهاية.. هناك من يسبّ سبابًا صريحًا ويتهمه بالكفر. كلّهم يتناقشون ويتناحرون والنتيجة تتلخص في شيء واحد..

أنهم ينتظرون خبر انتحاره!

تركوا الاحتفالات بالسنة الجديدة، تركوا كل شيء في حياتهم وتحوّلوا لكائنات تتلوّن باللون الأزرق والأبيض، يتحدّثون بفم مربع وهم يد واحدة ترفع إبهامها في إعجاب أبله..

الجميع يعشقون المأساة..

حقيقة سينكرونها لكنه لا يصدّقهم بطبيعة الحال..

كلّهم يدّعون البهجة، يدّعون الفرح، سيتظاهرون بأي شيء ممكن إلا أنهم يعشقون المأساة حتى النخاع.. دائمًا ما يبحثون عن المصائب والفضائح في شبق عجيب..

تذكّر ما قرأه يومًا في كتاب أمريكي للكاتب (جورج هوي

كولت)، اسمه (نوفمبر الأرواح).. عندما هدّد أحد الأشخاص بالانتحار، وقف الناس جميعًا حوله فترة طويلة، ثم بطبيعة الحال ملّوا الانتظار.. وتحوّل الأمر من التعاطف إلى الملل، وأصبح لسان حالهم "إما أن تنقذوه ونذهب لعملنا، أو يلقي بنفسه ونحزن قليلًا ثم نذهب لعملنا أيضًا.. المهم ألا يطول الأمر"..

هم يفعلون المثل الآن على صفحته الحبيبة..

فجأة هطلت الأمطار بقوة ثانية، فنظر لها في اعتراض.. منذ فترة طويلة لم يستمتع بردود أفعاله التلقائية بتلك الطريقة.. منذ فترة طويلة نسي كيف يكون تلقائيًا من الأساس.. هل لأنه يعلم أن كل شيء سينتهي في سويعات قليلة؟ لا يدري.. لكنه يرغب بشدّة في أن يشعر بكل شيء ويفعل كل شيء في موجة حماس مباغتة.. الحالة التي يطلقون عليها "تهييس" ولا يعرف لها معنى آخر.. يريد أن يخرج قليلًا من حدود ما تبقّى من قضبان روحه الهالكة.. يريد أن يشعر بشيء ما..

أي شيء..

قاطع أفكاره نهوض الفتاة فجأة، وذهابها ناحية البحر البعيد نسبيًا، تابعها بنظره في فضول قلّما ينتابه، خطواتها الهادئة وقدماها اللتان تغرزان في الرمال فتلتصق بهما، ملابسها المبتلة وشعرها وملامحها الرائعة، تابعها بصمت كمن يشاهد لوحة رائعة الجمال.. حتى وقفت على منطقة مستوية قليلًا من الرمال المبتلة..

انحنت في هدوء لتلتقط صدفة ألقاها البحر في إهمال.. وبدأت تمرر يدها على الرمال في تركيز..

كانت ترسم شيئًا ما..

نهض متجهًا ناحيتها وهو يتجاهل برودة الهواء التي تضرب جسده المبتل.. وقف جانبها ولم يستطع منع نفسه من أن يسألها في صوت هادئ:

- ماذا تفعلين؟

لم ترد عليه فشعر بحماقة السؤال.. بدأ يضيق بصمتها، الخطة في الأصل كانت أنه سيقوم بكل شيء وحده تمامًا.. حتى أتت إليه لتقنعه بأن تأتي معه.. شعر أنها أخذت جزءًا من تركيزه أفسد عليه تأملاته.. بل ربما يفسد عليه الحالة التي لم يفكّر في سواها منذ ثلاثة أشهر كاملة..

كيف تكون بتلك السخافة؟

كيف تُفسد عليه آخر ساعات عمره؟

ألا يستطيع أحد الانتحار بسلام في هذه الأيام؟!

تركها وعاد لمكانه المفضل جانب فراشته الرملية.. نام على الرمال وهو يسمع أغنيته المفضلة..

"Formidable"

Tu étais formidable,

j'étais fort minable

مضت ربع ساعة كاملة..

لم يتبق إلا القليل..



(٢)

هدأت الدنيا تمامًا وتوقفت الأغنية الفرنسية فجأة..

عاد صوت البحر لسحره المعتاد.. أيام مراهقته كان يملأ زجاجة مياه لنصفها، ويضع أذنيه عليها ويحرّكها ببطء.. ذلك الصوت الربّاني الساحر.. الذي يضع كل المشاعر السلبية في ركن بعيد مدفون في قلبك.. فلا يشعر بها..

ابتسم من الصوت الهادئ الجميل بعد أكثر من يوم كامل وسط برودة مستمرة وبحر غاضب بلا سبب..

"أنا أعرف.."

قالتها، ففتح عينيه لينظر لها لحظات صامتًا.. متى عادت من مكانها قرب البحر؟ لم يسمع صوتها وهي قادمة. لم يعبأ كثيرًا وأعاد رأسه ليرمق النجوم الساحرة في هذا الوقت من الليل. أخيرًا نطقت الفتاة بعد صمت طال اليوم كلّه تقريبًا. ساوره فضول لحظي ليعرف ماذا رسمت على الرمال لكنه سرعان ما اختفى وسط بحر لامبالاته المعتادة. سأل وقد أثارت جملتها ربع اهتمامه:

- تعرفين ماذا؟

أجابت بهدوء وسكون غريب:

- أعرف لماذا فعلت كل هذا..

يكره من يحاول أن يجعله يُفكّر..

لقد كفّ عن التفكير لأول مرة منذ أعوام لا يتذكّرها..

فلتعرف ما تعرف، لماذا تؤثّر على سلامه النفسي بحديثها في أمور لا تهم؟ وكيف تستطيع أن تفسده مرّة بصمتها ومرّة بكلامها الذي لا طائل منه سوى تذكيره بما يحاول أن يتناساه طوال هذا الوقت؟ لماذا تهتم من الأساس بأسباب أي شيء يفعله؟ فلتعش آخر لحظاتها في هدوء بعيدًا عنه.. شعر فجأة أن صمتها طوال اليوم هو ما كان يحتاجه حقًا، لماذا تمنّى أن تتكلم من الأساس؟

الفضول اللعين..

صمته جعلها تكمل كلامها، أو ربما كانت ستكمله أيًا كان ردّ فعله:

- منذ البداية وأنا أسأل نفسي سؤالًا واحدًا. لماذا يقرر شخص عاقل أن يتحدّى كل من يعرفه وينشئ صفحة يبحث فيها عن عشرة أسباب للحياة؟ ويتحدّى الجميع أنه إن لم يجدها، سينهي حياته منتحرًا!

رمقها وهو يرفع حاجبه الأيسر وتعلو على شفتيه ابتسامة ساخرة، فأكملت دون أن تنظر له:

- (حسين عارف).. أشهر منتحر في مصر.

رفع سبابته قائلًا في سخرية:

- لم أنتحر بعد.

هزّت كتفيها وقالت وهي تنظر له لأول مرة:

- بعد ساعتين ونصف ستفعل..

ثم استدركت كأنها تُذكّر نفسها:

- بعد ساعتين ونصف "سنفعل"!

هزّ رأسه في بطء وقال:

- مازلت عند رهاني.. عندما تدق ساعة الصفر ستتراجعين..

ثم أكمل باسمًا:

- المنتحر الحق يكون قد مات منذ فترة طويلة قبل قراره بالانتحار الجسدي الفعلي. وأنتِ روحكِ مازالت ـ رغم جروحها ـ تنبض.

وعادت عيناه للتوجّه ناحية النجوم.. يتميز الساحل الشمالي أن نجومه مختلفة عن بقية النجوم. يعلم تمامًا أن إحساسه هذا غير منطقي، لكنه عندما ينظر للنجوم في هذا الشاطئ الخاص تحديدًا يشعر براحة تغمر كيانه.. رغم الأمطار والهواء البارد والأضواء البسيطة التي تحيط أسوار الشاطئ الخاص بفيلته؛ يرى النجوم كألف شمس ساطعة.

قال دون تركيز حقيقي وبصراحة لأنه ملّ محاولة تذكّر الاسم:

- ما اسمك لأني لا أستطيع تذكّره؟

ابتسمت في هدوء وهي تستلقي جواره على الأرض لأول مرة منذ أن التقيا صباحًا. كان ينام بالطول، فقردت جسدها بطريقة تجعلها عمودية عليه، وقالت وهي تنظر للنجوم مثله:

- اسمي (لمى)..

لهذا لا يتذكر الاسم، لأنه غريب، تشعر معه أنه (لميس) لكن هناك شخصًا كسولًا يرفض أن يكمله. قالت بطريقة تقريرية كأنها تُجيب سؤالًا طُرح عليها آلاف المرات:

- معناه السواد في باطن الشفة..

اقتراب رأسها من رأسه واستلقاؤها هكذا جعله يشعر أنها تخترق مساحة نفسية خاصة به.. يريدها أن تبتعد قليلًا.. لام نفسه على طيبة قلبه التي جعلته يقتنع بوجودها في هذه اللحظات الخاصة جدًا به.. كيف عثرت عليه؟ وكيف تملك روحًا مثقلة لهذه الدرجة؟ تذكّر ما فعلوه من أجل إقناعه بمقابلتهم وهزّ رأسه مبتسمًا في عدم تصديق..

كان ذلك منذ يومين فقط..

رغم أنهما يومان فقط، إلا أنه يشعر أنهما كانا منذ زمن بعيد..

فلا يوجد أطول من الأيام التي تنتظر فيها فناءك على أحرّ من الجمر..

* * *

في غرفة فندق خمس نجوم يطلّ على النيل مباشرة، كان يُدخّن سيجارته في استمتاع حقيقي..

قليلون هم من يُدخّنون حبًا في السيجارة، كثيرون يشربونها للتنفيس عن شيء ما أو للظهور في شكل الشخص العميق الذي تملأه هموم الدنيا..

كان هو من الفئة القليلة..

سمع دقات الباب، فصاح أن يدخلوا.. يعرف أنه غير مسموح للنزلاء باستقبال الضيوف في غرفهم الخاصة.. لكن خمسمائة جنية تُسهّل كل الأمور.. خصوصًا أنه لم يكن ليُتعب نفسه ويهبط ليقابل هؤلاء الحمقى في الصالة الرئيسية للفندق..

دخلت الفتاة، لم تكن مبتلة ويلتصق الرمل بقدميها ويديها مثل الآن. كانت ترتدي فستانًا أحمر ثائرًا عاري الكتفين وينتهي عند الركبة. لم يظهر فرق صدرها كمعظم من يحبون هذا النوع من الفساتين. شعرها ناعم وعيناها الخضراوان واسعتان ساحرتان، وأحمر شفاهها ذو اللون الهادئ، كل هذا جعله مرغمًا ينظر لها مبتسمًا.. فتاة جميلة بحق.. ليس الجمال المبتذل الذي يمتلئ بمساحيق كثيرة تصرخ لجذب الانتباه. كان جمالًا طبيعيًا هادئًا..

ظهر وراءها - في نقلة نوعية كبيرة وغير متفق عليها - شاب طويل ضخم الجثة... لم يتفق على هذا.. كان اللقاء مفترضًا أن يكون بينه وبينها فقط..

لاحظ الشاب ضيقه، فاقترب منه مبتسمًا ابتسامة ودود، وقال:

- معلش. أنا عارف إني جيت من غير إذن، بس مش منطقي برضه إننا نسيب (لمى) مع حضرتك في أوضة في الفندق لوحدكم.. ولا إيه؟

نظر له (حسين) من رأسه حتى أخمص قدميه.. شاب قمحي عادي، ملامح رجولية طيبة لا تدل على شيء. ثم قال في نبرة ضيق لم يقصدها لشخصه وإنما للغته:

- أنا لا أتحدث إلا اللغة العربية الفصحى!

توترت ملامح الفتاة وهي تنقل بصرها بينهما، عندما قال الشاب ببسمة جانبية لامبالية:

- حضرتك تحدّث اللغة اللي انت عاوزها براحتك.. أنا مال أمي؟

لم يكن لـ(حسين عارف) مبادئ كثيرة، بل لم يكن له مبادئ على الإطلاق.. إلا موضوع اللغة العربية الفصحى.. كانت "هي" تصرّ أن يتكلما بها، وكان يكره ذلك وينتقده في البداية.. ثم بعد فترة أصبحت عادة راقية تميّزهما عن كل الناس حولهما. الحديث دائمًا ما يكون بالفصحى حتى داخل بيتهما. أغمض عينيه وابتسم كعادته كلّما تذكّرها. في حين قالت الفتاة تقاطع أفكاره وهي تمدّ يدها لتسلّم عليه في ابتسامة متوترة:

- أنا (لمى مصطفى).. الفتاة التي طلبت مقابلتك..

ابتسم في هدوء عندما أعلنت الفتاة طاعتها لشرطه الوحيد، في حين رمقها الشاب مستنكرًا:

- انتي هاتمشي في حوار (سبيس تون) ده؟

لم تنظر له (لمى) وظلّت تنظر مباشرة لعيني (حسين) في حيرة من تبحث عن إجابة ما. هذه فتاة قد كذبت. قالها في نفسه بحكم قلما يخطئ..

عينها تائهة تنظر له بأمل ما..

تلك الجنة الخضراء التي أمامه تنظر له بحيرة وتوتر ووجع ما..

كما توقّع. لقد فعلت كل هذا من أجل لقائه فقط.. ليست هذه عينان تجيب أسئلة.. بل هي عينان تبحث عن إجابات.. قرر أن يصبر قليلًا حتى يرى إذا كانت صحفية حقيرة تلاعبت به كي تقابله فقط، أم مجرد فتاة تريد شيئًا ما.. رحب بهما الترحيب المعتاد حتى جلسوا في الغرفة الواسعة الباردة..

وصمت..

درس تعلمه منها.. عندما يريدك شخص ما في أي شيء، اصمت تمامًا.. من طريقته في إخبارك بهذا الشيء ستعرف الكثير عن شخصيته.. سيكذب أو ينافق أو يتحرّج أو يطلب بصدق.. لا يظهر المرء على حقيقته إلا عندما يطلب من شخص آخر طلبًا ما.. مبدأ يسير عليه وأثبت صحّته دائمًا حتى الآن..

أشعل الشاب سيجارة ليكسر بها حاجز الصمت، وعرض عليه واحدة، فأخذها منه في محاولة لجعلهما ينطقان بسرعة. لم يقابل أناسًا كثيرين منذ أكثر من ثلاثة أشهر، لدرجة يشعر معها بثقل ملحوظ مع أي نفس بشري بجواره.

وحدة اعتادها فأدمنها..

جرّب أن تظلّ وحيدًا فترة، ستجد أن البشر بلا أي فائدة حقيقية سوى إنهاكك في تفاهة سطحية لمشاكلهم النفسية طوال الوقت..

قال الشاب في عناد رجولي محفوظ:

- أنا (محمد حسن).. شغّال في شركة استيراد وتصدير.. صديق (لمى) وزي أخوها..

ثم ابتسم في محاولة لأن يكون ودودًا:

- صحابي بيقولوا لي يا (حسن) على طول.

لم يلتفت (حسين) له وهو يشعل سيجارته، أصبحت العامية تؤذي أذنيه حقًا ويشعر بمهانة بالغة عندما يسمعها. ما الذي حدث للغة القرآن؟ كيف أصبحت سوقية لتلك الدرجة؟ "زي" أخوها؟ ما معنى "زي"؟ ما مصدرها؟ متى نشأت؟ تذكّره بالكلمة التي بلا معنى على الإطلاق "عشان".. بحث كثيرًا ولم يفهم حتى لماذا فعلوا هذا؟ يعلم أن أصلها "على شان".. (على) بمعنى (من أجل).. و(الشأن) بمعنى (الأمر).. فمعناها بالتالي (من أجل الأمر).. متى دمجوها لتصبح يومًا ما "عشان"؟ ومتى أصبحت كلمة لها معنى واضح صريح مستقل! لم يعد يبالي ولم يعد يسأل.. بل أحيانًا كثيرة كان يلومها هي على أنها علّمته وعوّدته على موضوع اللغة هذا، لدرجة جعلت الحياة لا تُطاق في مجتمع يتباهى بلهجته السوقية..

لاحظ (محمد حسن) تجاهله فابتسم بلامبالاة، في حين قالت (لمى) بسرعة في محاولة لقلب دفة الحديث:

- لماذا تفعل هذا يا سيدي؟

"سيدي" كانت مفتعلة ومبالغة منها، ربما لأنها تحاول أن تتقن الفصحى بسرعة، وعقلها تبرمج على العامية في التعبير. قبل أن يجاوب سمع تمتمة (حسن) الساخرة:

- العب الكرة يا كابتن (ماجد)!

لم يلتفت له، لكنه لم يعد مرتاحًا وشعر بالندم لموافقته على كل هذا. قال لها في محاولة للدخول في الموضوع مباشرة دون تضييع وقت ثمين، موجهًا كلامه مباشرة للعين الخضراء التائهة:

- حضرتك من أردتِ مقابلتي.. لست أنا من أنشأت صفحة تُدعى (ضد حسين عارف).. لست أنا من قلت "الذي (لمى مصطفى) السبب العاشر".. ولست أنا من تحدّاني في أسلوب صبياني سخيف يقول لو أنك تبحث عن الأسباب حقًا قابلنا.. أنتِ لستِ في مكان يسمح لكِ في الحقيقة بطرح أسئلة.. لأنكِ من المفترض أنكِ أتيتِ بإجابة..

ثم قال في ابتسامة مستهينة بالموقف كلّه:

- أنا الآن ملك يمينك.. أخبريني السبب العاشر الذي فشلت في العثور عليه.. ثلاثة أشهر كاملة أبحث ولم أجد إلا تسعة أسباب للحياة.. تسعة أسباب حتى بالنسبة لي غير مقنعين لتلك الدرجة المشبعة التي تملأ الروح إلهامًا.. أخبريني بعبقريتك الفذّة ما هو السبب العاشر..

لم يكن لحظتها يعرف أنها ليست هي من أنشأت الصفحة المضادة

لصفحة "إنستا_حياة".. ليست هي ولم تكن لتفكر لحظة في فعلها..

لولا (عاصم)..

تجاهلت أفكارها، وقالت بتوتر في محاولة بائسة لتبدو متماسكة واثقة:

- أنا لم آتي هنا عشان أقولك..

ثم أدركت أنها ارتبكت في اللغة مع بسمة (محمد حسن) الجانبية العصبية، فقالت:

- أنا لم آتِ هنا لأخبرك أن لدي السبب العاشر.. أنا لا أعرفه من الأساس..

كما توقع إذن. العين الخضراء لا تكذب.. لابد أنها ستخبره أنها أرادت مقابلته لأنها تحبه مثلًا، أو لأن لديها قصة مأساوية عن شخص ما انتحر من قبل وكمّ الألم الذي تركه لمن حوله. لابد أنها تبحث عن وحي ما وإجابات بلا وجود.. فافتعلت كل شيء من أجل مقابلته.. لابد أنها...

قاطعت كل أفكاره، وقد تحوّلت ملامح وجهها لهدوء وتماسك:

- جئت أطلب منك أن تأخذني معك..

ثم صمتت لحظات، ظهر فيها توتر (محمد حسن) الطفيف، الذي يحاول جاهدًا إخفاءه، وقالت بصوت يحاول ألا يرتجف:

- أنا أريد أن أموت معك!

* * *

اخترق أذنه صوت موجة تحطمت على صخرة ما بعنف، لتخرجه من شروده.. عادت النجوم تتشكل أمام عينيه في تراص عبقري.. كفت السماء عن إرسال رياحها الباردة في استراحة بين الشوطين.. يعلم أن المناخ سيصبح أسوأ مما كان كلما اقترب منتصف الليل.. لكنه سيستمتع بهذا الهدوء رغم كل شيء..

كم تبدو عيناها الخضراوان مختلفتين الآن..

اختلفت عن النظرة التائهة يومئذ.. أصبحت هناك هالة من السكينة والثقة تحيطها..

دائمًا ما يقولون عن أي شخص مات إنه أصابته حالة من الهدوء والسكينة قبيل رحيله.. لا يدري هل هو وهم الأقارب والأحبة الذين يضعون لكل سعال قبل الموت تفسيرًا له معنى عميق.. أو ربما لأنهم يحاولون البحث في رعب عن أي علامات تعطيهم إشارة قبل الموت حتى يستعدوا نفسيًا لوقعه الصادم.. لا يعرف.. لكن في النهاية يُجمع معظم الناس على أن هناك شيئًا ما كان يُميِّز الميت قبل موته.. يقولون إنه كان يعلم قبل أن يموت..

لكنه لا يرى هذا..

كل ما يراه أن قبيل الموت تبدأ الروح في الاستعداد.. فتعطي إحساسًا للميت أن الدنيا تافهة وهناك شيء ما أعظم.. فيظهر على ملامحه رضا وتقبل لأي شيء سيأتي.. قد لا يوجد دليل عملي على ما يظنه أو حتى ما يؤيد قوله، لكن كذلك لا يوجد أي دليل آخر على ما يقوله الآخرون.. فلا مانع من بعض الخيال..

منذ أن دقت هذه الـ(لمى) باب فيلته بالساحل الشمالي في الصباح، وهو يرى ذلك السكون والتقبّل لكل ما سيأتي.. صمتها كان يدل على ذلك.. عندما تواجه الدنيا وتدرك صغرها.. يبدو الكلام قمة في السخف ولا يعبّر عن أي شيء.. مجرد أصوات وحركات في الفم مهما بلغ صدقها.. لن تعبّر عن أي شيء..

احترم صمتها لكنه ما لبث أن ملّه بعد مضي العديد من الساعات.. رغم عبقرية كلمة (سارتر) "الجحيم هم الآخرون" في مسرحيته الشهيرة (لا مخرج).. إلا أنه اليوم يشعر أنه يريد من يؤنسه ولو لبعض الوقت.. من يجعله يتكلم قليلًا بعد فترة طويلة من صمت دائم.. أدرك في سخرية أنه بملله هذا قد يكون هو جحيمها وهو لا يدرك..

اعتدل ليجلس على الرمال، ثم سألها بهدوء:

- لماذا لا نتكلم معًا قليلًا؟

عندما أتت في البداية.. كان يتوقّع بطبيعة الحال أنها ستحاول إقناعه بالحياة.. أنها من ستجعله يحكي ماضيه وتحاول أن تخرجه من كل شيء.. لكنها صمتت.. ووجد نفسه هو من يقوم تطوعًا بدور كان سيحتقر أي شخص يفعله معه..

دور المتكلّم في أوقات غير مناسبة!

نظرت له يبسمة هادئة، وقالت:

- تكلّم فيما تريد..

استفزّه ردّها البارد. شعر أن الأدوار تتبدل بطريقة لا يريدها، فهزّ كتفيه بلامبالاة، وهو ينهض دون أن يبالي بالرد، نظر لساعته ووجدها العاشرة مساءً. تبقت ساعتان فقط في هذا الملل الأزلي..

ترك نفسه للسير قليلًا حتى وجد قدماه تأخذانه للمكان الذي كانت ترسم فيه.. توقّع أن يرى قلبًا أو أي شيء طفولي.. لذا ارتسم على ملامحه إعجاب بمعنى "لا بأس به".. في العموم كل شيء في الدنيا حوله أصبح له تصنيف واحد.. هو "لا بأس به".. دائمًا وأبدًا "لا بأس".. لا يوجد شيء في دنيته يصل لدرجة الرائع أو لدرجة السيء.. بالتالي..

لا بأس..

كانت رسمتها في محيط أربعة أمتار.. رسمت زهرة ذابلة تتساقط أوراقها.. دقّة الزهرة المرسومة بتفاصيلها على الرمال مثيرة للدهشة حقًا.. اقترابها من الشاطئ جعل الموج يقترب منها وينحسر كأنه يداعب أطرافها، في صورة شاعرية كأن البحر يحاول أن يبثّ الروح فيها بلا فائدة.. هل قصدت هي تلك الصورة الشاعرية؟ لا يعلم..

بجوار الزهرة كانت هناك علامة ترقيم معروفة لكنه لم يفهم معناها.. فاصلة أسفلها نقطة.. تجاهل العلامة وخطفت عينيه الزهرة التي جعلته يحدّق فيها لفترة لا يعلم مداها... للحظة كان يأمل أن تعتدل ساق الزهرة الذابلة في علامة على الحياة.. للحظة تمنّى للبحر الوهمي في أن يحيي زبده زهرة مرسومة على الأرض.. ونجاحها في أن تجعله يتمنّى هذا في حد ذاته.. إبداع..

سمع صوتها هذه المرة وهي تأتي خلفه مقاومة جذب الرمال لقدميها الجميلة.. وقفت جواره ترمق ما رسمت معه.. قالت دون أن يسأل:

- اسم الزهرة (دايزي)..

ثم استطردت في ابتسامة:

- أو الأقحوان باللغة العربية كما تحبها..

قال وهو لا يزيح نظره عن الزهرة:

- أحيانًا المسميات باللغة العربية تُفقد كثيرًا من الأشياء جمالها ورقتها..

أومأت برأسها إيجابًا، ثم قالت بصوتها الهادئ مشيرة للرسم:

- زهرة النقاء الكامل، والبراءة.

ثم أكملت بصوت ذهب في ذكريات بعيدة:

- ترمز إلى البدايات الجديدة..

أشار لعلامة الترقيم التي بدت بلا معنى وسألها مبتسمًا:

- وعلامة الترقيم؟

نظرت لها بابتسامة حنون، ثم التفتت له قائلة:

- في وقت ما ظهرت هذه العلامة كرمز لحملة تحث على مقاومة الانتحار.. عادة ما تنتهي الجملة بنقطة.. لكن الفاصلة المنقوطة معناها أن الجملة لم تنتهِ بعد.. تقول علامة الترقيم

باختصار: يمكنك أن تنهي حياتك بنقطة نهائية في أي وقت.. لكنك دائمًا يجب أن تقاوم وتضع الفاصلة المنقوطة.. ولهذا كان من يفكّر في الانتحار يوشم العلامة على يده أو ذراعه.. ليذكّر نفسه دائمًا بمعناها..

وصمتت لحظات متذكّرة أشياء بعيدة. يومًا ما كانت تقاوم، ثم ابتسمت ونظرت لعينيه مباشرة وهي تكمل:

- "قصتك لم تنتهِ بعد"..

هزّ رأسه بلا معنى، ثم علت شفتيه ابتسامة لامبالية وهو يقول رامقًا البحر:

- إذن أنتِ ترين أننا نبدأ بداية جديدة؟

لم تنظر لها لتلتقي العين البنية بالعين الخضراء الساكنة، وتقول هي ناظرة للزهرة الميتة:

- أو نهاية حاسمة.. لا فارق حقيقي..

مدّ نحوها ذراعه وأشار لها أن تتأبطه وهو يسألها في بسمة هادئة:

- هل تودّين السير على الشاطئ قليلًا لتبتل أقدامنا؟

لم تمدّ يدها، لكنها سارت جواره في هدوء..

(٣)

"كيف بدأ كل هذا؟"

قالتها فجأة، فابتسم كمن كان يتوقع السؤال..

كان لابد لها أن تسأل في النهاية.. كان لابد أن تعرف.. هناك شعور غريب أن انتهاء الوقت سيكون بعد ساعتين لا أكثر، ولكن في نفس الوقت تلك الساعتين ترفض أن تمرّ.. إنها النسبية اللعينة تلعب في عقليهما باستمتاع وتريد أن تحقق (high score).. لم تمض دقائق من سيرهما على الشاطئ حتى وجدها تسأل بفضول يتظاهر بعدم الاهتمام..

نظر للسماء ثانية، فكّر قليلاً فيما يمكن أن يقوله ليفسّر أي شيء.. هناك سخرية مأساوية في الأمر، فهو لا يستطيع تفسير أي شيء يحدث.. هناك إحساس دائم أنه بعيد عن كل شيء.. لا يبالي بما يحدث له أو بما سيحدث في المستقبل.. هناك فيلم ممل تضطر أن تراه دون تعاطف مع البطل أو الأحداث، لكنك لابد أن تراه للنهاية... هكذا يشعر، ولا يستطيع حتى أن يحارب هذا الشعور..

لا يمتلك الطاقة الكافية..

ابتلع ريقه، ثم قال محاولًا تفسير ما لا يمكن تفسيره:

- هل تعرفين (والت ويتمان)؟

هزّت رأسها نافية، فأكمل وهو يشعر ببرودة الماء تغمر قدميه:

- (والت ويتمان) هو رائد الشعر الحرّ في أمريكا.. في بدايته كان صحفيًا عاديًا يكتب شعرًا ضعيفًا وقصصًا أضعف قال جميع النقاد عنها إنها "هزيلة".. ثم مرّ الزمن وكثرت تنقلاته.. يقال إنه مرّ بتجربة ما أطلقوا عليها مصطلح "روح الاكتشاف" أو "روح الحدود".. تبدّل بعدها حاله تمامًا.. ضرب بكل القوالب عرض الحائط.. ابتدع شيئًا اسمه "الشعر الحر".. فلسفته تغيّرت كثيرًا وأصبحت كلماته لها ميزان أثر في العالم كلّه.. كان يحارب من أجل الحرية الفردية.. حتى إن الرحباني وجبران خليل جبران تأثرا به كثيرًا..

ثم أكمل وهو يلوّح بيده:

- طبعًا هذا اختصار شديد وغير دقيق بدرجة مؤلمة لحياته بكل تقلباتها.

هزّت رأسها غير فاهمة فأدرك أنه أطال الكلام في موضوع لا يفيدها على شيء.. أكمل ما أراد الوصول له من هذه المقدمة الطويلة:

- من أروع وأبسط ما قال (والت ويتمان).. "أعد تقييم كل ما قيل لك، وتخلّص من كل ما يلحق الضرر بروحك ونفسك".

ضرب الهواء فجأة جسديهما، وجاءت موجة لتغمر أقدامهما،

وتحوّل الرذاذ اللطيف على وجهيهما لمياه باردة.. لم يهتما وأكملا في سيرهما البطيء.. في حين قالت هي وهي تتذكّر شيئًا ما:

- هناك شيء ما كتبته على الـ(facebook) له علاقة بهذا..

أومأ برأسه إيجابًا، وهو يقول بصوت شارد لأنه يتذكّر كل حرف كتبه في هذا المقطع بالذات:

- "اقطع كل تلك الخطوط الوهمية التي تربطك بواقع مزيف، وأغمض عينيك دقيقة واحدة.. والآن.. أخبرني..

ما الهدف من كل هذا؟"

لتتحوّل عيناه إليها في تساؤل:

- هل عرفتِ الإجابة لهذا السؤال؟

لاحظت أن الأمر تحوّل إليها في لحظات، فهزّت كتفيها وقالت بابتسامة بلا معنى:

- لو كنتُ وجدتُ إجابة لهذا السؤال ما كنتُ أتيتُ هنا ولو لثوانٍ قليلة..

ساد الصمت، كأنما انتهى الكلام في وقت لا يصح أن ينتهي الكلام فيه، هو لم يجب على السؤال وهي لم تتكلم بأي شيء مفيد.. لم يعبأ بإكمال الحديث ولم تحاول حثّه على هذا.. في الأساس كان الحوار لمجرد تمضية الوقت.. لكنه ذكّرهما بكل شيء يرغبان في نسيانه حتى يمضي الوقت ويضطران حينها لمواجهته..

الأسئلة مجرد تعبير عن حيرة ما.. وفي النهاية لا يوجد جواب

يرضي أحدًا، لأنه في المعتاد يستدعي سؤالًا آخر.. الأسئلة خُلقت لإرضاء شهوة المعرفة، والإجابات خُلقت لتثير المزيد منها.. ليس أكثر ولا أقل!

اكتشف منذ فترة أن راحة المرء ستأتي فقط بانتهاء بحثه عن إجابات.. وبالتالي بتوقّفه عن طرح أي أسئلة.. هذا كان المثل الشهير: الجهل من أمتع الأشياء في الحياة..

ولهذا كفّ عن التساؤل تمامًا..

قالت بهدوء محاولة كسر حاجز الصمت الذي يجعل الثواني تمرّ ابطأ:

- لماذا لم تسألني أي شيء عندما أخبرتك أنني أعلم لماذا تفعل كل هذا؟

لاحظ أنهما لا ينظران لبعضهما أثناء حديثهما.. أو أنه هو تحديدًا لا يحاول أن ينظر إليها.. بطول قامته ونحوله، وشعره الطويل المبعثر وذقنه غير الحليقة، كان يحاول أن يجعلها لا تراه. منذ ثلاثة أشهر قرر عدم الاهتمام بأي شيء له علاقة بوجهه أو شعره لأنه كان يعلم أن أحدًا لن يراه لمدة ثلاثة أشهر كاملة..

قال بهدوء:

- لا يهمني أن أعرف أجوبة لا تهمّني..

هزّت كتفيها وقالت:

- أنا أعرف كل شيء عن (فريدة المنياوي)..

ابتسم في سخرية.. لابد أنها تتوقع منه الآن أن ينظر لها نظرة اندهاش عظيم، ويتساءل بذهول "كيف عرفتِ؟".. تلك الفتاة رغم سكينة عينيها الخضراوين إلا أنها مازالت ساذجة بلهاء.. تتعامل بأسلوب درامي تعلمته من كل المسلسلات الرخيصة..

قال في ابتسامة لا مبالية..

* * *

منذ ثلاث سنوات سألها سؤالًا واحدًا..

"هل تحبينني؟"

أومأت (فريدة) برأسها إيجابًا في خجل وفرحة.. أمسك يدها فشعر بنبض قلبها السريع بين يديه.. ضحك بملء فيه وهو يقول:

- إذن لماذا كل الدراما والحزن؟

كانا يجلسان في كافيه شهير في ذلك الوقت.. وكان هو منذ ثلاث سنوات يبدو وسيمًا بشعره القصير وعينيه البنيتين الواسعتين وذقنه الحليقة تمامًا.. يرمق (فريدة) بنظرة عشق لا يفهمها إلا عاشق مثله.. نظرة تحتوي كل ما بداخلها فتشعرها أنها ضعيفة لا تستطيع السيطرة على شيء.. نظرة تجعلها تسلّم له كل شيء في لحظات حتى لو قاوم عقلها مقاومة عنيفة..

عيناها الرائعة العسلية الخجول، وملامحها الحادة التي تجعلها أشبه بملكات الفراعنة، شعرها الأسود الفاحم الذي يطلق عليه دائمًا "البحر الأسود"، من روعة تموّجاته وسحرها على قلبه. يعشق

كل تفاصيلها، ودائمًا ما ينظر لكل تفصيلة باستمتاع شديد.. هذه فتاة عرفت كيف تكون كل ما يحلم به منذ طفولته في ثوانٍ معدودة..

هذه فتاة يعشقها..

قالت هي محاولة أن تتغلب على سرعة دقات قلبها وخجلها:

- قبل أي شيء.. قبل أن تقرر قرارًا نهائيًا.. أريدك أن تقرأ شيئًا..

اشتعل الحماس في عينيه وقال دون أن يدري:

- انتي كتبتي حاجة جديدة؟

نظرت له بابتسامة حنون محذّرة، أدرك أنه قالها بالعامية فشعر بالضيق الذي كان يشعر به دائمًا عندما تجبره على الكلام بالفصحى، مؤمنة إيمانًا شديدًا أنه شيء خاص بهما لم يفعله سواهما على مر الأزمنة.. لذا كرّر في ضيق حاول إخفاءه:

- هل كتبتِ شيئًا جديدًا يا فتاتي العزيزة؟

ضحكت في هدوء وأومأت برأسها إيجابًا..

كانت مؤلفة وكاتبة روائية..

منذ صغرها تعشق كل ما يتعلق بالقراءة، فأصبحت مغرمة باللغة العربية الفصحى وتحلم بأن تصبح كاتبة يومًا ما.. تعشق الدخول في حالة خاصة ليسطر قلمها إبداعًا غريبًا لم يقرأ مثله من قبل. لم يكن يقرأ كثيرًا.. بل لم يكن يقرأ على الإطلاق.. لكنه تعلّم القراءة على يديها عندما جعلته يقرأ قصصها القصيرة وينبهر بها..

لكنها دائمًا ما كانت تتحدث عن الموت..

كل قصصها القصيرة تتحدث عن أحد أوجه الموت.. لابد أن يكون هنالك شخص ما قد مات في الأحداث.. ولو لم يكن هنالك من مات فتعلم على الفور أن أحد أبطال القصة سيموت.. عندما أخبرها عن هذه الملحوظة ضحكت بابتسامتها الحنون وقالت:

- الموت هو الحقيقة الوحيدة الثابتة في عالم البشر.. لا يستطيع أحد إثبات عكسها ولا يوجد من لا يؤمن أنها لن تحدث يومًا ما.. هنالك ملحدون وهنالك من يشككون في كل شيء.. لكن لم يشكك أحد في الموت حتى الآن..

أدخلته في عالم جديد لم يكن يعرف عنه شيئًا.. عالم يحوي آلاف المبدعين الذي سطّروا حروفًا من ذهب على مر الأزمنة.. (ديستوفيسكي) و(بلزاك) و(سارتر).. (طه حسين) و(المنفلوطي) و(نجيب محفوظ).. عالم كامل أخذته إليه بهدوء كمن يصحب طفلًا.. يتذكّر أنها جعلته في البداية يقرأ روايات بسيطة سهلة.. بل يتذكّر أول عمل قرأه على يدها.. كان (ميكي جيب)، عدد يتحدّث عن عيد ميلاد (بطوط).. لكنه عندما كثرت قراءاته فيما بعد أصبحت له هواية غريبة.. أن يعرف القصص الحقيقية لكل هؤلاء.. شعر برغبة في معرفة كيف لهؤلاء العباقرة أن يصبحوا بهذا الاختلاف والتميّز.. فأصبح لديه مصدر معلومات وقصص يبهرها به على عكس المعتاد..

وهذا ما كان يحارب من أجله دائمًا..

أن يبهرها..

لم تجرؤ حتى ذلك الوقت على إصدار أي عمل مطبوع لها لأنها كانت تريد أن تنتهي من روايتها أولًا.. كتبت قصصًا قصيرة كثيرة في مدوّنتها وفي مواقع التواصل الاجتماعية.. حساسة خجول ككل من يحاول أن يبدع حتى لو أنكر هذا.. قررت أن يكون أول عمل لها في طريق حلمها رواية.. لا يدري سببًا لهذا لكنها كانت تؤمن أن العمل الروائي سيكون عبقريًا لو تمت كتابته بطريقة صحيحة..

وكان يؤمن بأنها عبقرية..

لم يدخل أحد داخل وجدانه كما تفعل هي..

تجعل من كل شيء صغير.. مرآة لأصعب معاناة الإنسان النفسية..

لذا ابتسم في فرحة صادقة وهي تقول له ووجهها يتألق في سعادة:

- أنا انتهيت من روايتي..

وقبل أن يصيح فرحًا ويهنئها، قالت وهي ترفع سبابتها في سرعة:

- ولك الفضل في أنك أوحيت لي بفكرة الرواية عندما تحدّثنا عن الموت في قصصي يومًا ما..

ومع ملامح السعادة التي حلّت على وجهه لأنه كان "وحيها".. بهتت ابتسامتها لذكريات مجهولة وهي تقول:

- هذه الرواية هي أنا..

وصمتت ليصمت معها تمامًا، ثم ابتسمت في شرود وقالت:

- لذا أريدك أن تقرأني..

شعر بجدّيتها، وبفضول شديد، فسألها ببسمة طفل:

ـ ما اسمها؟

لتجيب هي كمن ينتظر السؤال:

ـ (الموت هو المنتصر الوحيد)..

* * *

"قلت لكِ لا أريد أن أعرف إجابات لا تهمني"..

قالها في عناد، رغم أنه أراد أن يعرف بقية كلامها عن (فريدة).. رأت بسمته اللامبالية، وصوته القاطع الذي ظهر فيه برود لا يحتاج لنقاش كثير..

هو لا يريد الحديث في هذا الموضوع بالذات مهما فعلت..

شاطئ.. هواء.. رمال.. مطر.. ظلام..

بحر..

ذلك البحر اللعين..

المكوّنات التي تملأ المشهد منذ ما يقرب من يوم كامل.. ولم يصبه الملل لحظة من هذا المشهد.. أصابه الملل فقط لأنه يريد أن تمضي الساعات المتبقية في سلام.. راوده نفس الإحساس المقيت الذي راوده منذ يومين بأنه يكذب على نفسه..

لو كان يريد أن تمضي الساعات في سلام فعلًا.. لكان قد رفض تمامًا أن تأتي معه.. لكان اختار أن يظلّ في عزلته التي اعتادها..

لكنه وافق..

لسبب ما قَبِل بما كان مستحيلًا أن يقبله..

* * *

منذ يومين، قالت (لمى) في الشرفة الواسعة المطلة على النيل:

"ـ أنا أريد أن أموت معك.."

وحلّق الصمت فوق رؤوسهم بعد كلمتها التي لم يكن يتوقعها..

لم يقطع الصمت سوى صوت احتراق السيجارتين في يده ويد (حسن) وهما يتنفسانها ببطء شديد وتفكير..

في الشرفة الواسعة المطلة على النيل عرف أنه ارتكب خطأ جسيمًا بموافقته على مقابلة اثنين لا يعرفانه ولا يعرف عنهما شيئًا..

لاحظ توتر قدم (حسن) الذي يبدو أنه يقاوم بعنف شيئًا ما داخله، ولاحظ أيضًا عدم اهتمام (لمى) بأي شيء يشعر به (حسن).. (لمى) كانت كتلة من التركيز مصبوبة نحوه فقط.. تريد أن تسمع إجابة لطلب أغرب منها.. ولكن لماذا تشعر بأنه طلب غريب وأنت منذ ثلاثة أشهر تحاول أن تقنع البشر أن يسمحوا لك بالموت في سلام؟

عندما طال الصمت، قالت (لمى) كطلقة مسدس حائرة تريد أن تصيب أي شيء لتتوقف فيه وتستكين، طلقة مسدس ملّت من الاحتراق ومن سرعة كل شيء حولها فتريد التوقف ولو لثانية حتى لا تنهار:

- أنا مطلقة.. عمري سبعة وعشرين سنة بس.. ومطلقة.. متابعاك من أول يوم فعّلت فيه صفحة "إنستا حياة".. كل يوم كنت بابحث على سبب معك.. كل يوم باحاول ولا "أستقدر".. هل تعرف أني...

أشار لها أن تهدأ، وقد أدرك أنه لابد أن يرحمها قليلًا حتى يفهم أي شيء من كلامها:

- تحدّثي العامية..

أخذت نفسًا عميقًا في محاولة كي تهدأ. لماذا جعلها تتحدّث الفصحى من الأساس، رغم أنه في المعتاد يجعل كل من حوله يتحدّث بحرية، حتى مع إصراره على الحديث بالفصحى؟ لماذا عندما رأيت عينيها الخضراوين التائهتين قررت أن تجعلها تتكلم الفصحى؟ لا يدري في الحقيقة ولم يغبأ، وهو يسمعها تكمل كلامها:

- لازم عشان أقولك أي حاجة لازم أحكيلك على كل حاجة من الأول.. عندك وقت؟

كان يعلم أنه سيندم.. كان يعلم أنه لا يريد أن يسمع من الأساس.. لم يتبقَ إلا يومان ويذهب لشاطئه الساحر وعالمه الخاص. لم يكن يملك الطاقة النفسية لأن يسمع أي قصة مهما كانت.. لكن شيئًا ما في تلك الفتاة.. شيئًا ما لا يعرف ما هو جعله يقول وهو يضع ساقًا فوق ساق ويشعل سيجارة أخرى:

- احكي لي ما تريدين..

ابتسمت وقد شعرت أن هناك أملًا ما يلوح في الأفق، بعد أكثر من سبعة أيام من البحث المتواصل عن (حسين عارف)..

في الشرفة الواسعة المطلة على النيل عرف (حسين) كل شيء عن (لمى)..

* * *

مرّت ربع ساعة كاملة وهما يسيران على الشاطئ بلا هدى..

عادا للزهرة الذابلة المرسومة على الرمل، توقفا عن السير أمامها دون اتفاق مسبق.. تكفّل البحر بأن ملأ الفراغات بين الرمل حتى منتصف الزهرة.. لتكتمل الصورة الشاعرية للبحر وهو يحاول أن يحيي الزهرة..

ابتسم وهو يشير للرسم ويسألها بصوت عالٍ:

ـ هل كنت تقصدين هذا؟

فهمت (لمى) ما يقصد، فأومأت برأسها إيجابًا وهي تنظر للرسم بحنان.. رأى البسمة لأن ـ على عكس الشائع أن البحر يصبح مظلمًا ليلًا ـ في الساحل بالذات يضيء القمر كل شيء.. شعور دائم أنك في الفجر من قوة ضوء القمر.. الشيء الوحيد الذي يجعل ضوء القمر غير واضح هو كل الأضواء الصناعية التي اخترعها بنو البشر كي يستطيعوا الرؤية..

لو كانوا قد اكتفوا بالقمر.. لأصبحت الحياة أسهل بكثير..

قال في ابتسامة ساخرة:

- هل تعرفين ما المشكلة الوحيدة في هذا الرسم؟

رفعت رأسها له متسائلة، فنظر للبحر طويلًا، ثم قال:

- مياه البحر مالحة.. لا تستطيع إحياء أي شيء.. بالذات الزهور..

لم تفهم ما يقصد بالتحديد، فأكمل وهو يشير للبحر كمن يشير لشيء مقزّز:

- البحر هو مثال حي نراه كل يوم للموت ونعتبره أكثر منظر رائع في الوجود! البحر لا يروي شيئًا.. داخله عالم آخر من المخلوقات التي لا نعرف عنها شيئًا إلا استنتاجات.. غامض ولا نعرف متى يثور ومتى يهدأ.. قد يغدر بكل شيء في لحظة واحدة.. إن البحر لا يحيي شيئًا.. البحر يُميت فقط..

لم يفهم لماذا استفزّه الرسم لتلك الدرجة، لكنه قرر أن يتكلم دون تفكير، فنظر لها موليًا البحر ظهره وهو يكمل:

- هذا الرسم غير منطقي. والأمل في أن ترتوي الزهرة الذابلة بمياه البحر هو الهراء بعينه..

الواقعية السخيفة تُفسد جمال أي روح فنية.. حقيقة جعلت كل ما له علاقة بالخيال يتحوّل أمام عينيه لعمل ساذج تافه غير منطقي..

أكمل وهو ينحني ليمسك بحفنة من الرمال بيديه، ويريها إياها ببسمة مريرة:

- الرمز الحقيقي للحياة هي تلك الرمال.. ناعمة وتجذبك

لشيء ما دائمًا.. تلتصق بك وتعيق سرعتك في سماجة.. رغم كل ما فيها من سلبيات إلا أنها ثابتة.. لها قواعدها الخاصة التي يعرفها الجميع ويتعامل على أساسها.. الرمال هي الحياة والبحر هو الموت بعينه.. لكن لا أحد يريد أن يدرك ذلك..

ساد صمت وهي تنظر لانفعاله الغريب، في حين أخذ هو نفسًا عميقًا وهو يلقي بالرمال على الأرض.. الرمال هي الشيء الوحيد الذي تتفتت عليه أمواج الموت وتضعف..

حرب دائمة بينهما بلا خاسر أو منتصر..

نظرت له بعينيها الخضراوين المستكينتين، وابتسمت ابتسامة بلا معنى وهي تجلس على الأرض بجوار الزهرة. ودون أن تنطق بكلمة، أمسكت الصدفة.. وبدأت الرسم من جديد..

التفت لها لحظات يتأملها.. ثم عاد بنظره للبحر ثانية..

(٤)

هطلت الأمطار مرة واحدة كعادتها الأثيرة..

صوت ارتطامها بالرمال له صدى مميز ساحر.. وصوت ارتطام قطراتها بالبحر له وقع عجيب داخل قلبه.. لا يدري ما الذي يعشقه في الأمطار.. لكنها تتسلل لروحه لتجعل كل شيء هادئًا.. وبسيطًا..

الصبر..

نظر لها بشعرها المبتل وجلستها بجوار الزهرة الذابلة..

الزهرة التي يحاول البحر رويها في بلاهة وإصرار..

تأملها قليلًا في تعجب لصمتها المفاجئ وانهماكها في الرسم، سأل نفسه هل يتركها لحالها ويذهب بعيدًا يسمع أي أغنية على هاتفه، أم يبقى ويتحدث معها قليلًا؟

هناك شيء ما يجذبه تجاهها ويجعله يذهب ويعود إليها باستمرار.. طبعًا ليس شيئًا رومانسيًا على الإطلاق.. لكنها طبيعة الرجل في كل ركن في العالم.. يريد أن يحمي الأنثى من شيء ما لا يعرفه..

هل عشق آدم حواء لأنها كانت الوحيدة في ذلك المكان؟

هل وجود امرأة مستكينة هادئة سبب كافٍ لتلك الرغبة في أن يرعاها دائمًا ويطمئن عليها؟

اللعنة!

وجود النساء في الحياة يفسد الكثير من الأشياء..

سألها دون أن يقاوم رغبته في الحديث مقاومة حقيقية:

- هل تلعبين لعبة؟

توقفت عن الرسم على الرمل ونظرت له في تساؤل، فقال وهو يجلس جانبها وينظر للبحر:

- لعبة "متى"..

وأكمل شارحًا اللعبة التي اخترعها حالًا:

- لابد أن نسأل سؤالًا يبدأ بـ(متى).. ولابد من الإجابة الصريحة.. من لا يسأل أو من يرفض أن يجيب.. سيكون له "حكم" لابد وأن يُنفَّذ..

سألت وهي تبتسم:

- وكيف تعرف أني لا أكذب؟

صمت فترة طويلة، لا تعلم الفتاة أنه يشم رائحة الكذب ولو على بعد ميل، العين هي نافذة الروح.. شفافة كقماش من الحرير على جسد قمحي.. مهما حاولوا الكذب فإن العين تفضح كل تفاصيل الكذبة ببراعة.. تعلّم بعد فترة أن السبيل الوحيد للرؤية هو نفس

السبيل الذي يخترقه الآخرون لروحنا نحن..

يا لها من صفقة خاسرة حقًا!

قال وهو ينظر لعينيها الخضراوين الشفافتين باسمًا:

- لا يوجد لدي شيء سوى الثقة بك..

ثم نظر للبحر ثانية، وقال بسرعة:

- سأبدأ أنا..

تركت الخشبة وهي تضم بيديها ركبتيها إلى صدرها في محاولة لبث الدفء في أوصالها، في حين قال هو:

- متى عرفتِ معنى كلمة "خسارة"؟

ارتفع حاجباها في إعجاب وقالت باسمة:

- بدأتَ بالأسئلة القوية على الفور..

ضحك ضحكة جانبية ساخرة وقال:

- لا وقت لدينا للأسئلة السهلة..

رفعت رأسها للقمر المظلم قليلًا كأنما تفكر، ثم قالت:

- أول مرة شعرت بأنني خسرت شيئًا فعلًا.. عندما وصلتني ورقة طلاقي من زوجي.. رغم الفرحة لحظتها وشعوري بالخلاص من شيء مقيت.. لكن بعدها عندما أعلنت عن طلاقي لكل من أعرف ولكل أصدقائي على موقع

الـ(facebook).. شعرت على الفور بأنني خسرت درجة من درجات احترام الناس.. فترة مرّت شعرت فيها بذلك الإحساس الذي تشعره عندما يخبرك أحد أنه يبيع عربة مستعملة.. إحساس بأنك في درجة ثانية أقل من كل من حولك..

ثم أكملت وقد شعرت برغبة في الاستطراد تريحها:

- مجتمعنا العربي مزدوج.. يرفض الطلاق في العموم لكن ما إن يحدث.. حتى يشتهي المرأة المطلّقة لسهولة المسؤولية وعدم التورط.. كلمة "مطلّقة" تجعل من الأنثى لقمة سائغة في خيال كل من بلّل سرواله وهو في الثانية عشرة من العمر واحتُسب على الذكور رجلًا!

ثم ابتسمت في هدوء وهي تكمل:

- لكني تعلمت أن مجتمعنا الشرقي أحقر من أن يُفكّر المرء فيه.. أو يضع له اعتبارًا..

هز رأسه موافقًا وهو يخرج علبة سجائره من جيبه ويتناول منها سيجارة ابتلت بسرعة بفعل المطر، فقالت هي:

أريد واحدة..

أخرج سيجارة أخرى وناولها لها، لم يكن يعرف أنها تدخّن لكنه لم يبال، شكر مخترع القدّاحة "السخّان" التي تشتعل مهما كان المناخ سيئًا. أشعل سيجارتها ثم أشعل سيجارته وأخذ نفسًا طويلًا أخرجه

ببطء حتى يستمتع به.. سألت هي مكملة اللعبة:

- متى عرفت معنى كلمة "موت"؟

سؤال على نفس منوال سؤاله.. لا يحب من ينسخ الأسئلة في أي لعبة.. يحب الإبداع حتى في أبسط الأشياء، هزّ كتفيه وهو يجيب في هدوء:

- لا أعرف معناه حتى الآن.. لا أحد يعرف "حقًا" معنى الموت الحقيقي.. هل هو موت الجسد أم موت الروح أم موت المشاعر الرقيقة داخلنا.. هناك قول منتشر منذ فترة طويلة "لماذا لا يموت أولاد الوسخة".. تعني أن الموت ينتقي فقط كل من هو نظيف، ويترك كل الحقراء يعيشون في الدنيا ويبقون فيها مزيدًا من حقارتهم..

وأكمل وهو يسحب نفسًا آخر وينفثه في قوة:

- أنا أرى أن الموت أيضًا يترك فقط المشاعر القذرة.. ويأخذ معه كل شعور نظيف.. الحب والبراءة والتفاؤل وحسن الظن والتلقائية.. نتحول في النهاية لأشخاص تشبه بعضنا في كل ما هو قذر.. أو مجرد كائنات ضعيفة تحمي نفسها من كل غدر وألم وموت لما تبقى..

ثم أشار للبحر مكملًا تشبيهه السابق:

- البحر يمكث في قاعه كل ما هو غالٍ ونفيس.. كل ما ذهب ومضى.. وداخله أيضًا روح حية لا تعيش إلا فيه.. البحر له

عالم خاص وقواعد مختلفة، نحن لا نستطيع التنفس تحت الماء مثلًا.. أليس كذلك؟

أومأت برأسها إيجابًا، فأكمل هو:

- الموت أيضًا له عالمه الخاص وقواعده المختلفة.. وفي اعتقادي أن الدنيا ما هي إلا مرحلة تمهيدية تجعلكِ تفقدين كل ما هو آدمي لتستطيعي التنفس داخل عالم الموت..

نظرت له متسعة العينين في عدم فهم، ثم قالت باسمة وهي تضحك مستعيدة "إفّيه" في فيلم ما:

- أنا سمعت كل حاجة.. إني أفهم كلمة واحدة!!

لم تؤذه عاميتها هذه المرة، لن توجد نسخة أخرى من زوجته مهما حاول.. هي التي كانت تلتزم بالفصحى التزامًا صارمًا حتى جعلت منها متعة خاصة لا يفهمها أحد.. ابتسم معها ابتسامة مجاملة، ثم قال بهدوء:

- باختصار شديد.. لا أعرف معنى كلمة موت حتى الآن..

ثم سألها بسرعة حتى يغيّر الموضوع ويجعلها تتكلم في أي شيء يملأ به فراغ الوقت البطيء:

- متى قررتِ أنكِ تريدين مقابلتي؟

ردت في حيرة:

- لقد أخبرتك كل شيء في الفندق..

هزّ رأسه نفيًا وقال:

- كل ما قلتيه كان أنكِ تتابعينني منذ البداية.. تتابعين الصفحة وترتبطين بها.. عندما قررتِ أنكِ تريدين البحث عني والانتحار معي.. القصة تنقصها تفاصيل كثيرة أرغب في سماعها.. متى "عرفتِ" أنكِ تريدين مقابلتي؟

صمتت لحظات، ذهب عقلها لذكريات كثيرة ومشاهد لا تُصدّق أنها منذ عشرة أيام فقط.. يبدو رقمًا صغيرًا جدًا بالنظر لكل ما حدث.. تقلبت ذكرياتها في مشاهد كثيرة ثم توقفت عند وجه واحد فقط ملأ عقلها كلّه وجعل روحها تشتاق لشيء ما لا تعرف ما هو..

وجه طيب، يبتسم بسعادة دائمة طوال الوقت، ويملك عينين تنظران لها دائمًا بحنان غريب..

(عاصم زيدان)..

سؤال بسيط للغاية لكن لا إجابة حقيقية له إلا بذكريات طويلة..

ذكريات عشرة أيام مضت..

* * *

منذ عشرة أيام كانت (لمى) تجلس داخل غرفتها الدافئة.. وتنظر للنافذة الكبيرة التي تفتقدها الآن..

كانت تعشق السهر حتى بعد الفجر بقليل.. لا.. ليس الشروق فهي تكرهه.. لكن التوقيت الذي يلي أذان الفجر.. الدنيا التي يتحوّل لونها للون رمادي مظلم ويبدأ تدريجيًا في الانقشاع ليتيح

للون الأصفر المزعج أن يعتلي المشهد..

تعشق السهر لترى هذا المشهد تحديدًا من نافذتها.. ومعظم الوقت تنهض من فراشها لتقف فاتحة النافذة على مصراعيها كي تتنفس ذلك النسيم الحنون، سواء كان ذلك صيفًا أو شتاء..

لهذا كانت تجلس على الفراش تنتظره وتدخّن كعادتها، معلنة تمردها على سخط أمها الدائم من السهر المتواصل..

لليل عشاقه.. وللسهر مريديه.. فسحقًا للجميع..

عادت لترمق صفحتها على الـ(facebook) وتنظر لاسمها بالذات.. تكره اسمها لأنه يذكّرها بكل ما هو خاطئ في دنيتها.. جدتها - سامحها الله - أقنعت أمها أن (لمى) هو نهر من أنهار الجنة ككل الأسماء العجيبة.. لتكبر (لمى) وتكتشف الطامة الكبرى من المعجم.. "اسم علم مؤنث عربي، معناه: السمرة أو السواد في باطن الشفة، وهي صفة مستحسنة عند النساء".. لتدرك الحقيقة: اسمها معناه قبيح، أقرب إلى تسوس الأسنان!

ظهر إشعار مع صوت الإشعارات الغريب.. وظهر رقم واحد فاقع بلون أحمر على كرة أرضية تعطيك انطباعًا بأنها منحوتة داخل الموقع.. رسالة مضمونها أن العالم ينادي عليك بإشعار، فلا تتجاهله أيها الأحمق.. ورغمًا عنك تلبي النداء.. ضغطت عليه في سرعة لتجد ذلك المنشور من صفحة تعشقها منذ ما يقرب ثلاثة شهور كاملة..

صفحة "حسين عارف (إنستا_حياة)"..

* * *

اعتدلت في جلستها على الرمل وقالت له في محاولة للإجابة على سؤاله بأقل تفاصيل ممكنة حتى لا يملّ:

- هل تذكر (البوست) الذي نشرته مع صورتك فوق قمة الهرم؟

أومأ (حسين) برأسه وهو يبتسم متذكرًا.. الصورة التي يعتز بها كثيرًا.. رغم صعوبة تسلّق الهرم لكنه شيء يستحق كل ثانية تعب وإرهاق..

قالت هي:

- تلك الصورة كانت السبب في كل شيء بعدها.. بسبب كلمة واحدة كتبتها أنت..

قال في إدراك:

- باقٍ من الزمن عشرة أيام..

أومأت برأسها إيجابًا وهي تتذكّر كل حرف وكل كلمة..

وكيف تنسى؟

* * *

نظرت لصورته الـ(سيلفي)..

شعرت فجأة برغبة عارمة في الصعود فوق الهرم..

كيف لم تأتِها فكرة كهذه من قبل؟ تشعر بالهواء يضرب شعرها كما يضرب شعره في الصورة.. تبتسم ابتسامته المعدية رغمًا عنها.. ترى

أضواء البلد في مشهد خلاب خلفه.. أخذت عيناها تلتهم السطور وتقرأ ما كتبه بجوار الصورة..

"إحساس رائع وغريب.. هل بلدنا صغيرة حقًا هكذا؟ كنت أظن أن ما أفعله الآن مستحيل.. لكن أنتم تعرفونني.. لا شيء يجرؤ أن يمتنع أمامي.. هأنذا أقلدك أيها "الشامبيون" (حفناوي عبد النبي).. لكني لم أحقق رقمك القياسي في التسلق للأسف.. ربما لأنني لم أكن أرغب في هذا من الأساس ;)..

هأنذا على ارتفاع يبلغ ١٤٠ مترًا وقاعدة المبنى ٢٣٠ مترًا..

أنا (حسين عارف)..

أحدثكم من قمة هرم خوفو..

الهرم الذي بجانبي في الصورة هو هرم خفرع.. وخلفه أنوار مصر كلها تقريبًا..

هل تعلمون أنه كانت هناك سياحة تسمى "سياحة تسلق الأهرامات" كان مسموحًا بها سابقًا إلى أن تم منعها قانونيًا عام ١٩٨١، وذلك للحفاظ على أرواح السياح بعد عدة حوادث مأساوية تعرضوا لها، وكذلك للحفاظ على الأهرامات من الهلاك والتآكل؟

معلومة بلا معنى لكنكم تعرفونني جيدًا.. أعشق الكلام عن أي شيء.. هل تسألون الآن إذا كان هذا هو آخر المطاف؟ هل وجدت ذلك الإحساس الذي أبحث عنه؟ هل وجدت "السبب العاشر"؟ لا أعتقد.. بل إنني لا أظن أني اقتربت حتى ولو بقليل.. ما أنا فيه

الآن هو إحساس أروع من أن يتخيله أحد.. الحرية والتحليق فوق أهم رمز من رموز الحضارات.. شيء يدعو للشعور بقوة عظيمة لا يتخيلها أحد..

لكنه ليس الإجابة..

وأنا أبحث عن الإجابات لمن يريد أن يضيف شيئًا.. هناك شيء ما ناقص في كل ما أشعره الآن.. والسبب العاشر لابد ألا تشوبه ولو شبهة نقصان..

وأعتقد أن الرحلة ستطول كثيرًا.. إما أن أصل لنهاية الطريق أو لنهايتي أنا.. لا فارق..

باقٍ من الزمن.. عشرة أيام..

#إنستا_حياة#instalife#instamood#الأهرامات#حسين_عارف"

نظرت للصورة في إعجاب وقالت دون أن تدري:

- يابن المجنونة!

وقرأت الكلام ثانية في سرعة.. لم يكن يكتب بطريقته المعتادة.. شعرت أنه يكتب كتأدية واجب أو بلا إحساس حقيقي.. ذكر وسط كلامه أن إحساسه كان ناقصًا.. لكن من أسلوبه في الكلام كان واضحًا أنه لم يشعر بشيء على الإطلاق..

منذ عشرة أيام توقفت عيناها على جملة غريبة كان أول مرة يكتبها منذ أن بدأ..

"باقٍ من الزمن.. عشرة أيام"..

اعتادت أن تقرأ كل ما يكتبه بتركيز.. لذلك توقفت عند الجملة في تعجب.. شردت بعينيها قليلًا ثم شهقت في خوف مباغت وهي تتذكّر.. وبيد مرتجفة ضغطت على تعريف الصفحة.. على أول منشور تمّ وضعه على تلك الصفحة منذ ما يقرب من ثلاثة شهور..

منذ عشرة أيام قرأت (لمى) أول منشور للمرة الثانية لتتذكّر كل شيء..

انقبض قلبها في خوف وتوتر غريب..

هل حقًا يعني ما كتب؟

كيف نسيت - بل وكيف نسي الجميع - أن البداية كانت بتحدٍ؟ كيف نسوا أنه دائمًا ما يقول كلمة "إما أن أصل لنهاية الطريق أو لنهايتي أنا.. لا فارق.."؟ ثم زفرت وهي تتذكّر كلمته.. "لا أحد يقرأ التعريف"..

هل جنّ؟!

نظرت لتاريخ اليوم، ٢١-١٢-٢٠١٤.. باقٍ من الزمن عشرة أيام على انتهاء الشهور الثلاثة..

داعب اللون الرمادي ستائر نافذتها، لكنها لأول مرة لم تلاحظه وهي تذهب مسرعة لأحد الـ(جروبات) الثقافية الشهيرة.. تعوّدت أن تتابع في صمت.. تعوّدت أن تقرأ كل ما يكتبونه وتقرأ جميع التعليقات.. لكنها لا تعلّق أبدًا.. رغم أن من يملكون شخصيتها

يحبون دائمًا أن يتحدّوا كل ما له علاقة بالمجتمع الشرقي "المتخلف" بالنسبة لهم.. يتفوّهون بأسوأ السباب ويعبّرون عن رأيهم بمنتهى الاستفزاز.. دخلت في تلك المرحلة لمدة ثلاثة أشهر بعد الطلاق.. واكتشفت في النهاية أنه ـ ببساطة ـ لا فائدة.. كل من يؤيدها فهو متحرش من نوع جديد اسمه المتحرش المثقف.. يرغب في جنس بلا قيود ولا يؤمن بأي قضية إلا عضوه الذكري.. وحتى لو كان مثقفًا حقيقيًا أو يؤمن بالحريات فعلًا ـ وهذا نادر ـ يقع في حبها بعد أسبوعين تقريبًا..

فقررت "الصمت"..

لأن "الصمت" هو القرار الوحيد الذي يُترك للمرأة أن تأخذه بمنتهى الحرية دون أن يُعلّق عليه أحد..

في ذلك (الجروب) الثقافي كانوا دائمًا ما يضعون الصور التي يرفعها (حسين عارف) على صفحته الرسمية، التي وصلت إلى مليون مشترك في ثلاثة أشهر فقط.. لذا أخذت تقلّب سريعًا لتصل للنقاش حول الصورة الجديدة، لكنها لم تجده.. زفرت في ضيق.. تريد أن تجد من لاحظ نفس ملحوظتها.. أن تجد من يتكلّم بلسانها ويناقش جملة "العشرة أيام".. ظلت تبحث في ملل وتحدّث الصفحة كل ثانية حتى ظهرت الصورة أخيرًا والكلام المكتوب عليها.. ما إن تمّ وضعها حتى حصدت آلاف (اللايكات) في أول خمس دقائق.. وبعض التعليقات المستفزّة التي يجد كل شخص أنه مميز لمجرد أنه يكتبها.. "الواد ده مجنون".. "هو رايح يدوّر فوق الهرم؟".. "إيه المشكلة مانا بطلع فوق السطوح عادي".. "تابعوا صفحة محمد حبيب الله

وادعمونا بلايك".. "يبحث عن أسباب الحياة ولا يعلم أننا لم نُخلق إلا لعبادة الله وحده؟".. "الواد ده ملحد أصلا".. "لو عاوزه ينط من فوق الهرم عشان ترتاح من قرفه دوس لايك".. "بعشقك يا حسين.. انت عيل جاحد".. "خدني معاك يا حسين"..

قرأت التعليقات في ملل.. نفس التعليقات ونفس حالات الاندهاش والكراهية والمحن والبلاهة.. ضغطت على شفتها بأسنانها بحركة تلقائية.. لم يعلّق أحد على الموضوع.. لم يهتم أحد.. شعرت بأنها بعيدة تمامًا عن كل هؤلاء.. كلّهم لا يعرفونه.. يرون أنه مجرد فقرة لطيفة في حياتهم اليومية.. لكنها ترتبط به.. تعرفه جيدًا.. تعرف كمّ السخرية المريرة التي يسطرها بحروفه.. تعرف كم تبدو ابتسامته غير حقيقية..

تحدّت نفسها وحاولت إيجاد أسباب للحياة معه.. في وقت ما كانت تفكّر في الموت باستمرار.. ذلك السؤال السخيف المعقد "لماذا نحيا؟".. ليأتي هو بهدوئه وروحه الحزينة ليأخذها لتحدٍ بسيط.. سيجد عشرة أسباب للحياة.. فوجدت نفسها تنظر لنفسها بخجل.. هذا رجل سيترك كل شيء ليجد أسبابًا تجعلها تحيا..

لقد أصبح هو الأمل.. فكيف ينهيه بتلك السرعة؟

أفكارها السوداء جعلتها تهزّ قدميها في عصبية ونفاد صبر وهي تُشعل سيجارة أخرى، نظرت للمكان المخصّص للكتابة في (الجروب).. رغم كل الشروط التي وضعتها لنفسها بألا تعلّق على شيء.. لكنها لم تستطع أن تترك الموضوع دون ذكر.. اعتدلت على

الفراش في توتر، ثم كتبت بسرعة قبل أن يمنعها عقلها:

"حد لاحظ البوست بتاع حسين عارف؟ حد خد باله من كلمة "باقي من الزمن عشرة أيام؟".. أنا متابعاه من أول ما بدأ.. وهو كان كاتب إنه لو مالاقاش السبب العاشر هاينهي حياته، حد يعرفه يأكد لنا المعلومة؟ هو فعلًا ممكن ينهي حياته بعد ما لقى تسع أسباب؟ هل هو بالعند الكافي إنه فعلًا ينهي كل اللي هو بناه؟ ياريت حد يفيدنا ويتواصل معاه لأنه مش بيرد على صفحته خالص.. #إنستا_حياة #حسين_عارف.."

ضغطت على نشر في سرعة ليظهر ما كتبته أول الصفحة..

وشعرت بالندم على الفور..

بعيدًا عن خمس إضافات وثلاث رسائل ظهرت عندها فجأة..

أكثر من ثلاثة عشر "لايك" في ثوانٍ.. وتتالت التعليقات في سرعة.. "ملحوظة ذكية جدًا.. انتي رائعة".. "مايروح في ستين داهية".. "هو فيه بنات حلوة في الجروب كده؟".. "هو لو شافك هايبقى لقى السبب العاشر أصلا".. "@محمد أمين @العاشق الذهبي تعالوا هنا بسرعة".. "أنا أخدت بالي من الموضوع ده.. ياريت تبصي على الخاص".

أغمضت عينيها في محاولة للصبر.. بالتأكيد هناك شخص محترم.. حتى إن لم يوجد.. مؤكد أن هناك شخصًا ما يعرفه.. أو هناك من يعرف شخصًا يعرفه.. ربما صاحب (الجروب) الثقافي يعرفه.. أي شيء.. أصبح ذلك الإلحاح الذي في قلبها لتعرف يقتلها.. هل هذا

الأمر حقيقي أم إنه سيتراجع ويكتفي بالأسباب التسعة؟ لابد أن يكتفي بهم..

في البداية عند ظهوره حاربه كثيرون.. هناك من قال إن عشرة أسباب رقم كبير.. هناك من قال إنه لا يوجد إلا سبب واحد وهو الأمل في الحياة الأخرى في الجنة لأننا نعيش في الحياة "الدنيا"، والتي هي مرحلة انتقالية من الأساس.. لكنه ظلّ يكتب ما يشعر وما يجمع من معلومات ويتكلّم عن الأماكن التي يذهب إليها ويحلم بها، دون أن يهتم بالردّ على الهجوم.. وكانت تعلم لماذا.. لأنها كانت تفهم جيدًا ما الذي يبحث عنه..

أو ربما فقط تشعر به.. لأن لا أحد يعرف ما السبب الذي جعله يفعل كل هذا..

لابد أن يكتفي بالأسباب التسعة..

تشعر أن كل شيء يُسحب منها فجأة دون أن تستطيع السيطرة عليه.. كأن مساحة الغرفة المظلمة تضيق على صدرها وتجعلها ترغب في الركض إلى أحضان إحدى رواياتها التي تجعلها تخرج من كل شيء.. لكن خوفها الآن كان على شيء أكبر من أن تهرب منه ببضعة أسطر..

خوفها كان أكبر من اللامبالاة المعتادة..

تعملت في صبر كمّ الهزل والضحك على ما كتبته.. فيما مضى كان هناك شباب عاشقون للـ(جروب) ويهتمون به يوميًا ويمسحون أي تعليق يتجاوز الحدود أو يتحرّش بأحد.. لكن شهرة الجروب جعلت

الجمهور يصل لأعداد لا تحصى من كل الثقافات.. وفي النهاية ككل شيء رائع انتهكته أقدام السطحية والابتذال، صار (الجروب) بلا ضابط ولا رابط يمنع أي غبي من التعبير عن رأيه الشهواني فيها!

كم تكره الرجال!

أخذت أنفاسًا عديدة من سيجارتها وهي تتابع التعليقات، حتى ظهر فجأة تعليق مقتضب من عضو قديم تحترم آراءه دائمًا في التعليقات، دائمًا ما يعرف كيف يناقش وكيف يتغاضى عن السيء ويتجاهله، قرأت له مواضيع كثيرة وتعليقات رائعة على الجروب، وجدت اسمه فقرأت التعليق المقتضب الذي جعل قلبها يرقص فرحًا، ووجدت نفسها تأخذ نفسًا عميقًا في راحة لأول مرة منذ قرأت ذلك المنشور..

كان اسمه (عاصم زيدان)..

منذ عشرة أيام كانت أول مرة يوجّه لها (عاصم) كلامًا مباشرًا يبدأ بعده كل شيء..

كتب كلمتين فقط..

"أنا أعرفه"..

* * *

على الشاطئ.. عبثت بقدمها في الرمل قليلًا حتى تفكر في شيء تبدأ به الحكاية.. شعرت بتوتر طفيف مع حيرتها في الإجابة عن السؤال.. مضى وقت طويل منذ الصباح وهي لا تحاول أن تفكر

أي شيء سوى أن النهاية قد اقتربت فلابد أن تستمتع بكل لحظة..

لعبته هذه فتحت مجالًا للذكريات لا تحتملها الآن..

لماذا لم يظلّ صامتًا كما كان؟

قطرات المطر تعبث بوجهها وشعرها في برودة لطيفة.. نظرت البحر الذي بدأ يثور ثانية مع شدّة الهواء.. كأنما يشاركهما ذلك الاختلاف الذي حدث في نفسيهما؛ من السكينة والتقبّل إلى العبث بأدراج ماضٍ قريب..

أخذت نفسًا عميقًا من سيجارتها التي أوشكت على الانتهاء..

لابد أن يمضي الوقت..

سألته ثانية وهي تحاول الإجابة على سؤاله الصعب:

- فاكر أول (بوست) انت كتبته خالص؟ فاكر أول ما عملت الصفحة؟

قال بهدوء وهو يبتسم:

- هذا السؤال لم يكن ضمن شروط اللعبة.. لابد أن تبدئي بـ(متى)؟

كان يهرب هروبًا واضحًا من أسوأ ذكرى حملتها حياته على مدى عمره كله.. سؤالها يعيده مباشرة لفترة يكره أن يتذكّرها ومضى أكثر من ثلاثة شهور وهو يحاول أن يبتعد عنها قدر الإمكان..

هناك أشياء في حياة كل منا.. يظلّ يركض منها طوال عمره ولا

يستطيع الهرب مهما حاول.. تظلّ تطارده مطاردة أسد صبور لغزال أبله..

ولكن سؤالها رغمًا عنه جعله يتذكّر المشهد على الفور..

لعنة الله على العقل وألاعيبه الملتوية..

بل لعنة الله على الذكريات..

قال بسرعة قبل أن تسبقه ذكرياته لأي شيء لا يريده:

- لا أتذكّر..

نظرت له لحظات لا تدري ما تقول، فقال هو ببسمة خفيفة:

- لنسأل أسئلة أكثر سهولة..

وافقت على الفور وهي تبادله الابتسام..

(٥)

غرست (لمى) قدمها في الأرض بقوة، ثم حرّكتها لترى آثارها على الرمل وابتسمت. تشعر من بصمة قدمها أنها تقول "كنت هنا يومًا".. كانت مازالت تفكّر في سؤال، ثم التفتت له وقالت مبتسمة في راحة:

- متى سندرك أننا حاليًا ننتحر فعلًا؟

نظر هو للبحر للحظات وهرش في ذقنه الطويلة، أمسك حصاة وألقاها بقوّته كلّها، لتختفي تمامًا وسط الظلام، ثم نظر لها وأجاب ضاحكًا:

- لا أعتقد أننا سندرك هذا أبدًا..

ضحكت ضحكة قصيرة، فسأل هو على الفور كي لا يضيع وقتًا:

- متى حاولتِ الانتحار أول مرة؟

لاحظ دون أن ينظر لها نظرتها المندهشة، فقال مفسّرًا:

- في مجتمعنا تقريبًا الجميع يفكّر في الانتحار.. ونسبة لا [illegible] حاولت فعلًا الانتحار في فترة ما في حياتها.. وأول [illegible] تكون في فترة المراهقة بالذات..

وألقى بحصاة ثانية، ليسمعا تلك المرة صوت ارتطامها بمياه البحر.. قررت ألا تجادل كثيرًا، فقالت وهي تقلّده وتمسك حصاة وتلقيها مثله:

- وأنا في الرابعة عشرة من العمر.. أمسكت سكينًا وحاولت قطع شرياني..

هزّ رأسه في إدراك، فسألت هي:

- متى كانت أول مرة لك؟

ضحك وهو يجيب في سخرية:

- لم أحاول الانتحار من قبل قط.. كل الحقائق التي قلتها منذ قليل هي من وحي خيالي، ولا يوجد لها أساس من الصحة

شعرت بضيق خفي لم تحاول إظهاره، شعرت للحظة باشتياق لـ(حسن) الذي لم يكذب عليها ولو لمرة واحدة. تكره من يكذب عليها حتى ولو لدعابة ما.. قررت الانتقام بسؤال سخيف، لكنها رأت أن تؤجله قليلًا، في حين استمرّ هو في ابتسامته المستفزّة..

هناك شيء ثقيل في روحه لا تدري ما هو.. لكن ما يثير إعجابها حقًا أنه يحارب هذا الشيء في كل خطوة يخطوها.. وإلا لماذا قرر أن يجد عشرة أسباب للحياة حتى لا ينتحر؟

سألت في هدوء وابتسامة:

- متى ضحكت من قلبك آخر مرة؟

سؤال شخصي تمامًا، بدأ (حسين) في الشعور بالملل من اللعبة التي أصبحت بلا معنى.. كان يريد أن يتحدّى نفسه بأن يجد أسئلة ذات قيمة تبدأ بسؤال صعب كـ(متى).. لكنه اكتشف الآن أنه يحتاج لأسئلة شخصية تجعله يقترب من كل الذكريات المميتة.. ردّ بالجواب:

- لا يوجد من يضحك من قلبه.. هذا خطأ شائع..

يعلم أن ردّه سخيف، وبدا أن (لمى) عرفت أنه لن يجيب أي إجابة ذات قيمة، فأمسكت الصدفة وأكملت رسمها في صمت..

لكنه في الحقيقة لم يكن يذكر متى ضحك آخر مرة من قلبه.. فقال في محاولة أن يعيد الأمل للعبة ميتة من البداية:

- ضحكت من قلبي عندما أدركت تفاهة وسطحية كل ما يحدث حولنا.. بمعنى آخر منذ أن بدأت في البحث عن الحياة..

سألت على الفور سؤالًا آخر دون استئذان:

- متى كرهتها؟

رغم أنه دوره في أن يسأل، لكن سؤالها دق في قلبه رغبة الردّ، ربما لأن هذا هو الشيء الوحيد الذي يريد أن يقوله قبل أن يذهب للأبد..

بالطبع هي تتكلم عن الحياة..

- متى كرهت الحياة؟

ابتسم وهو يجيب لأول مرة براحة لا يدري مصدرها:

- كرهتها عندما أدركت أن هناك نظامًا لابد من اتباعه من أجل البقاء.. لابد أن تظل أحمق مغموسًا في الهمّ حتى النخاع.. لابد أن تسعى لأهداف صغيرة حتى لا تدرك الهدف الأكبر..

ثم أخذ نفسًا عميقًا وهو يكمل شارحًا ببسمة:

- لا أقول بالطبع إن هذه هي الحياة.. لكن هناك مالكًا وهناك مملوكًا.. في البدء كنا نحيا كما خُلقنا.. بلا قيود أو حدود لطبيعتنا البشرية والحيوانية.. ثم مع تطور الزمن تمّ احتلال حياتنا التلقائية من قبل أشخاص يحترفون التحكم.. يتسللون لكِ من خلال كل ما تحبينه، كي يجعلوكِ دائمًا تنظرين تحت قدميكِ.. فكرة الاحتلال والامتلاك هي سبب حروب الدنيا كلها.. ولكن هناك من وضع "نظامًا" أكبر من أن تريه بعينيكِ الضيقة وعقلك المحدود..

ابتسمت ساخرة وهي تقول:

- لم أتخيل أنك مريض بارانويا أبدًا..

هزّ رأسه نافيًا وهو يبادلها الابتسام ويقول محاولًا رفع صوته فوق صوت الهواء الذي يشتدّ:

- أنا لا أؤمن بنظرية المؤامرة.. لكني أؤمن أن هناك عباقرة وضعوا نظامًا ثابتًا على مرّ العصور.. لا يمكن أن تتشابه كل تفاصيل الكون لهذه الدرجة.. حروب دينية وحروب سياسية وظروف كل بلد سواء كانت دولة نامية أو عظيمة.. هناك نظام ما ثابت ولا يتغير.. السؤال الذي أرغب في إ...

حقًا.. هل هذا النظام المغروس فينا من فعل البشر.. أم هو ربّاني بحت؟

نظرت له باهتمام، ربما لاستطراده بهذا الشكل غير المعتاد، ليكمل ملوحًا بيده في اتجاهات مجهولة:

- انظري لما أصبحنا عليه الآن.. سواء على المواقع الاجتماعية أو خلال حياتنا.. كلّنا نشأنا على أفكار ومعتقدات ثابتة ومتباينة.. ثم تجمّعنا بأفكارنا وحياتنا بكل تفاصيلها على صفحات إلكترونية.. تابعي الناس بعقلك ولو قليلًا.. كل أبناء المجتمع الواحد يتشابهون حتى في اختلافهم..

وأكمل مشيرًا بإصبعه لها:

- من جعلنا بهذا التشابه؟ وما هي الحياة إذن لو تأكدت أن كل ما أنت فيه هو الزيف بعينه!

وأكمل وهو ينظر للبحر في شغف ويكمل، متذكرًا كمّ المعلومات قرأها عن حياة الأدباء ليبهر (فريدة):

- هناك عباقرة أنهوا حياتهم عندما أدركوا هذا الزيف.. عباقرة بمعنى الكلمة.. والمثير للتعجب أن كثيرًا منهم ينتمي للأدب.. (يوكيو ميشيما).. (آن سيكستون) و(فلاديمير ماياكوفسكي).. (فرجينيا وولف).. (خليل الحاوي) و(تيسير سبول) و(إبراهيم زاير) و طبعًا (أروى صالح) والدكتور (إسماعيل أدهم).. أسماء لا تحصى كلّها فضلت أن تخرج عن "النظام" وحاولت التحليق بعيدًا عن الحدود الموضوعة..

وأكمل مبتسمًا في هدوء:

- (ياسوناري كواباتا) و(أرنست هيمنجواي).. اثنان حاصلان على جائزة "نوبل".. قمة الحلم لكل أديب فكّر أن يخطّ قلمًا.. انتحرا.. دون سبب.. دون مبررات.. ويتصارع المحللون في التفسير الأكثر منطقية..

وختم كلامه في نبرة لم تفهمها:

- هناك نظام ما لابد أن تعيشي فيه.. هذا النظام ليس هو الحياة. الحياة هي ما أدركها كل هؤلاء.. الحياة شيء أبسط وأمتع من كل ما يُفرض علينا من أنظمة.. أسهل من كل ما يوضع من قوانين بلهاء لا تُسمن ولا تُغني من جوع.. نحن لا نعيش في "الحياة" على حقيقتها.. نحن نعيش في موت دائم..

لم يدرك أن سؤالها سيجعله يتكلم أخيرًا، لكنه أكمل مستمتعًا بذلك الإحساس:

- لهذا أدركت أنني لن أجد السبب العاشر.. ولهذا - من رأيي - انتحر كل هؤلاء.. ليبحثوا عن الحياة بعيدًا عن كل هذا الزيف.. أنا لا أهرب من الحياة.. أنا أحاول أن أبحث عنها في عالم آخر.. بعد أن قتلتها بشريتنا السطحية في هذا العالم.

وأغمض عينيه ليشعر بنسمات الهواء القوية، ويهدأ صدره عن كل ما كتمه منذ فترة..

لم تردّ هي وصمتت تمامًا، تأملته لحظات في خوف.. كلامه يلمس

ولمّا يثير خوفها.. نظرت للرمال واستمرت في الرسم، في حين صمت هو تمامًا وعاد لطبيعته الأولى المتأملة..

نظر لساعته في سرعة، الحادية عشرة إلا خمس دقائق.. اقترب كل شيء لدرجة مريحة..

بقت ساعة وبضع دقائق ليذهب لها ويترك كل ما يثقله في تلك الدنيا البائسة..

ملّ من افتعال حوار معها، نظر لما ترسم في عدم اهتمام، ليجدها ترسم رسمًا كروكيًا لذلك الولد الذي كان معها في الفندق.. ماذا كان اسمه؟ (حسن) ربما..

كانت ترسمه بتركيز غريب، لابد أنها افتقدته أو شيء من هذا القبيل.. لابد أنها تدرك الآن أن الوقت اقترب.. تتذكر كل من لم تودعهم وداعًا يليق بهم.. ابتسم لأنه ودّع كل شيء منذ فترة حتى أصبح بلا أي خيوط تؤلم قلبه عند الرحيل..

هذه الفتاة تتألم قليلًا..

هذه فتاة لم تستعد للرحيل بعد..

- متى قررت أن تنشئ صفحة (إنستا حياة)؟

سألتها فجأة مقاطعة أفكاره، وهي تنظر له تاركة ما ترسمه.. سؤالها غير المتوقع جعل عقله يخدعه ويذهب في كل الذكريات البعيدة دون أن يدري.. فلتت الذكريات من معقلها وانطلقت راكضة في شبق لتتجوّل داخل كيانه كلّه في لحظات..

عرفت (لمى) أنها أصابت وترًا عندما توقف عن إلقاء الحصى، وتجهّم وجهه تمامًا..

ذلك التعبير الذي ارتسم على وجهه جعلها تندم على سؤالها حقًا..

لكنه كان قد ذهب بعقله لعالم آخر تمامًا..

(٦)

ظهر البرق فجأة..

لأول مرة منذ بداية الليل ظهر خيط أبيض عنيف يضرب البحر بقوة، مع شدّة المطر وعصف الهواء، تبعه صوت الرعد الذي يحاول اللحاق به دائمًا في محاولات يائسة لإثبات وجوده..

هل فكّر أحد من قبل أن هناك شجارًا أبديًا بين البرق والرعد على من هو أكثر رعبًا وتأثيرًا؟

لا فارق..

بهتت (لمى) من مكانها في خوف مع رؤيتها للبرق الذي يضرب في البحر مباشرة وارتجفت مع سماع الصوت المدوّي للرعد.. كأنما غضب كل شيء من سؤالها وقرر الثورة.. سألت بتوتر:

- هل نعود للفيلا؟

منذ البداية ينبئ المناخ بتقلّب عنيف.. لكنهما تجاهلاه بقوة.. انتفض جسدها حينما رأت البرق للمرة الثانية في ثوانٍ معدودة صاحبه الصوت المخيف للرعد، فنظرت له بقلق غير محدود..

في حين لم يتحرك هو..

لم يشعر بأي شيء مما يحدث حوله..

لم يبدُ عليه أي تأثر، ولولا المطر لأقسمت (لمى) إن هناك دموعًا محبوسة في عينيه التي شردت في عالم آخر تمامًا..

لماذا يا (لمى) سألتِ ذلك السؤال الأبله..



منذ ثلاثة أشهر، جلس ينظر في حاسوبه الشخصي، في غرفتها التي باتت كئيبة بظلامها الدائم ورائحتها المكتومة الخانقة..

كيف يتغير المكان بتفاصيله التي كان يعشقها، إلى شيء بارد سخيف ممل؛ بمجرد ذهاب من كان يبث الحياة فيه؟

هل يعبّر الجماد عن حزنه أيضًا؟ هل يعبّر عن افتقاده لشخص ما؟ أم إن نظرتك أنت التي ترى الحزن في كل تفصيلة كانت تلمسها؟

"Formidable"..

تلك الأغنية اللعينة التي يدوي صوتها في الغرفة كلها من السماعات الكبيرة..

انسابت دمعة ساخنة على وجنته للمرة الألف، لا يستطيع الاحتمال أكثر من هذا.. شيء ما يطعنه في صدره ويسير على قلبه ببرود وبطء.. ألم متواصل بلا راحة.. لم يحتمل أكثر من هذا فضرب صدره بعنف عسى أن يتوقف الألم ولو للحظة يستطيع أن يأخذ نفسًا فيها..

إنه جحيم بارد كالثلج..

فعل كل شيء دون أن يدري.. لا يتذكّر متى فتح الـ(facebook) وأنشأ الصفحة.. لا يتذكّر كيف أصلًا جاءته الفكرة.. لماذا أسماها (إنستا_حياة)؟ ماذا كان يريد أن يفعل؟ لا يتذكر أي شيء.. كل ما يذكره هو ذلك الألم المتواصل الذي يعبث بأوصال روحه كطفل سادي يلعب بدمية ويقطع أطرافها..

لكن الكتابة كانت تريحه قليلًا من الألم..

هل كان هو من يكتب أم يده؟

كالمعتاد.. لا فارق..

منذ ثلاثة أشهر.. كتب أول كلمات سُطرت في صفحة (إنستا حياة):

"بالتأكيد هناك سبب يجعلني أنشئ صفحة ما..

أشعر أن هناك شيئًا يناديني..

أشعر أنني ذاهب إليه بإرادتي.. وهذا هو أكثر ما يخيفني.. لو كنت ذاهبًا إليه دون إرادة لكان يمكن لعقلي أن يرتاح ولو قليلًا.. فما أكثر الأشياء التي نفعلها دون رغبة منا ونلوم في النهاية على القدر.. اللوم أسهل من الحرب بلا طائل..

الاتكاء على اليأس أجمل بكثير من ألم الفشل وألم تحمله..

أعرف جيدًا أن قليلين هم من يقرأون التعريف بالصفحة.. معظم

المعجبين بالصفحات يضغطون أسهل "لايك" في الحياة ولا يقرأون أي شيء عنها.. تكفي صورة عميقة لاثنين يحتضنان بعضهما عرايا مع كلمة رومانسية لتجد آلاف المشتركين..

لكنني سأعرف نفسي.. ربما لأنني حاليا أكثر من يحتاج هذا التعريف..

اسمي (حسين عارف).. العمر خمسة وثلاثون عاما.. لا يوجد لي ملف شخصي باسمي على الـ(facebook) فلا تحاولوا أن تبحثوا. أعمل في الدعاية الإلكترونية منذ ما يقرب من خمس سنوات (أدمن) في صفحات كثيرة من أشهر صفحات الموقع إلى الآن..

لاحظت ظاهرة عجيبة منتشرة منذ فترة.. وهي ظاهرة (الهاشتاج).. شيء رائع أن تجمع كل ما يكتبه البشر عن كلمة واحدة في مكان واحد ليقرأ شخص غريب كل ما كُتب عن هذه الكلمة. لاحظت أنها أكثر انتشارًا على تطبيق اسمه (تويتر twitter) وتطبيق آخر اسمه (إنستجرام Instagram)..

ولاحظت أننا نستخدمه بغباء شديد..

لاحظت أننا نقرأ الـ(هاشتاج) بنفس_التقطيع المكتوب به في_الجملة_الأصلية! بدلًا من أن نقرأها كلّها كجملة عادية! أصبح هناك (هاشتاج) بعناوين عجيبة، وليس هنا مجال لذكرها.. لاحظت أيضًا أن الغرب يستخدمه لقضية ما.. حتى لو كانت قضية تافهة مثل (أطلقوا سراح الحلمة free the nipple) التي تدعو للمساواة بين إظهار حلمة الرجل وحلمة المرأة! كيف يمنع القانون المرأة من إ

أظهر صدرها ولا يمنع الرجل؟ هل تضحكون؟ لقد أصبحت الآن قضية رأي عام وتحوّلت إلى فيلم أمريكي كبير..

معلومة بلا قيمة لكنكم ستعرفون فيما بعد أنني أعشق ذكر معلومات بلا قيمة حقيقية.. لأن في قاموسي لا توجد معلومة واحدة لا تستحق.. كل المعلومات يومًا ما سيأتي وقت وتظهر لها فائدة ما!

فكرت للحظة.. لماذا لا أناقش شيئًا هامًا؟ شيئًا قد يتحوّل لقضية رأي عام أهم من حلمات النساء.. أهم من مجرد صور شخصية في الحمام أو كلمات عاطفية حزينة عن مدى بؤس الحياة.. أهم من لقطات الأفلام والصفحات الكوميدية والدينية العجيبة..

ليست لدي أي خطط مسبقة.. لم أُحضّر لأي شيء.. تعودت منذ صغري ألا أفكّر كثيرًا في تفاصيل ما أريد أن أفعل.. تعودت أن أفعل وأترك التفاصيل وحدها لأفكّر فيها وأحلّها.. بالتالي أنا أكتب هذا الكلام دون ترتيب أو تفكير حقيقي..

فقط قررت أنني سأبحث عن إجابة لسؤال..

هو سؤال بسيط لدرجة الجنون.. لكن الإجابة مؤسفة لدرجة لا تصدقها

هل تستطيع أن تجد عشرة أسباب للحياة؟"

* * *

"(الجنون)"..

صرخت بها (لين) في خوف، فانتزعته من ذكرياته السوداء، رمقها

لثوانٍ لا يعرف لماذا تركض هكذا، ثم نظر للبحر ليجد ما جعله يتسمر من المفاجأة.. موجة هائلة الحجم تقترب بقوة، و(لمى) تركض مبتعدة عنها، نهض مسرعًا ليركض خلفها مسرعًا، حاول أن يداري جسدها بجسده كحماية مؤقتة تلقائية لم يفكر حتى في أسبابها..

فالمنطق يقول إن من المستحيل أن يحميها جسده من الموجة..

كيف لم يشعر بكل هذا؟

ولماذا تعيقهما الرمال السخيفة؟

كيف كانا يستلقيان أمام البحر مباشرة، ويعلن البحر غدره في ثوانٍ معدودة هكذا؟

أو ربما يعلن غضبه لعدم ارتواء الزهرة الذابلة بمياهه المالحة..

فقرر الإطاحة بكل شيء..

الوقت كان قصيرًا جدًا كي يبتعدا مسافة كافية تبعدهما عن قوة الموجة..

والمسافة كانت أقرب..

ضربت الموجة الهائجة قدميه من الخلف ليقع على ظهره ويفقد توازنه دون أدنى مقاومة، ويشعر بالموجة تدفعه معها..

لكن لم تكن تلك هي المشكلة..

كانت الموجة من الضخامة لدرجة أنه لم يستطع لمس الأرض، فوجئ بها تسحبه بقوة إلى البحر دون مقاومة، حاول بشكل بائس

أن يخرج رأسه من المياه مقاومًا سحب الموجة، وشعر بجسد يضربه ويزيد من سرعة سحب البحر..

البحر عندما يناديك لا يقبل بالرفض أبدًا..

ضرب بيديه وقدميه المياه الباردة الثقيلة، ثم سأل نفسه سؤالًا منطقيًا..

لماذا يقاوم؟

بل لماذا يحارب أي شيء؟

ألم يأتِ هنا ليترك نفسه للبحر من الأساس؟

لماذا يقاوم؟!

* * *

منذ ثلاثة أشهر كانت يده تكتب مكملة، بهدوء لا يعترف بما يشعر به قلبه من ألم شديد..

"هل وجدت؟ أم ترى توقفت عند رقم ثلاثة أو خمسة؟

لا أريد إجابات سطحية مثل "من أجل العبادة.. أريد الذهاب للفردوس.. كي أرعى أولادي.. كي أؤدي رسالتي".. هذه الأخيرة هي أسهل الأجوبة.. لكن هل تعرف ما هي الرسالة؟ كيف تحددها وأنت لا تعلم من الأساس لماذا خُلقت ولماذا أتيت لهذا العبث؟

إن كان هذا ما يجعلك تنام في الليل مرتاحًا، فهنيئًا لك..

لكني أنا على الأقل لم أعرف رسالتي بعد!

كيف أعرف رسالة لا يوجد مرسل لها، ولا يوجد عنوان ولا اسم؟

ما هو الهدف من كل هذا؟

كي لا أطيل عليكم بكلام لن يغير شيئًا داخلكم أو داخلي..

أنا تحديت نفسي أنني سأجد الأسباب العشرة.. في مدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر.. تركت كل ما يرتبط بي في الحياة العملية اللاهية.. تركت كل شيء وسأظل لمدة ثلاثة أشهر أبحث كل يوم عن أسباب.. ولن أخبركم بها بالطبع..

لماذا؟

طبيعة عملي في الأساس أن أراقب الناس.. أن أعرف ما يحبون وما يكرهون كي أستطيع أن أصل إليهم بأبسط الدعاية الممكنة..

هل تعرفون ما لاحظته؟

أن الجمهور في مجتمعنا ينتمي لثلاثة أنواع.. نوع يريد إجابات سهلة سريعة لكل مشاكله في الحياة. ونوع لا يستطيع الإجابة على أي شيء ولا يبحث عن حل من الأساس، وبالتالي لا يرضيه شيء، ينظر للتوجه العام وينتقده كي يبقى مختلفًا. ودائمًا ينتقد الآخرين على تفاهتهم "لأنهم لا يفهمون عبقريته".. والثالث هو الذي يبقى بين الأول والثاني كي يصالح بينهما..

حسنًا، الحقيقة التي لا يعرفونها أننا نلعب على الأنواع الثلاثة، وأكثر من يفيدنا في الدعاية هو النوع الثاني!

فكرت كثيرًا هل أشاركم أسبابي أم لا.. ووجدت الإجابة بسيطة رغم صعوبتها.. كل منا له بصمة روحه الخاصة بكل التجارب التي خاضها.. لن تتشابه الظروف.. ولن أكون ذلك الشخص الذي يعطي إجابات سهلة كي يأخذها النوع الأول دون تفكير، وبعدها يسلخه الثاني في مناقشات سفسطائية عن الأسباب نفسها وعن مدى صلاحيتها..

قررت أنني سأشارك الجميع في رحلتي فقط.. سأجعلهم يفكرون معي.. عسى أن يجدوا إجابة غابت عن عقلي السطحي البسيط!

هذه الصفحة مربوطة مباشرة بصفحة أخرى على تطبيق (Instgram).. سأضع الرابط في الأسفل.. سأرفع عليها كل ما أتوصل إليه يوميًا..

هل سأصل لشيء؟ هل سأصل لعشرة أسباب كاملة؟

لا أدري..

كل ما أعرفه أنني في آخر يوم من الشهر الثالث.. لو لم أجد شيئًا.. أو حتى لو وجدت تسعة أسباب ولم أجد العاشر.. ستتحوّل هذه الصفحة لشيء لا أريده..

ستتحوّل تقريبًا لدعوة للانتحار..

لأنها معادلة بسيطة للغاية.. لو لم أجد الأسباب العشرة سأتركها وأرحل عنها وعن عبثها وأنا مرتاح الضمير ورائق البال..

لأنني لحظتها.. سأدرك وعن يقين.. أننا نظلم أنفسنا جميعًا، بأن نعيش في حياة بلا قيمة..

حياة عبثية بلا عشرة أسباب منطقية.. يقابلها مائة سبب منطقي تمامًا للموت..

هل ستحترم حياة لا تستطيع الصمود أمام منطقية الموت؟

هل تستحق؟

حسين عارف..

#إنستا_حياة.."

هل شعر براحة بعد أن ضغط زر النشر؟

لا يدري..

لكن الألم توقف..

وهذا هو كل ما يهم الآن..

* * *

شعر بالسحب يتوقف فجأة ويستقر جسده أخيرًا، لكن إحساسه لم يدم لثوانٍ معدودة عندما أتت موجة أخرى ودفعته بقوة ناحية الشاطئ..

دون أن يدري انتظر حتى لمس جسده رمالًا ما فتمسك بها بقوة.

فقدت الموجة قوتها وانحنت عائدة للبحر كراقصة تنحني بتواضع ماجن لجمهور يصفق بإعجاب..

سعل بقوة ليخرج الماء المالح العالق بحلقه.. مازال على الشاطئ ولحسن الحظ لم تسحبه الموجة داخل البحر..

أو لسوء الحظ..

نهض ببطء شديد من التعب والإرهاق وهو يسعل بقوة، رغم الأمان الذي شعر به لكنه لم يكن سوى أمان مؤقت.. فلن تفوت دقائق أخرى حتى تأتي موجة ثانية أقوى وأعنف.. غطت السحب القمر فأصبحت الرؤية صعبة قليلًا..

كم يكره البحر ويكره غدره اللعين..

ويكره السبب الرئيسي والأول في رحلة بحثه عن الأسباب العطرة للاستمرار في الحياة..

الخوف من الموت..

الخوف من ذلك المجهول بكل قواعده المختلفة..

بدأ يسير بسرعة مبتعدًا عنه قدر المستطاع حتى لا تأتي موجة أخرى جديدة.. ثم أدرك شيئًا فجأة جعل جسده كله يرتجف في خوف، وهو يتوقف عن السير تمامًا وينظر للبحر ثانية..

أين (لمى)؟!

(٧)

"(لمى)"..

صعدت من حنجرته عالية مرتجفة لأن جسده كلّه بدأ في الارتجاف من البرودة الشديدة..

لا يدري هل هذا من ظلام الليل أم ماذا لكنه لا يرى لها أي أثر على الشاطئ.. أخذ يدور حول نفسه في محاولة لاختراق الظلام بعينيه لكنه كان بلا جدوى..

لثوانٍ أضاء البرق المكان كلّه فبحثت عيناه بقلق أكبر عسى أن يلمح جسدها..

صرخ ثانية:

- (لمى)..

جاوبه الرعد والمطر وهدير البحر ببرود أنه لا فائدة من صراخك البشري الضعيف..

نحن أقوى..

شعر بفراغ غريب.. لم يكن يرغب في وجودها.. كانت (لمى) مصدر إزعاج لسلامه النفسي.. لكنها جاءت.. اختارت أن تكون معه في آخر يوم.. كان (آدم) يعيش في الجنة بسلام آمنًا من كل شيء ويعيش نعيمًا حقيقيًا، لكن كان هناك شيء يفتقده..

أي جنون كان سيصيبه لو خُلقت (حواء) يومًا واحدًا ثم اختفت بعدها تمامًا؟

لأول مرّة منذ فترة عزلته التي استمرت ثلاثة أشهر.. يشعر أنه وحيد..

رغم جنون الشعور وعدم منطقيته، لأنه لم يشعر بأي شعور ناحيتها سواء كان سلبيًا أو إيجابيًا.. لكنها أصبحت رفيق رحلة.. أصبحت روحًا تشاركه بعضًا مما يشعر..

يبحث داخله عن أي سبب يدعوه للبحث عنها ومحاولة إنقاذها ولا يجد.. تلك اللحظة التي تكتشف فيها تناقضك النفسي عندما تواجه جزءًا من ذكريات بشعة..

ليس ثانية..

ليس ثانية..

بدأ يبحث بعينيه في جنون وهو يتجاهل أفكاره كلّها، رغم أن موجة ضخمة أخرى أطاحت بالشاطئ، لكنه لم يعبأ، وداخله كلمة واحدة فقط تدوي في عقله وتتكرر كألف طلقة مدفع، والذكريات تدافع في عشوائية غير منطقية رغمًا عنه..

لا..

ليس ثانية..

ليس ثانية..

* * *

"لعنة الله عليك.."

قالها ضاحكًا لها في ذلك الكافيه في يوم آخر منذ ثلاث سنوات.. نظرت له (فريدة) في ترقب شديد ولم تضحك، فقال بسرعة:

- الرواية أكثر من رائعة!

نظرت له مندهشة وسألته:

- هل قرأتها كلها في يوم واحد؟

أومأ برأسه إيجابًا، ثم قال في غيظ حقيقي:

- لماذا أنهيتها نهاية مفتوحة؟ أنا أكره النهايات المفتوحة التي لا يجيب الكاتب فيها عن أي أسئلة ويترك النهاية للقراء.. أعتبره أسلوبًا سخيفًا وأرى حينها أن الكاتب يهرب من النهاية الحقيقية..

قالت مبتسمة:

- ليس هروبًا صدقني..

ثم أكملت بشرود لم يلحظه:

- هناك أشياء لم يُكتب لها نهاية بعد..

* * *

j'étais fort minable

Nous étions formidables

* * *

في مسجد الشرطة، التفّ الجميع حولهما وهم يبتسمون في سعادة..

قال المأذون بصوته الوقور:

- بارك الله لهما.. وبارك عليهما.. وجمع بينهما في الخير..

ردّد الجميع بصوت هامس من جلال اللحظة:

- بارك الله لهما.. وبارك عليهما.. وجمع بينهما في الخير..

وتبادل هو و(فريدة) نظرة تقطر سعادة..

وبدون خجل احتضنته أمام جميع الناس، ليضحك هو ضحكة لن تتكرر ثانية..

* * *

formidable

* * *

صرخ ثانية بأعلى ما في صوته عسى أن يُخرس كل الذكريات التي تتسابق على عقله بدون ترتيب منطقي:

- (لمى)..

داست قدمه على "الملاك" الذي رسمه منذ فترة على الرمل.. كان هذا الرسم الطفولي بعيدًا عن البحر بمسافة طويلة.. كيف اقترب البحر من الرسم في دقائق معدودة؟ بل كيف ينقلب كل شيء في أسوأ لحظات في العالم..

صرخ للمرة الألف:

- (لمى)..

ولكن صراخه فشل في كل مساعيه.. فشل في أن تسمعه الفتاة.. وفشل في أن يخرس الذكريات التي تأتي في أسوأ وقت ممكن أن تقتحمه فيه..



قال (حسين) في سرعة ليدافع عن وجهة نظره بعد ردّها المستفز:

- ما هي النهايات التي لم تُكتب بعد؟ فتاة قررت أن تنتحر.. حياتها بلا معنى ومرّت بكل الأمور السيئة التي يمكن أن تقابلها فتاة.. بين موت أبيها وحقارة أمها وهروبها من البيت والحياة الصعبة.. تظلّ طوال الرواية تتحدث عن أسباب الموت التي تقابلنا في كل مكان وفي كل موقف.. تضع قاعدة في حياتها أن الموت ينتصر على كل شيء.. وفي المكان الذي تذهب إليه لتنتحر تقابل فتى أحلامها الذي يقنعها أن الحب ينتصر على الموت.. يثبت لها هذا بكل الطرق وفي النهاية يطلب

منها الزواج.. لتنهي أنتِ الرواية بجملة سخيفة جعلتني أرغب في إلقاء الرواية بعيدًا.. البطلة تريد أن توجّه السؤال للقارئ.. تريد منه أن يجاوب السؤال.. هل ينتصر الحب فعلًا على الموت؟ ثم ذلك التحدّي اللعين.. "إن كنت ترئ الحب فعلًا ينتصر على الموت"..

ثم أكمل وهو يمسك رأسه من الانفعال ويبتسم:

- "أثبت".. لم أرَ روائيًا ينهي الرواية بتلك الكلمة المستفزة أبدًا..

ابتسمت لذلك الانفعال الذي يتحدث به، ليكمل (حسين) حديثه بحماس وابتسامة صافية:

- لكنها من أروع وأصدق ما قرأت.. أنا عشقتها..

قالت هي ناظرة لعينيه السعيدة وداخلها فرحة غامرة لإعجابه بالرواية:

- السؤال لم يكن موجّهًا للقارئ..

اعتدل في جلسته في عدم فهم، في حين أكملت وهي تنظر له نظرة عاشقة، خائفة:

- السؤال كان موجّهًا لك أنت..

بطريقتها المعتادة في البوح.. لا تتكلم مباشرة وتتركه ليفهم هو الشيء، فتراجع في جلسته وهو ينظر لها..

الفتاة التي تفكّر في الانتحار في الرواية هي (فريدة).. وتريد أن تجعله يُثبت لها ما ترفض هي تصديقه..

ضاقت عيناه في عدم تصديق، الكلام يقال بسرعة وبساطة لكن له وقعًا غريبًا على القلب.. أكملت كأنها تريد أن تتخلص من ثقل يطبق على صدرها:

ـ هل تستطيع الاجابة على السؤال؟ هل ينتصر الحب على الموت؟

* * *

لا..

ليس ثانية..

ليس ثانية..

* * *

منذ عامين بعد كتب الكتاب بأيام قليلة.. على هذا الشاطئ الخاص في الساحل.. في نفس هذا المكان أمام هذا البحر.. افترشا الرمال وقبلها قبلة طويلة.. روح البحر كانت مختلفة.. كانت الشمس تغرب وتلوّنت السماء بلون أحمر خفيف.. كل شيء هادئ لدرجة تجعله يذوب فيها أكثر كل لحظة..

منذ عامين كان (حسين) ينظر لـ(فريدة) بعشق لم يعرفه سواها..

نهضت (فريدة) مسرعة من فوق الرمال.. رغم أنه شاطئ لا يراهما فيه أحد.. إلا أنها كانت لا تُحب أن تمارس أي نوع من أنواع العاطفة خارج جدران المنزل..

وقفت تبلّل قدميها بزبد البحر الرائع.. لفّ ذراعيه حول وسطها

وسألها وهو ينظر لغروب الشمس:

- هل أجبت على سؤالك بعد؟

نظرت له لحظات، ثم نظرت للشمس ثانية وهي ترد ببسمة جذلة:

- ليس بعد..

رمقها بغيظ، ثم حملها فجأة لتطلق صرخة ضاحكة، ودخل بها في مياه البحر حتى وصلت المياه لوسطه تقريبًا، وهي تضحك وتلف ذراعيها حول عنقه في سعادة..

قال لها مازحًا:

- لو لم تعترفي الآن أن الحب ينتصر على الموت.. سألقيك هنا بملابسك..

صرخت فيه وهي تضحك:

- الحب ينتصر.. الحب هو المنتصر الوحيد..

لا يهم أيا ما قالت وألقاها في المياه المالحة في قوة، لتشهق هي ثم تسقط في الماء بعنف..

* * *

Tu étais formidable

j'étais fort minable

Nous étions formidables

* * *

منذ عام ونصف ابتسم في حنان..

تأملها وهي تفتح هديته الملفوفة في منزلهما.. ما إن فتحت الهدية حتى شهقت من المفاجأة.. وهي تمسك رواية ورقية داخل العلبة.. حملتها بين يديها بلهفة لتجد غلافًا رائعًا مكتوبًا عليه:

"الموت هو المنتصر الوحيد".. رواية.. (فريدة المنياوي)..

قلبتها على ظهرها، لتجد ما جعل عينيها تتسع في عدم تصديق..

قرأت "الموت هو المنتصر الوحيد.. رواية تأخذك في عالم آخر وتجعلك طوال وقت القراءة تسأل نفسك لماذا لم أفكر في هذا من قبل؟ رواية تتنفس.. أنصح الجميع بقراءتها.."

إمضاء كاتب شهير..

صرخت في فرحة وهي تركض نحوه وتحتضنه..

احتضنها بحنان يحتوي حتى أنفاسها..

رفعها من الأرض قليلًا كعادتهما عندما يتعانقان، ثم قال مازحًا:

- أنتِ أكثر سعادة من يوم زواجنا..

ضحكت في مرح وهي تتركه وتنظر للرواية ثانية، قال لها وهو يربت على كتفها:

- اتفقت مع دار نشر ستصدر لك الرواية.. كنت أحضر في هذه المفاجأة منذ أكثر من أربعة أشهر.. الرواية ستصدر في معرض الكتاب، أي بعد شهرين..

مع كل تلك الأخبار المفرحة ظلّت فاغرة فاها وعيناها تلمع في فرحة غريبة.. لا أحد يستطيع أن يصف ذلك الإحساس الغريب عندما يمسك الكاتب أول عمل له وهو مطبوع..

نظرت له نظرة لم ينسها حتى الآن..

* * *

ليس ثانية..

ليس ثانية..

* * *

منذ خمسة أشهر.. على نفس هذا الشاطئ..

صرخ (حسين) في قلق عارم:

- (فريدة)..

ذلك الإحساس الذي ينذرك بمصيبة قادمة، ولا تدري مصدره..

إنه ذلك القلق الذي يعبث بمؤخرة رأسك.. تشعر أن كل شيء يسير في اتجاه خاطئ.. تشعر أنه من بعد تلك اللحظات كل شيء سيتغير للأسوأ.. الشاطئ الخالي لا يدلّ إلا على ما هو أفظع من أن يعتقد..

إنه قمة التشاؤم ومواساة الأمل يحتار كل شيء فيك..

تلفت حوله وهو يلهث.. مسح بعينيه الجزعة الشاطئ كلّه.. وعندما لم يجد أثرًا، ركض على اللسان الطويل الذي يخترق البحر

كسيف مسلول.. ركض بسرعة لم يعرف أنه يستطيع بلوغها.. حتى وصل لنهاية اللسان ونظر للبحر كمن يبحث عن قلبه..

حتى رآها..

رأى جثة طافية بلا حول ولا قوة.. رداء أبيض كالملائكة تُحرّكه الأمواج بلا أدنى مقاومة..

هل تموت الملائكة؟

سقط على ركبتيه وهو ينظر في عدم تصديق.. تمتمت شفتاه باسمها عشرات المرات في الثانية الواحدة.. ألم لا يحتمله بشري اعتراه، وقد شعر أن سكينًا باردًا قسمه نصفين بضربة غادرة..

يقولون إن الحياة تمرّ كلّها أمامك بسرعة غريبة قبيل الموت.. لم يدرك أن حياته كلّها معها ستمرّ أمام عينيه وهو يراها أمامه، فاقدة لأكثر ما عشقه فيها..

روحها..

هزّ رأسه بقوة كأنما ينفض كل المشاعر داخله، ودون أن يفكر في البحر حتى يلحق بجسدها قبل أن يذهب لمكان أبعد..

المكان الذي سبقته روحها إليه..

* * *

سكتت الذكريات تمامًا بعد آخر ذكرى..

حتى عقله استسلم لذلك الألم الذي أطاح بفؤاده..

توقفت كل الذكريات والمشاعر ولم تترك إلا إحساسًا واحدًا مقيتًا..

غضب..

ليس ثانية..

ساعة وبضع دقائق وينتهي كل شيء..

لن يهدّ خطته شيء حتى لو كان البحر ذاته..

دون أن يفكّر، نظر للبحر الهائج وصرخ فيه بأقصى ما يستطيع:

- لن أسمح لك بأخذنا في الوقت الذي تريده!

وكرّر بغضب أكبر:

- لن نذهب إلا في الوقت الذي نريده نحن!

ودون تردد أو لحظة تفكير.. وبغضب كاسح.. ركض نحو اللسان الطويل في مشهد تكرّر بعد أن كان قد أقسم ألا يجعله يتكرّر.. ركض طول اللسان وصوت قدميه يعلو على صوت المطر.. طوال ركضه يظر للبحر بإصرار كأنما ينتظر شيئًا ما.. وبالفعل لم تمر ثوانٍ حتى أثار [illegible] المكان كأنما استسلم كل شيء خوفًا من غضبه.. ليلمح ذلك [illegible] الذي يقاوم الموج من بعيد..

في مشهد يتكرّر بكل آلامه وسخافته ومشاعره القاتلة..

عقاب أبدي..

(سيزيف) بُعث من جديد..

ما إن وصل لنهاية اللسان حتى قفز في البحر وارتطم بمياهه الباردة بعنف..

(٨)

ظلام..

مطر..

بحر ثائر لا يعرف الرحمة..

العناصر المثالية لكابوس بشع يتمنى أي عاقل الاستيقاظ منه..

إلا هو..

اختفى جسده تمامًا للحظات تحت الماء البارد.. شعر أنه يرتطم بحائط من الثلج جعل جسده كلّه يتجمد.. الماء الثقيل يجعل حركته بطيئة.. غاص قليلًا ثم ارتفعت رأسه فجأة وهو يضرب الماء بيديه، أخذ نفسًا عميقًا ملأ به صدره وهو ينظر حوله ليتأكد من المكان الذي رآها فيه قبلًا.. ثم بدأ يسبح في اتجاه جسدها الذي يبتعد كل ثانية.. سبح بقوة لم يعهد وجودها في روحه منذ فترة، سبح ناحيتها مقاومًا غير مبالٍ بما يضعه البحر من عوائق.. الموج العالي والهواء الشديد والمطر المنهمر الذي بدا كما لو أنه تحوّل إلى مطر ثلجي يرتطم برأسه كالحصى المنهمر..

كيف ابتعد الشاطئ لتلك الدرجة؟

منذ سويعات قليلة كان يبتسم في بلاهة وهو يرمق الملاك الذي رسمه بجسده كالأطفال.. منذ سويعات قليلة كان يشعر بسلام نفسي غريب مع اقتراب النهاية.. كان يلعن وجودها لأنه يفسد كل شيء داخله..

هل هناك حكمة ما في جعلك تواجه ما تواجهه الآن؟ هل هو اختبار لما سيحدث بعد ساعة واحدة؟ لماذا تعجّل الموج مواجهة كانت ستأتي رغمًا عن الجميع؟ لماذا لا يحدث أي شيء كما يريد؟ لماذا تعانده كل التفاصيل ولا تجعله يمضي في سلام؟

لعنة الله على الغضب الذي يملأ كيانه..

شعر بالندم ألف مرّة لأنه وافق على مجيئها من الأساس.. لماذا جاءت كي تجعله يعيش كل جزء من الألم ثانية؟

لماذا يا (لمى)؟

ضرب الماء بقوة أكبر كي يصل قبل أن يثور البحر أكثر، أدرك أنه في عمق من البحر يختفي فيه الطول تمامًا، أدرك أنه كلما تأخر يجد الفتاة على قيد الحياة.. الفتاة التي جاءت لتموت معه بسهولة لأنها لا ترغب في الحياة من الأساس..

للحظة أغمض عينيه وشعر أن الدنيا كلّها صمتت معه.. صدمه السؤال السخيف كعربة مسرعة حمقاء..

ما الفارق؟

هل ستنقذها وتنقذ نفسك من أجل ساعة واحدة تقفز بعدها من نفس المكان ساعيًا للموت والخلاص؟

هل ستترك عنادك البشري يتكبر على الحقيقة الواضحة؟

خفت ضرباته لا إراديًا وكل الأفكار تضرب عقله في لحظة واحدة.. مستوعبًا حقيقة أخفاها الغضب عنه تمامًا.. لابد أن لحظة كتلك هي التي جعلت (نيوتن) يكتشف الجاذبية.. لحظة كتلك هي التي جعلت (أرشميدس) يكتشف قانون الطفو..

ما يطلق عليه الفلاسفة "لحظة التنوير"..

ماذا بعد؟

ها أنت ذا عدت لنفس السؤال الذي حدّد كل شيء عن آحد ... في الحياة..

الحلم؟

ماذا بعد؟

ما الذي يجعل العجلة في هذه الحياة تستمر؟ أليست هي الأهداف ... التي يشغلك الجميع بها من أجل ربطك بأرض الدنيا بأسوار ...؟ أليس هذا السؤال "ماذا بعد؟" هو الذي يجعلك تفعل ... دون أن تدرك سببًا حقيقيًا؟ تحلم وأنت طفل أن تكبر.. ... "ماذا بعد؟".. فتحلم وأنت طالب بشهادة تُعرّف الدنيا ... نفسك "ماذا بعد"؟ فتحلم وأنت شاب أن تعمل.. ثم ...؟".. فتحلم وأنت رجل أن تتزوج.. "ماذا بعد؟".. تحلم

بأن تُنجب أول طفل.. ثم ثاني طفل.. ثم تحلم بأن يكونوا هم أفضل الناس.. ثم تكبر لتكتشف أن كل ما حدث..

كل ما فعلته وحاربت عمرك فيه.. كل هذا لم يكن حلمك أنت.. بل حلمهم هم! أنك في كل مرة سألت فيها "ماذا بعد؟" كانوا هم من يجاوبونك أو يلقون في طريقك ما يجعل الاختيارات محدودة؟

خُلقنا لنحلم..

تريد أنت أن تنقذها..

"ماذا بعد؟"

لماذا لا تترك نفسك وتُغمض عينيك وتترك كل شيء في الدنيا المقيتة خلفك؟ ولماذا تُكابر وتُصرّ أن تنتظر حتى تمضي ساعة من الزمن؟ ما أهمية الزمن من الأساس في أي شيء من العبث الذي يحدث كل يوم؟ هل هناك حقًا قيمة ما في دقائق معدودة؟

والسؤال الأكثر سخفًا.. هل هو قرارك حقًا؟ أردت أن تنهي عمرك كلّه في منتصف الليل مع بداية عام جديد.. هل عنادك يأبى الاعتراف أنك لست بالأهمية الكافية لتختار الوقت؟

الحادية عشرة مساءً الآن.. هل تفرق حقًا ستون دقيقة؟

أصبحت ضرباته بلا قوة حقيقية.. وتناقصت سرعة جسده في السباحة.. كأنما تُثقل الأفكار روحه وتجعل سرعته أبطأ بكثير

كيف تُحارب موتًا أنت ماضٍ نحوه بإصرار دام ثلاثة أشهر كاملة

تحاربه لمجرد اختلاف بسيط في دقائق تافهة؟

ثم ماذا عن (لمى)؟

هل لو أنقذتها ستشكرك مثلاً؟ هي تريد الموت معك.. فهل لو أنقذتها لسبب أبله مغرور مثل "اختيار الوقت".. هل ستشكرك أم ستلعنك لأنك ستجعلها تمر بكل هذا الرعب والعذاب ثانية؟

قد تصرخ فيك لأنك لم تدعها تمت في سلام..

منذ يومين فقط قالتها له..

"أنا عايشة كل يوم في فضيحة وسخة مش أنا السبب فيها.. عايشة عشان أرضي ناس مايستحقوش يعيشوا أصلاً وفيهم بلاوي الدنيا والآخرة.. ناس ناسية دينها وعايشين عشان يرضوا الناس التانية بس.. عالم عايش على فكرة لازم منظرنا يبقى كويس وخلاص.. حتى لو كدبنا وقتلنا وسرقنا.. بس أهم حاجة منظرنا يبقى كويس قدام الناس التانية.. أنا مش عاوزة أعيش فيها لحظة تانية لأي سبب كان.. كل حاجة مزيفة وكل حاجة مالهاش طعم وكل حاجة عبارة عن كدبة كبيرة وماحدش راضي يصدّق إنها كدبة.. أنا عاوزة أموت امبارح قبل النهارده.. بس أنا أجبن من اني أموت لوحدي.."

لقد اختار القدر اختياره..

كانت خائفة.. ربما كانت ستجبن في لحظة الحقيقة وتُفسد كل شيء.. ربما اختار البحر أن يجعل الأمور أسهل بالنسبة لها.. وأنت تقاوم من أجل غضب أعمى وعناد غبي..

شعر أن حرارة غضبه انطفأت مع برودة المياه.. غمرت المياه المالحة فمه وأنفه لكنه لم يعبأ وهو ينظر في الاتجاه الذي رأى جسدها فيه..

لمع البرق ثانية في قوة ليراها ثوانٍ قصيرة لكنها زادت من حيرته.. بدا عليها أنها ملّت المقاومة.. بدا عليها أنها استسلمت..

أمامك فرصة واحدة..

أمامك فرصة لترك كل شيء يذهب بعيدًا في سلام..

الماضي.. الحاضر.. الأخطاء.. البشر.. الزيف.. الوهم.. الحب.. الألم..

كل شيء..

توقف عن السباحة تمامًا وهو ينظر لكل شيء حوله.. في اعتراف ضمني أنه لم يجد شيئًا يجعله يستمر في محاولة إنقاذها..

فقط.. توقف..

شعر بخدر يجتاح أطرافه من برودة المياه، واهتزازات طفيفة جعلته يُغمض عينيه كمريض بدأ المخدر يحتل عقله..

ويذهب به لعالم آخر..

خفقات قلبه.. سرعة تنفسه.. غضبه.. حتى ذكرياته المؤلمة..

كل شيء هدأ تمامًا..

ولأول مرة منذ فترة طويلة شعر براحة تملأ كيانه..

وابتسم..

هل اختفى الألم أخيرًا؟

* * *

احمرت وجنتاها خجلًا بعد ما قاله، وابتسم هو في شوق الانتظار، لتخفض رأسها وتقول في ملائكية لا يعرف سرّها سواها:

- وأنا أحبك..

ملأت البسمة وجهه، ثم قال مازحًا:

- بحبك أحلى.. أنا موافق على إن كل حاجة تبقى بالفصحى ومفيش أي مشاكل.. بس شرطي الوحيد إن بحبك تبقى بالعامية لحد ما نموت..

ضحكت من قلبها، ثم قالت وهي تُحاول التغلّب على خجلها الشديد:

- بحبك!

ليصيح هو بصوت عالٍ:

- الله أكبر!

* * *

بدأ الموج يُحرّك جسده دون مقاومة، وابتسامته تتسع في راحة.. لأول مرة منذ عام كامل يتذكّر لحظاتها السعيدة التي لا يفهمها أحد سواهما..

هل هكذا تبدو السعادة؟

كم افتقدها..

كانت تعشق البحر.. كيف كرهته أنت؟

لا يهم الآن..

أغمض عينيه في استمتاع لم يشعر به منذ فترة أطول مما يتخيل..

❋ ❋ ❋

نظر لها وهي مستلقية على الأريكة تلعب في هاتفها لعبة تعشقها.. هناك (أباجورة) صغيرة تُضيء كل شيء لأنهما يعشقان الإضاءة غير المباشرة.. تجعل كل شيء يبدو حميميًا، ويصنع جوًا ساحرًا تعرف هي كيف تخلقه جيدًا..

ظلّ ينظر لها في عشق.. يشعر دائمًا أن رؤيتها تكفيه.. تذهب بكل الهموم وبكل مساوئ الدنيا بعيدًا عن قلبه، ولا تترك داخله إلا حبها المجنون..

نظرت له لتجده يتأملها، فابتسمت في حنان وهي تنظر لعينيه مباشرة، وتسأل مداعبة:

- لماذا تنظر لي هكذا؟

ليبتسم هو ويردّ:

- لم يتعلم قلبي بعد أي طريقة أخرى للنظر لك..

اتسعت ابتسامتها أكثر وعيناها تذوب في عينيه أكثر، وقالت:

- بحبك..

نهض من على مقعده وذهب ناحيتها، ثم احتضنها كما يحتضنها دائمًا..

كأنها آخر مرة يحتضنها فيها..

وأغمضت هي عينيها لتستمتع باقترابه الذي يطمئنها أكثر وأكثر..

* * *

دوى البرق لكنه لم يبال بأي شيء..

ماذا كان يفعل هنا؟

ما اسم الفتاة؟

لا يذكر..

كيف لم يلحظ إلا الآن أنه يسمع صوت أنفاسه ودقات قلبه بوضوح تام، عندما أصبحت أذنيه في الماء؟

لا يهم..

سكن جسده تمامًا وهو يترك الخدر اللذيذ يسحبه أكثر..

* * *

أمسكت الورقة وهي تنظر له، وسألته:

- ما هذا؟

ابتسم وهو يقول:

- اقرئي..

أمسكت الورقة وأخذت تقرأ بصوت عال:

- *"اليوم هو أول يوم تكونين فيه زوجتي..*

فاسمحي لي أن أبدأ اليوم بعادة.. ستستمر معنا في نفس هذا اليوم من كل شهر..

سأحدّثك عن زوجتي قليلًا..

سأحدّثك عن تفصيلة جديدة أكتشفها كل لحظة تمضي معها..

دعيني يا مولاتي أبدأ بأبسط الأشياء.. (عشان ألاقي حاجات تانية أقولها بعد كده) :) :)

أول تفصيلة في زوجتي: أنها عبقرية..

فيلسوفة كما يقول الكتاب.. من عائلة أرستقراطية شديدة الرقي.. وفّرت لها كل سبل الراحة التي جعلتها لا تفعل شيئًا سوى التفكير.. التفكير في كل شيء.. قرأت كتبًا بعدد شعر رأسها.. ولم تقرأها لتقلّدها أو لتردّدها كالببغاء.. بل لتكوّن رأيًا مستقلًا تعرف طريقها في الحياة به..

لذا كانت متفردة.. تؤمن بكل شيء ولا تؤمن بشيء.. كي تناقشها لابد أن تحضّر نفسك لهذا النقاش.. أن تدافع عما تؤمن به بالدلائل والبراهين.. لأنك لو كانت معلوماتك ناقصة.. ستعرف هي ذلك في لحظات.. ولو غلبتها في نقاش ما قد تقتنع بما تقول حتى تجد ما ينفيه..

ولهذا عشقتني..

لأنني لا أؤمن بأي شيء على الإطلاق..

إلا قلبي..

وهذا هو الشيء الوحيد الذي لا تعرف كيف تناقشه بالعقل والبرهان والمنطق..

فكان دائمًا ما يغلبها.."

نظرت له بعد أن انتهت من القراءة، وابتسمت في حنان، فقبّلها قبلة حنونًا على رأسها وقال ناظرًا لعينيها مباشرة:

- سأظل كل يوم أثبت لك.. أن الحب ينتصر على كل شيء.. حتى على الموت ذاته..

* * *

ذلك الخدر..

متى كانت المياه ممتعة لهذا الحد؟

هل ذهب للجنة؟

* * *

"يا شيخة حرام عليكي كل الموت اللي في روايتك ده!"..

قالها منذ ثلاث سنوات.. قبل كل شيء..

التفتت هي إليه في جلستها التي أصبحت فيما بعد "المفضلة".. في مكانها الذي تحوّل فيما بعد إلى "المعتاد".. أكمل هو بالفصحى التي كان في بداية محاولة إتقانها:

- كل قصصك هناك موت فيها..

عيناها الحزينة جاوبته قبل فمها:

ـ أنا أفكر في الموت دائمًا..

هزّ كتفيه في عدم فهم وقال بابتسامة واسعة، وهو ينظر لعينيها التي يتمنى أن يتجاوز مخاوفه ويخبرها كم يعشقها:

ـ يا بنتي انتي قدامك الحياة كلّها.. نفسك تحبي وتتحبي.. نفسك تكتبي رواية حلوة.. نفسك تبقي مبسوطة ومرتاحة.. عندك أحلام كتير لسه هاتتحقق.. ليه تفكري في أم الموت وتنكدي على أهالينا؟

صمتت وهي تنظر لعينيه التي تعترف بحبها دون جهد في الإنكار.. تجاهلت ذلك العشق ونظرت ليديها وهي تقول:

ـ من يمتلك حلمًا حقيقيًا يتنفس من أجله.. لا يستطيع إلا أن يفكّر في الموت دائمًا..

ومع نظرته المتسائلة، أكملت وهي تُعيد نظرها لعينيه:

ـ لأن الموت هو الخصم الأوحد لكل حلم يُحلم به.. الموت هو الخسارة الكبرى لكل ما يريد تحقيقه..

ثم ابتسمت وهي تُحاول أن تُغيّر الموضوع تمامًا:

ـ وهذه هي آخر مرة في حياتي أردّ على جملة باللهجة العامية.

قال وهو يعترض مازحًا:

ـ هذا اتفاق صعب للغاية.. الفصحى سخيفة وثقيلة على اللسان..

ضحكت وابتسمت ابتسامة فرحة وقالت:

- عندما تعتاد عليها.. لن تتحدّث سواها..

وأشارت بإصبعها محذّرة، فابتسم هو، ونسي في ثوانٍ كل ما كانا يتحدّثان عنه..

* * *

حان الوقت..

حتى لو كان قبل الميعاد..

فليصمت كل شيء الآن..

* * *

ركضت (فريدة) خارجة من البحر بسرعة، ثم استلقت على الرمال في تعب وصدرها يعلو ويهبط، فاقترب منها ووقف يتأمل سحرها في صمت كعادته. فتحت عينيها ونظرت له وهي تسأله:

- هل تعرف "ملاك الثلج"؟

هزّ رأسه نفيًا في ابتسامة، فحرّكت يديها وقدميها بطول جسدها، غير عابئة بالتصاق الرمل بجسدها المبتلّ، وهي تضحك من قلبها عندما رأت نظرته الساخرة لما تفعل، ثم نهضت بحماس لترى الرسم، وأشارت له قائلة:

- هذا هو ملاك الرمل..

ثم استدركت وهي تعبس بوجهها كالأطفال:

ـ هو ليس بجمال ملاك الثلج.. لكن هذا هو أقرب شيء له..

ابتسم بحنان وهو يحيط كتفيها بيده، لم يرها سعيدة وتلقائية هكذا منذ أن عرفها.. نظرت للبحر لحظات وتقدّمت نحوه بخطوات بطيئة، ثم توقّفت وأخذت نفسًا عميقًا وقالت:

ـ أنا أعشق البحر..

* * *

ذلك الخدر اللذيذ..

كيف كنت تريد أن تحارب هذا الجمال؟

بل كيف أجّلت القرار ثلاثة أشهر كاملة؟

يا لك من أحمق لم تكن تعرف شيئًا!

ما أتفه البقاء..

* * *

سأل مازحًا:

ـ تعشقين البحر أكثر مني؟

أخذت نفسًا آخر وهي تقول:

ـ البحر حياة..

ثم التفتت له وهي تُكمل باستمتاع:

ـ عالم آخر غامض وساحر.. يأسرك دون سبب.. البحر طاقة

إيجابية غريبة تجعلك تشعر بالحياة.. يأخذ منك الطاقة السلبية ويعطيك مكانها كل ما هو نظيف ونقي.. يقولون إن العشاق يأتون من كل صوب لمجرد أن يعيشوا لحظة واحدة وسط الطاقة الإيجابية للبحر.. البحر متعة لم يعرفها معظم الناس.. يأتون ويسبحون ويمشون دون أن يقتبسوا من روحه ولو قبسًا صغيرًا..

ثم أكملت وعيناها تغوصان في أعماق المياه:

- البحر هو الشيء الوحيد الذي يحتفظ بوجوده وسحره، في زمن أصبح "السحر" فيه خدعة مستهلكة لا يؤمن بها أحد..

ثم التفتت له وهي تعود من مزاج الكاتبة لروح الطفلة:

- أسوأ ما في البحر هو الرمل.. يلتصق بك لأيام ولا تستطيع الخلاص منه..

لم يرد ولم يناقشها، كان فقط يستمتع بوجودها داخله وبين ذراعيه، ابتسم لإحساسها بكل شيء حولها وضمّها لصدره أكثر..

* * *

ذلك الخدر اللذيذ..

ذلك الاستسلام المريح..

تتلقفه الأمواج الآن.. تتلقفه كعجينة في يد طباخ ماهر.. شعر بشيء يجذبه للأسفل بهدوء ونعومة ماكرة.. لكنه لم يتحرك.. لم يقاوم..

لم يتحرّك فيه شيء إلا ابتسامته التي تتسع..

هل كان في فرح صديقه أم خطوبته؟ لا يذكر.. لكنه يعرف أنها كانت أول مرة يراها في حياته..

كل ما يتذكّره ابتسامتها الساحرة، عيناها المتألقة، فستانها الساحر، وهي تمدّ يدها له في طفولة ظلّ يعشقها حتى الآن..

ملأت عقله جملة بدأت كل شيء منذ أربعة أعوام وهي تقولها بكل رقة..

"أنا اسمي (فريدة).."

وبعد أربعة أعوام، وسط الظلام والمطر والبرق، ابتسم (حسين) وقال هامسًا مكرّرًا نفس المشهد الذي بدأ كل شيء بعده..

- وأنا (حسين)..

ويكمل..

- أنا أراكِ..

رآها في السماء بردائها الأبيض، تُحرّك يديها وقدميها وتبعثر النجوم حولها وهي تضحك ضحكتها المرحة من القلب.. وتصنع ملاكًا متفرّدًا لم يسبقها إليه أحد من قبل..

ملاك النجوم..

ملأت الابتسامة وجهه كلّه وهو ينظر لها متأملًا في صمت كعادتها..

ثم ترك المياه تغمر كل شيء..

الطريق

١٠ مساءً

(٩)

أقسمت لها إنك لن تذهب، وأقسمت لها إنك لن تقوم بأي شيء أحمق؛ كمحاولة إنقاذها..

وها أنت الآن تُسابق الزمن.. كي تُحاول إنقاذها..

أفسدتَ كل شيء على كل من تعرف..

لماذا يا (لمى)؟

الطريق المظلم الذي لا تضيئه إلا بعض عواميد الإنارة وكشافات العربة، التي تلتهم الطريق بسرعة مجنونة، رغم الأرض المبتلة من أثر الأمطار طوال اليوم..

لكنه لم يعبأ..

يزمّ شفتيه ويضغط على دوّاسة الوقود بقوة، ولا يعبأ بصوت المحرك الذي يصرخ مستنجدًا، أو ربما لا يسمعه من الأساس لأنه يصرخ من داخله في غضب.. تعلقت عيناه بلافتة كبيرة معلّقة على عامود بجانب الطريق..

"الساحل الشمالي ٢٥٠ ك"..

ضغط على دوّاسة الوقود أكثر وعادت عيناه لعدّاد السرعة الذي يرتجف مؤشرها بين رقم مائة وتسعين ورقم مائتين كيلومتر في الساعة.. لم يحاول أن يسأل عن الوقت.. لا يريد أن يعرف حتى لا يزداد توتره.. كل ما يعرفه هو شيء واحد فقط..

أنه لابد أن يلحق بها..

كيف تركها تفعل هذا؟

عضّ على شفتيه في غضب شديد.. وهو يمسك الهاتف المحمول للمرة الألف ويتّصل برقمها..

وكالمعتاد ينتهي الجرس بصفارة مستفزّة تخترق أذنه كسيّة..

رمق ذلك الشاب جانبه بنظرة جانبية غاضبة بلا سبب، ثم تجاهله تمامًا..

ضغط دوّاسة الوقود أكثر..

منذ ساعتين فقط كان في غرفته المظلمة يحاول أن ينسى كل شيء يحدث كعادته.. يحاول ألا يرتبط بخيوط الواقع الثقيلة.. يلهي نفسه بمشاهدة مسلسلات أجنبية عسى أن يمضي الوقت وينظر في الساعة ليجدها تجاوزت الثانية عشرة وينتهي كل شيء.. هذا ما كان يأمل.. هذا ما حاول فعله طوال اليوم..

ثم أدرك أن كل شيء سينتهي حقًا..

وكان وقع تلك الكلمة مخيفًا..

والآن ـ بعد ساعتين ونصف ـ يقود العربة بجنون.. في محاولة مستميتة لسباق الزمن..

لماذا حدّثه في الهاتف وأخبره بكل شيء؟

بأي أمل كنت تتمسك؟ وأي صديق أنت عندما تحنث بقسمك لأقرب صديقة لك في الدنيا؟!

لقد أقسمت يا (حسن)..

لقد خنت كل شيء عاهدت نفسك عليه..

لماذا يا (منى)؟

تذكّر تلك المكالمة التليفونية التي بدأت طريقًا طويلًا من كل ما يحدث لهم.. مكالمة لا يستطيع ولو لثانية أن يجعل ضميره يتخلّص منها..



منذ تسعة أيام، الساعة الواحدة والنصف صباحًا، ضرب جرس هاتفه مع اسم (منى). عندما تتصل به (منى) في مثل هذا الوقت ـ وهو مرتبط ـ يعرف أن هناك شيئًا ما خطأ..

"ألو.."

قالها بصوته الهادئ ولم يجد أي رد..

سمعها وهي تأخذ نفسًا عميقًا يجاهد ليشعر بالراحة.. صمت تمامًا.. دائمًا (منى) تقول كلمة واحدة لكل من تعرفهم.. (حسن)

يعرفها.. (حسن) يفهمها.. هذا وحده سبب يجعلها تطمئن.. طوال الفترة الماضية كان دائمًا هو ظهرها الذي لا تجد سواه كي تستند عليه..

ألقى جسده على الفراش وهو يتذكّر كيف أن كل فتاة يحبها تكون (لمى) هي العائق الوحيد والسبب الأكبر للشجار الدائم بينه وبينها. وصل الأمر أنها شعرت لفترة بضرورة ابتعادها عنه حتى لا تضيع المزيد من فرصه في الزواج.. لكنه شعر بابتعادها ومنعها عن هذا القرار..

"إحنا اخوات.. عمرك شفتي أخ بيسيب أخته عشان مراته غيرانة عليه؟ بطلي هبل"..

(لمى) بالنسبة له هي الاستثناء الوحيد الذي يُثبت أن النساء والرجال يمكن أن يكوّنوا صداقة صافية بلا أي شوائب أو مشاعر حب تولد بينهم..

تذكّر عندما رأته أول يوم في الجامعة. طوله الفارع وملامحه الطيبة الممتلئة قليلًا وملابسه العادية وضحكته البريئة جعلتها تذهب إليه وتسأله عن مكان أول محاضرة لها. ابتسم وعرض أن يوصلها بنفسه، لتكتشف بعد نصف ساعة من السير خلفه أنه تائه مثلها ولا يعرف المكان، واجهته غاضبة أنه كان يجب أن يصارحها بعدم معرفته، فابتسم ابتسامته الطيبة التي تجعلك واثقًا أنه لا يمكن أن يأتي منه أذى مهما كان، وأخبرها بهدوء وعقلانية أنهما معًا أفضل من أن يضلّ كل واحدٍ منهما الطريق بمفرده. ولأن موعد المحاضرة كان قد فات.. هيا للكافتيريا معًا.. وتحدّثا لمدة ثلاث ساعات متصلة..

ابتسم في هدوء على فراشه عندما طال الصمت. لن يتكلم إلا عندما تتكلم هي. منذ أن قال "ألو" وهي لم تقل كلمة، فظلّ هو صامتًا ينتظرها أن تتكلم. سمعها تتنحنح أخيرًا وتسأله:

- ازيك يا (حسن)؟

ضحك ضحكة ساخرة وأجابها:

- مكلماني الساعة واحدة ونص عشان تقوليلي ازيك؟ فيكي إيه يا بنت (مصطفى)؟

شعر أنها تريد أن تهدأ قليلًا ولا تتحدث فيما يشغلها، فسألها ليغيّر دفة الحديث تمامًا:

- شوفتيني وأنا عبيط النهارده؟

ضحكت رغمًا عنها، وقالت:

- أنا عارفة إنك بتكره كل أعياد الميلاد اللي فيها تجمعات.. قولي جابتلك إيه صحيح؟

أشعل سيجارته بولاعته المفضلة وأخذ نفسًا عميقًا، ليخرج الدخان من فمه وهو يقول:

- جابتلي قميص أبيض مخطط إسود. معتبراني حمارها الوحشي على ما أعتقد.

ضحكت من قلبها وهي تقول:

- حرام عليك يا أخي.. اديها فرصة.. البنت لسه عارفاك

ومرتبطة بيك من أربع شهور بس.

قال بسرعة بطريقته المعتادة في السخرية:

- أول حاجة قلتلها إني مابحبش الهدايا اللبس والساعات. بحب الهدايا اللي ليها معنى.. الحاجة اللي ماينفعش تيجي إلا منها هي بس..

قالت ضاحكة:

- ما هي الهدية دي بيبقى قصدك بيها أباحة وأنا وانت عارفين.

- لا والله.. بلاش ظلم.. الهدية دي بتبقى من قلب اللي قدامك عشان توصل لقلبك.. الهدية معمولة عشان الواحد يقول للي قدامه "أنا بحبك وفاهمك وباقدملك حاجة غالية عندي".. مش مجرد فلوس بتتصرف في الأرض على حاجة هاتبوظ مع الوقت.. الهدية المفروض آجي بعد عشرين سنة وأشوفها أحس بنفس طعمها وإحساسها..

صمتت وشعر بابتسامتها، لن ينسى أبدًا هديته لها عندما تأكد أنه سيصيبه الصلع. أهداها شعرتين من رأسه في منديل ورقي. وغلّف الهدية بغلاف رائع. وعندما رأى صدمتها من الهدية، قال لها ببساطة إن شعره هو أغلى ما عنده، وأن الزمن حكم عليه بأنه سيفقده، لذا يريد أن يحتفظ به في أكثر الأماكن الآمنة بالنسبة له والتي يضمن تمامًا أنه مهما مرّ الزمن سيظلّ محفوظًا به.. وهذا المكان هو (مي).. رغم غرابة الهدية، لكنها بالنسبة لها الآن - كما تقول هي - أفضل من السوار الماسي الذي أهداه زوجها لها بعد الزواج..

وهذا بالنسبة له قمة النجاح في الوصول لمعنى كلمة "هدية"..

له طريقته الخاصة في الرومانسية.. بل في حياته كلّها عمومًا..
يعيش كل شيء بطريقته الخاصة التي لا يفهمها أحد.. هناك حالة يعيش فيها وينظر للدنيا من خلالها.. رغم أنه لا يُظهِر هذا لكنه من أكثر الناس تأملًا في كل ما يحدث حوله. له آراء لا تُخطئ أبدًا.. قلّما نصحها نصيحة وكانت خطأ.. قلّما نصحها من الأساس!

قالت فجأة ما كان ينتظره من أول المكالمة:

- (حسن)، أنا عاوزة أحكيلك حاجة.. بس اوعدني إنك ماتقولش لحد.

رغم أنه يكره تلك الكلمة، لكنه قال ليطمئنها بسخرية:

- انتي عارفة إن أنا الكيانيه بتاع الناس كلّها.. ييجوا يفضفضوا وبعد مايرتاحوا يشدوا السيفون وراهم.. ينسوا كل حاجة عن اللي قالوه.. وأنا عمري ما بفكرهم بيه..

ضحكت لأول مرة منذ بدآ الكلام فابتسم، وبدأت تحكي..

حكت له كل شيء عن (حسين عارف)، عن كلامها مع (عاصم) وكيف أتى بعنوان (حسين) بعدها. كان (حسن) يقاطعها أحيانًا ببعض الأسئلة التي تتعلق بإحساسها. وكانت تجيبه بصدق كما اعتادت دائمًا لم تترك تفصيلة واحدة لم تخبره بها. حكت له عن ذلك الخوف والقلق الغريب الذي يحتلّها..

كعادتها حكت كل شيء..

وكعادته استمع باهتمام..

ما إن انتهت حتى سألت في النهاية السؤال الذي تعرف إجابته مسبقًا:

- الصح فين؟

ليجيبها بهدوء لكن بجدية لا يتكلم بها إلا قليلًا:

- يعني إيه الصح فين؟

شعر أنها بدأت تتحدث بقلق كبداية المكالمة:

- يعني أروح معاه ولا ما أروحش؟

ليجيبها بنفس طريقته التي تستفزها في بعض الأحيان:

- انتي عاوزة إيه؟

قبل أن تجيبه بعصبية، أكمل هو بهدوء:

- انتي عارفة بس مش عاوزة تقولي وعاوزاني أنا أقولك.. وأنا مش هاعمل كده..

صمتت تمامًا. تكره صراحته في بعض الأحيان وذلك الأسلوب الذي تعرفه.. يجعل من يحدثه يواجه نفسه رغمًا عنه.. بالنسبة له هناك قاعدة ذهبية "إنهم يعرفون دائمًا الإجابة ولكن أحيانًا يحتاجون لمن يقولها لهم، كي يؤيد ما يفكرون فيه أو يرفضه. يحتاجون لمن يعطيهم الثقة في صحة قرارهم. يحبون الإجابة سهلة ومريحة"..

وهو لا يحب أن يلعب هذا الدور أبدًا..

قال مقاطعًا صمتها الغاضب:

- أنا عاوزك تكلميني من غير ما تفكري.. من غير ما تخافي.. ممكن؟

أومأت برأسها أن نعم، فشعر هو بحركتها وقال بصوت هادئ تمامًا:

- فيه حاجة أكبر التي مش قايلاها لي. القلق والخوف ده مش منطقي بالنسبالي.

لم تجبه وهي تحاول أن تفكّر فيما يقول، طلب منها ألا تفكّر، فقالت على الفور:

- أنا مش عارفة أنا قلقانة كده ليه..

- مش واثقة في (عاصم) ده.. ردي بسرعة؟

- شكله واد جدع.. مش خايفة منه الصراحة.

- عشان مش عندك السبب العاشر ده؟

- مش هاممتي!

- ليه قلتي إنك تعرفي سبب عاشر أصلًا؟

- كنت عاوزة أعمل أي حاجة عشان أقابل (حسين عارف).

- خايفة تقابليه؟

- نفسي أقابله قوي.

- وليه نفسك تقابليه؟

- مش عارفة!

تعمّد الضغط عليها بطريقة صارمة:

- (لمى).. ليه نفسك تقابليهُ؟

لتجيب هي بحيرتها:

- مش عارفة..

ضغط أكثر:

- بطلي تستعبطي عليا وقوليلي ليه نفسك تقابليه؟

"عاوزة أموت معاه.."

قالتها بعصبية وهي تصرخ كي تجعله يصمت..

قالتها دون تفكير للحظة واحدة..

وكان هذا ما يريده.. ألا تفكّر..

لكنه لم يتوقّع شيئًا كهذا على الإطلاق..

صمت تمامًا ولم ينطق بكلمة، لأول مرة في حياته يعجز عقله عن استيعاب ما يقال.. هناك أشياء مهما بلغت خبرتنا تكون أكبر من أن نفهمها.. وهو يشعر أنه أصغر بكثير من أن يتكلم الآن.. قالت هي دون أن تدري حتى لماذا تقول ما تقول:

- هو مش عارف يلاقي السبب العاشر.. أنا مش عارفة ألاقي السبب الأول!

استمرّ في صمته، فأكملت دون أن تنتظر ردًا ودمعة تنساب على وجنتيها في هدوء:

- احنا عايشين ليه يا (حسن)؟ عشان بس الجنة وحياة ما بعد الموت؟ وأنا إيه اللي يصبرني كل ده عشان حياة أنا مش عايشاها أصلًا؟ أنا كل حلم كنت بحلمه لنفسي عشان أبقاه.. بقى مالوش طعم! عارفة كويس قوي إن كل حلم بحلمه أول ما هاوصل ليه هلاقي طعمه ماسخ.. مش هاستمتع بيه وهاحلم الحلم اللي بعديه عشان أصبر.. وأنا مش عارفة أحلم أصلًا!

وأكملت دون أن تفكّر بينما كان هو يشعر ببكائها:

- عشان أبويا وأمي؟ هم نفسهم إني أسيبهم عشان يحسوا إنهم كملوا رسالتهم في الحياة! عشان الناس اللي بنحبها؟ كل الناس عالم وسخة.. يا بيموتوا يا بيوجعونا يا بيبطلوا يحسوا بينا من غير أي سبب! والسبب الوحيد اللي هم بيقولوه "إن هي دي الحياة.. نعمل إيه"؟

وصرخت:

- يلعن أبو دي حياة يا أخي!

صمت تمامًا وقد بدأت هي تبكي بصوت عالٍ، مرت خمس دقائق كاملة دون أن ينطق حتى هدأت قليلًا، فقال آخر شيء توقعته في تلك اللحظة.. لم يكن يفكر من الأساس في أي شيء.. لأول مرة في حياته

يرى هذا الجانب البائس في صديقة عمره.. منذ طلاقها وهناك شيء ما تختلف.. شيء مكسور في عينيها ولكنها لا تعترف به حتى لنفسها، لذا قال بهدوئه المستفز:

- انتي بتقنعيني ولا بتقنعي نفسك؟

لم ترد، فأكمل بصوت جامد حاول أن يسيطر فيه على مشاعره:

- عامة أنا دوري خلص هنا.. لو متوقعة إني هاديكي محاضرة مؤثرة عن فوايد الحياة تبقي غلطانة.. أو تبقي بتكلمي الشخص الغلط.. انتي كنتي مش عارفة مالك وأديكي عرفتي.. لو عاوزة تروحي بكرة مع الولد روحي وماحدش هايمنعك.. دي حياتك وانتي حرة فيها!

يعرفها تمامًا، يعرف أنها لا تصدّق الكلام الذي تسمعه بأذنها منه، [illegible] كان دائمًا وأبدًا ما يحتويها بطريقته الخاصة.. بالكلام الرقيق [illegible] التشجيع الدائم أو اقتراح حلول ممكنة. كان دائمًا ما يحنو عليها [illegible] لها أنه في ظهرها مهما فعلت ومهما قررت. حتى في زواجها [illegible] أنه لا يثق في (أمير) تمامًا كأبيها، لكنها قالت له إنها تعرف [illegible]) أكثر من أي شخص في الدنيا. فقال لها على الفور إنه سيجعل [illegible] ممكنًا، وكلّم أباها بالفعل في الموضوع.. بالتأكيد تتساءل ماذا [illegible] له اليوم؟ يعرف أنها تحتاجه أن يكون موجودًا أكثر من أي [illegible].. لكنه لا يستطيع!

[illegible] بصوت بلا مشاعر، بارد كالثلج:

- ولو عاوزة نصيحتي.. ابعتي لـ(عاصم) رسالة قوليله إنك

مش رايحة وإنك صرفتي نظر عن الموضوع.. ونتكلم أنا وانتي في الحوار ده بعدين..

قالت بصوت ضعيف آمله:

- أنا مش عارفة أنا عاوزة أعمل إيه..

ابتسم في حنان لأول مرة وهو يرد:

- مفيش حد فينا عارف هو بيعمل إيه!

صمتت، فصمت..

هناك أوقات يصبح الكلام فيها بلا معنى.. هو يدرك ذلك وهي تدركه أيضا.. رغم كل شيء إلا أنها شعرت براحة غريبة بعد أن تكلمت.. منذ أن رأت تلك الكلمة اللعينة "باقِ من الزمن عشرة أيام" وهي تتصرف كالبلهاء دون أن تعرف أي سبب منطقي لما تفعل..

الآن عرفت..

قالت فجأة:

- أنا عاوزة أقفل..

- مع السلامة..

* * *

في ذلك الطريق المظلم رغم محاولات عواميد الإضاءة الكثيرة بلا جدوى..

ضرب المقود بيديه..

طوال عمره لا يحاسب نفسه على أي شيء يفعله.. لديه قاعدة ذهبية أخرى "لا يوجد شيء اسمه (ندم).. هناك فقط أفعال ونتائج.. ولابد أن يتقبل الجميع النتائج مهما كانت".. لذا لم يحاسب نفسه قط ولم يشعر أنه في حاجة لتغيير أي قرار في حياته قط..

لكنه الآن يفعل..

لا يصدّق للحظة أنه قرّر أن يجاريها فيما تفعل..

لا يصدّق أنه لم يكن سندها كما اعتادت منه أن يكون..

بل لا يصدّق أنه هو بنفسه من قاد نفس هذه العربة اللعينة منذ ثماني أيام فقط في محاولة خرقاء للبحث عن (حسين عارف)..

(١٠)

ظهر مطب صناعي فجأة أمامه على بعد أمتار قليلة..

ضغط دوّاسة الفرامل في قوة، لتصدر العربة صريرًا عاليًا، لكنها صعدت على المطب بسرعة عالية وشعر برأسه يرتطم بالسقف في عنف، وما إن عبر المطب حتى زاد من سرعة العربة ثانية دون أن يتوقف ولو للحظة، كأنما يسب الثواني التي اقتنصها المطب من وقتهما، وقال بصوت عال ليتغلب على صوت مشاعره:

- أغبى حاجة لما الناس بتلبس مطب بتوقّف العربية.. ما انت خلاص لبسته، فرقت إيه؟

لم يسمع ردًا، فلم يهتم..

هل كان ينتظر ردًا من الأساس وسط كل ما يحدث ويشغل عقليهما؟

هل يستطيع أن يهرب من ذكرياته حتى ولو بالكلام في أشياء بلا معنى؟

تلتهم العربة علامات الطريق البيضاء المرسومة على الإسفلت

في نهم.. يتجاوز العربات في حماقة حقيقية تجعل كل من يمرّ بجانبه ينتبه.. يتخيل السبّة كجسد مادي دخاني، تحاول اللحاق به وهو يهرب منها حتى لا تصله.. يجب دائمًا أن يصنع من كل موقف خيالات مضحكة.. يساعده هذا على تخطّي كل الأوقات المملة الرتيبة في حياته..

وما أكثر الملل والرتابة!

تكوّن الطريق خلفه بجيش من السباب يحاول اللحاق به، فيبتسم رغم كل ما يشعر ويزيد سرعة العربة.. كانت هذه هي أول مرة يقود فيها بتلك السرعة.. ارتجاف المقود بين يديه يوتّره.. شعر أن العربة تنقل إليها توتّره فأصبحت ترغب في التهام المزيد من العلامات البيضاء.. سمع قصصًا كثيرة عن أن السرعة لو زادت فأقل حفرة في الطريق ستجعل كل شيء ينتهي في لحظات قليلة..

لكنه لا يبالي..

بدأت الأمطار تهطل ببطء جاعلة كل شيء أصعب..



منذ ثمانية أيام.. الساعة التاسعة صباحًا بعد مكالمتها المشئومة.. خرجت (لمى) من باب الفيلا وقد بدا عليها التوتر.. كانت دامعة العينين وقد احمر أنفها من البكاء، وعندما اقتربت من عربتها، نظرت إليه وتوقفت في دهشة ثم علت شفتيها ابتسامة جانبية فرحة..

كان (حسن) واقفًا، يستند على ظهر عربتها عاقدًا ذراعيه وهو

يبتسم ابتسامته الطيبة التي جعلتها تسأله عن مكان المحاضرة في الماضي..

الابتسامة الواثقة المحتوية لكل شيء..

قال ساخرًا:

- عرفتي ليه مابنصحش حد؟ عشان في الآخر كل واحد بيعمل اللي في دماغه..

ضحكت رغمًا عنها، واقتربت منه لتسلّم عليه وهي تقول:

- أنا ماقلتلكش أنا رايحة الساعة كام.. عرفت منين؟

أشار لأعقاب السجائر الملقاة على الأرض وهو يقول مبتسمًا:

- أنا هنا من الساعة سابعة ونص..

نظرت لعينيه مباشرة سائلة بلهجة جادة:

- جيت تقنعني إني ماروحش؟

هزّ كتفيه في لامبالاة قائلًا:

- ده قرارك.. وحاجة ماتخصنيش..

ارتفع حاجباها في دهشة وهي تقول:

- يا سلام.. أمال إيه اللي جابك؟

هو نفسه لا يعرف لماذا أتى.. كان في حالة من البرود منذ البارحة لا يفكر في شيء ولا حتى يحاول البحث عن حلول.. القاعدة الذهبية

الثالثة بالنسبة له.. "الحياة أكثر تفاهة مما تتخيل.. فلماذا نقضي وقتنا في حل مشاكل بلهاء!"

رمق الأرض لحظات في نظرة لم تفهمها، ثم نظر لها بثقة قائلًا ما يؤمن به حقًا:

- عشان الصديق الحقيقي بيفضل في ضهر صاحبه مهما كان قراره.. ومهما كان متخلف عقلي ومايسمعش كلام حد غير نفسه.. لو انتي قررتي ترمي نفسك في النيل.. مش مطلوب مني إني أقولك بلاش لأن ده قرارك.. بس غصب عنك هتلاقيني يا إما مستنيكي تحت بمركب عشان ألحقك.. يا إما هانط معاكي.. مافيش حل تالت!

دائمًا ما يستطيع أن يُدخل الإهانة في كلامه المجامل فلا تعرف هل تشكره أم تضربه، لكنها ابتسمت في سعادة حقيقية.. اكتشف (حسن) أنه كان يحتاج فعلًا أن يصطحبها في هذه الرحلة الغريبة.. لأن الفضول سيقتله أولًا ويريد أن يطمئن عليها ثانيًا..

أشار لها بيده أنهما سيذهبان في عربته التي صفّها خلف عربتها لأنها كانت تعرف أنه لا يجب أن يترك المرأة تقود أبدًا وهو موجود، وفتح لها باب العربة وهو يبتسم، فصعدت بسرعة، ليركب هو من الناحية الأخرى، وما إن أغلق الباب حتى نظرت له برجاء سائلة:

- مش هاتقولي رأيك في اللي أنا بعمله؟

هز رأسه بمعنى لا، فقالت فجأة بعد فترة صمت:

- أنا خايفة..

صمت لحظات وهو لا ينظر لها، ثم قال باقتضاب:

- طبيعي إنك تخافي.. بس مادام خدتي قرار ماترجعيش فيه..

نظرت له نظرة طويلة ثم قالت مبتسمة:

- انت عارف إنك بتفكرني بيه؟

التفت لها متسائلًا فقالت:

- (حسين عارف)..

ارتفع حاجباه في سخرية، فأكملت بسرعة:

- عمره ما بيدي إجابة واضحة وصريحة.. بيكره الإجابا
السهلة اللي تريح الناس.. مابيقولش أي أسباب لل هو
بيعمله.

أشعل محرك العربة وهو يقول مبتسمًا:

- راجل بيفهم..

وأكمل ناظرًا لها:

- الناس بقت مستعجلة.. روح العصر بقى والكلام اللي مالو
لازمة ده.. دلوقتي الواحد بيقف متعصب قدام (مايكروويف
بيسخن أكله في دقيقة، مع إن زمان كان الأكل عشان
بياخد ساعة إلا ربع. ماحدش بقى عنده صبر يفكر أو
أو حتى يحاول يفهم نفسه قبل مايعمل أي حاجة.. الكل
عاوزين إجابات سريعة لكل حاجة..

وأكمل ساخرًا ببسمة جانبية:

- والمشكلة إنك لما تديهم إجابة سريعة على اللي انتي تعبتي فيه قوي.. مايقتنعش بيها ويتريق عليكي عشان مش على مزاجه..

نظرت له في استغراب شديد لما يقول، شعرت أنها تُحدِّث (حسين عارف) فعلًا، لكنه مال عليها وغمز قائلًا:

- بس ماتخافيش.. مش هاطلع أنا في الآخر (حسين عارف) زي ما بيحصل في الروايات..

ثم ضغط على زر الكاسيت، الذي ضبطه على الأغنية التي تعشقها [illegible] من قلبها، ونظر لها وهو ينطلق بالعربة في سرعة:

- [illegible]ين يا ليلي يا ليل.. ليل يا ليلي يا ليل أروللي.

[illegible]ضحكت وهي تغني معه كلمات المهرجان الشعبي..

- لغبطلي حالي.. ضيعتلي مالي..

[illegible] هذه الأغنية لـ(محمود الليثي) تعتبر سرّهما الذي لا يعرفه [illegible].. أمضت (لمى) بعد طلاقها فترة كآبة غير عادية.. استمرت [illegible] من سنة كاملة.. كانت تنفي دائمًا أن هناك أي شيء مختلف، [illegible] كان يحفظها عن ظهر قلب.. كانت قد فقدت الكثير لدرجة أنه [illegible] يتذكر تفاصيلها الحية.. حتى جاء يوم عيد ميلاده، وبجهل تام [illegible] حبيبة (حسن) (أمير) زوج (لمى) السابق.. ورغم توتر الموقف [illegible] أنه كان يومًا فارقًا.. عادت (لمى) بعده لتفاصيلها التي افتقدتها في [illegible] الحزن..

لم يتوقفا للحظة إلا في (موقف السلام) وهما يتراقصان على أنغام الأغنية التي يعشقانها، وظلا يعيدانها طول الطريق دون ملل..

وكانت هذه أول مرة يرى فيها (عاصم زيدان)..

وأول مرة تراه (لمى) أيضًا..

وجدا (عاصم) يقف حاملًا كاميرا.. شعر (حسن) أنه أكثر وسامة من الصور بكثير.. بدا أكثر طولًا عما تخيل.. جسده الرفيع وساقاه الطويلتان.. ابتسامته الساحرة التي كانت على وجهه وهو يصوّر الناس في (الموقف)..

ضغط (حسن) بوق السيارة، فالتفت لهما ولوّح في سعادة، وعلى الفور رفع الكاميرا وصورهما.. ثم اقترب منهما مسرعًا.. نظر (حسن) لـ(لمى) في سخرية في حين وقف (عاصم) جوار نافذة (لمى) وهو يقول:

- يا أحلى صباح الفل..

كان صوته رجوليًا لطيفًا على عكس ما توقع أيضًا. ابتسمت (لمى) في حين أدار لهما ظهره مسرعًا دون أن ينتظر ردًا وهو يرفع الكاميرا بامتداد ذراعه ويقول بحماس:

- يلا (سيلفي) قبل الرحلة..

نظرا له كمن ينظر لمجنون، في حين فتح هو الباب الخلفي وجلس وهو ينظر للكاميرا كي يرى الصور التي جمعها اليوم، فمال (حسن) على أذن (لمى) سائلًا:

- هو احنا طالعين دريم بارك ولا حاجة وأنا ماعرفش؟

لكزته في ذراعه وهي تبتسم، فهزّ كتفيه بلامبالاة كعادته. عرّفتهما (لمى) ببعضهما.. كانت أول مرة يقابل هذا الـ(عاصم) ويتعامل معه..

وكان - دون أي سبب - يكرهه من قبل أن يقابله..

كل ما عرفه عنه هو أنه الشخص الذي وعد (لمى) أنه سيجد لها (حسين عارف) الذي تحلم بمقابلته.. شعر (حسن) أنه السبب في كل ما حدث بعدها.. أنه جاء في وقت غير مناسب.. لو لم يظهر لكانت (لمى) في بيتها ولا تفكّر للحظة في الذهاب إلى (حسين عارف)...

لم يرتح لوجوده وتمنى لو صمت هذا الشاب اللعين ولم يُحدّث (لمى) على الإطلاق.. لذا سلّم عليه دون حتى أن يبتسم... جلس (عاصم) على الأريكة الخلفية وهو يبتسم ممسكًا بالكاميرا يصوّر بها (لمى).. ثم يعود ليرى ما يصوّره في اهتمام..

تبادلوا تحيات مقتضبة، ثم انطلقت العربة بهم..



نفس العربة التي يقودها (حسن) الآن كي يلحق بها..

أمسك هاتفه المحمول وضغط "اتصال" ويده اليسرى ممسكة بالمقود.. الأمطار الخفيفة ترتطم بالزجاج مما جعله يتنبأ بأن القادم أسوأ بكثير.. اليوم هو أسوأ مناخ يمر على الساحل الشمالي تقريبًا.. على البلد كلها.. وقد اختارت تلك الحمقاء هذا اليوم بالذات لتسافر فيه..

جرس.. جرس.. جرس..

ولا ردّ في النهاية..

وعدته أنها لن تفعل هذا ثانية عمرها كلّه.. وسترد عليه مهما حدث.. هل يفترض الآن أنها تتجاهله كما فعلت وقت طلاقها؟ أم إنها حافظت على وعدها وهي لا ترد الآن لأن "عمرها" انتهى؟

شعر أنه في وقت أصبحت كل الافتراضات فيه بشعة..

ألقى الهاتف على (التابلوه) في عصبية وهو يرمق بنصف عين ذلك الجالس بجواره ينظر من النافذة للطريق السريع، دون أن ينطق بكلمة واحدة منذ أن بدآ الطريق معًا..

سأله (حسن) بتوتره الذي يتصاعد كل ثانية:

- الساعة كام؟

لم يرد عليه.. كل ما يفعله هذا الضعيف منذ البداية أنه يترك دموعه تنساب في صمت..

كيف شعرت (لمى) بأي شيء تجاه هذا المعتوه؟

ذلك الشاب السخيف ذو الكاميرا.. والذي يكرهه رغمًا عنه لأنه يراه السبب الوحيد الذي جعل (لمى) تذهب لموتها بقدميها.

ذلك الـ(عاصم زيدان)!

(١١)

تعمّد (عاصم) ألا يردّ..

لماذا يتكلم (حسن) معه ويسأله في أي شيء من الأساس؟

لماذا لا يلتزم الصمت؟

ألا يكفيه ما فعله حتى الآن؟

سأله (حسن) وهو يمسك المقود بقوة كأنما يفرغ فيه توتره، في من يجلس هو بجانبه، صامتًا كقبر منذ بداية الطريق:

- الساعة كام؟

وعندما لم يردّ عليه صاح (حسن) بصوت عال يخفي توترًا غير محدود داخله:

- الساعة كام يا (عاصم)؟!

التفت له بعين دامعة وأنف محمر من البكاء..

مازال لا يصدّق ما أخبره به (حسن) منذ ساعات معدودة.. يشعر أنه السبب في كل ما يحدث، ويشعر في نفس الوقت أنه ضحية خدعة حقيرة..

لا يبكي كثيرًا، لكن انسابت دموعه هذه المرة بكل التناقضات التي تملأه؛ من إحساس بالمسئولية والظلم والغباء والخوف على فتاة تعلّق قلبه بها تعلقًا غريبًا..

لماذا فعلت (لمى) هذا به؟

سؤال بلا أي إجابة ولا فائدة..

نظر لساعته وقال بصوت مختنق ردًا على سؤال (حسن) العصبي:

- الساعة عشرة وربع.

ضغط (حسن) دوّاسة الوقود في قوة أكبر، ليصل عدّاد سرعة العربة إلى مائتي كيلومتر في الساعة ويتجاوزها بقليل، ألقى (عاصم) نظرة لامبالية على العدّاد، مع شعور بالتشاؤم جعله يتوقع أسوأ ما يمكن أن يحدث.. داخله ثورة غاضبة تريد أن تطيح بكل شيء..

"الساحل الشمالي ٢٠٠ ك"..

قرأها جيدًا رغم أنها مرقت بسرعة، ثم نظر لعدّاد السرعة الذي يتردّد بين رقم المائتين وما بعده بصعوبة، وقال كاسرًا حاجز الصمت الذي سيطر عليه منذ بداية الطريق، مع حالة البرود التي انتابته بعد البكاء:

- انت لازم تمشي أسرع من كده..

ضرب (حسن) مقود العربة للمرة الألف وهو يقول:

- العربية الزبالة دي مش مساعداني!

لم يكن (عاصم) يتخيل (حسن) بتلك العصبية.. طوال الأيام الماضية كان الهادئ الساخر المرح.. لم يرَ هذا الجانب الغاضب منه من قبل.. لكن عند إعادة التفكير.. هو لم يرَ هذا الجانب في (لمى) أيضًا.. فكّر في سخرية مريرة أنه هو الأبله الوحيد في هذا المكان..

قال (حسن) مكملًا كأنه يحدّث نفسه ويحاول أن يصبّرها على شيء ما:

- كمان هم مش هايعملوا حاجة قبل الساعة اتناشر.. (حسين) أكد على ده في صفحته.. فاضل ٢٠٠ كيلو يعني هانلحقهم.. أكيد هانلحقهم..

ظلّ يردّدها في عصبية وهو يضغط دوّاسة الوقود أكثر، هدر صوت محرك العربة عاليًا كأنما يعترض على ما يحاول (حسن) فعله.. في حين نظر (عاصم) لعواميد الإنارة التي تمرّ وراء بعضها كأنها خط واحد مستمر..

منذ طفولته وهو ينظر من خلال نافذة العربة، ويتخيل أن هناك شخصًا ما يركض بجوار العربة ويتجاوز العقبات بطرق أكروباتية مبهرة.. كان يتخيل هذا الشخص وهو يقفز من مبنى لمبنى ويتعلق بالعواميد.. كان صديقه ويسليه دائمًا أيام طفولته في الرحلات الطويلة المملة..

متى اختفى هذا الصديق الوهمي؟ لماذا لا يركض جانبه الآن بمهارة كعادته؟

راقب عدّاد السرعة الذي يجاهد لعبور رقم مائتين، ونظر لـ(حسن)

الذي ينظر للطريق في صمت مفاجئ، لابد أنه يأس من جعله يتكلم.

أخرج هاتفه المحمول في محاولة لجعل الوقت السخيف يمضي. تأمل أخبار الناس على الموقع بعدم اهتمام.. توتره جعله يرى سطورًا لا يستطيع عقله التركيز فيها وفهمها.. شعر برغبة في فتح صفحة (إنستا_حياة)، ففتحها على الفور.. يحتاج لأن يعرف من سيقابل بعد قليل.. رغم أنه كان متابعًا للصفحة في حيادية، ينتظر أن يخرج منها بشيء له قيمة ما.. فبعكس (لمى) التي كانت تؤمن بكل كلمة يقولها (حسين عارف) في تلك الصفحة اللعينة؛ كان هو يرى أن الكلام لم يضف جديدًا لأي شيء.. مجرد كلام من شخص كره كل الأسباب التي تربطه بالحياة فأصبح يبحث عن أي شيء يجعله "يستمر"..

نظر لكل الـ(بوستات) المكتوبة.. أخذ يقلّب فيها.. لا يصدّق أن هذا الكلام المتفرّق جعلهما الآن يركضان على الطريق في محاولة لإنقاذ (لمى) من غبائها..

كم يبدو الأمس تافهًا مقارنة باليوم..

رغمًا عنه تبعثرت كل الأفكار التي يحاول الهروب بها من نفسه، اختلط ما يقرأ بما يتذكّر دون أن يعرف ماذا يشعر.. كل ما يعرفه الآن أن وجهًا واحدًا هو ما يحتلّ ذاكرته كلّها كشمس حارقة..

كيف فعلت كل شيء عكس توقعاته هكذا؟

كيف يا (لمى)؟

* * *

منذ عشرة أيام فقط.. قرأ (البوست) وهو جالس على مكتبه الصغير في غرفته..

"حد لاحظ البوست بتاع حسين عارف؟ حد خد باله من كلمة "باقي من الزمن عشرة أيام؟".. أنا متابعاه من أول ما بدأ.. وهو كان كاتب إنه لو مالاقاش السبب العاشر هاينهي حياته؟ حد يعرفه يأكدلنا المعلومة؟ هو فعلًا ممكن ينهي حياته بعد ما لقى تسع أسباب؟ هل هو بالعند الكافي إنه فعلًا ينهي كل اللي هو بناه؟ ياريت حد يفيدنا ويتواصل معاه لأنه مش بيرد على صفحته خالص.. #إنستا_حياة #حسين_عارف"..

منذ عشرة أيام فقط في نفس هذا الوقت خفق قلبه وسرت قشعريرة فيه دافئة وهو يرى كلامها الحائر، توجّه سؤالًا لكل الناس في واقعة نادرة، يعرف تمامًا أنها لا تفعلها على الإطلاق.. بل من ناحية أدق.. كان ينتظرها..

منذ فترة وهو يتابعها على الموقع.. أثارت انتباهه منذ اللحظات الأولى التي اشتركت فيها في (الجروب).. لا تتفاعل إلا بالإعجاب على بعض الكلام المكتوب في الروايات التي تحبها.. لم يحاول أن يضيفها كصديقة لأنه يعرف كمّ الرجال الذين سيفعلون ذلك بمجرد أن يروا عينيها الخضراوين وشعرها الناعم وجمالها الهادئ..

كانت الوحيدة التي كتبت مكان علاقتها "مطلّقة" في تمرد وتحدٍ لكل من يحتقر كلمة مطلّقة أو يعتبرها سبة لابد لها من الاختباء حتى يأتي من يصلح الكلمة بزواج آخر..

أثارت إعجابه حقًا.. وأصبح يتابعها بصمت كما تفعل هي كل شيء بصمت.. لها كلام على صفحتها يتبسم دائمًا عند قراءته.. لن يصدّقه أحد عندما يخبرهم أنه يشعر أنها قريبة من قلبه بطريقة غريبة.. يشعر أنها تنتمي له وأنه يعرفها ويفهم لماذا تكتب كل حرف..

لذا عندما رأى ما كتبت، لم يبعث برسالة ولم يفعل شيئًا.. هو يعرف كم تكره المتطفلين والمتحرشين.. يعرف كيف تتمرد روحها على كل شيء وتكره من "يبروزها".. فكّر قليلًا.. يكتب ثم يمسح ما كتبه بسرعة في تردّد.. فرصة ينتظرها جاءته على طبق من ذهب فلابد أن يحسب كل خطوة وكل كلمة حتى لا تنفر منه..

كتب في النهاية كلمتين فقط تعليقًا على منشورها:

- أنا أعرفه..

ولم يكن يكذب..

ترك كل شيء في ملعبها.. لم يطلب منها التواصل ولم يطلب منها أي نوع من أنواع الاتصال.. من هي بشخصية (لمى) لابد أن تترك له حرية أن يأتيك وحده.. لو أجبرته أو ضغطت عليه ليأتي.. سيختفي للأبد..

وكانت أطول خمس دقائق مرّت عليه في حياته..

ظلّ يضغط زر تحديث الصفحة كل ثانية تقريبًا في انتظار ردّ فعلها، ردود المتحرشين أو الظرفاء جعلته يتأكد من أنها نادمة على ما كتبت الآن وقد لا تنظر في التعليقات من الأساس.. بعد خمس دقائق

كاملة.. ظهر إشعار أن هناك رسالة جديدة ففتحها على الفور بلهفة.. ليجد الاسم ويخفق قلبه من جديد..

(لمى مصطفى)..

فتح الرسالة بسرعة ليجد نصها سؤالًا واضحًا ومحددًا..

- حضرتك تعرفه بجد؟

أغمض عينيه في هدوء، ربما في محاولة للتفكير في الخطوة الصحيحة في الرد.. هل يردّ على الفور أم ينتظر قليلًا؟ يعرف أنها ستجد علامة (صح) مع كلمة (seen) تظهران على الفور في رسالتها... تلك الكلمة التي فضحت ثلاثة أرباع من يتجاهلون شخصًا ما.. والتي وضعها (مارك زوكربيرغ) مؤسس الـ(facebook) أيضًا في الـ(watsapp).. هذا رجل لديه مشكلة نفسية قديمة من تجاهل الناس لما يقول أو يرسل لهم.. يحرج الجميع بمنتهى الظرف كي يجعلهم مرغمين يردّون على كل شيء.. لسان حاله يقول "لن أجعل بشريًا يتجاهل الردّ على أحد أيها الحمقى!"..

انتظر ما يقرب من خمس دقائق كاملة ولم يردّ، ظلّ ينظر للرسالة كتمثال جامد، يعشق الشطرنج منذ طفولته.. يعرف أن الخطوة الأولى الصحيحة هي التي تحدّد سير المباراة كلّها.. لذا فهي تحتاج لتأنٍ وصبر.. كان أسطورة وسط أصدقائه في معرفة أجمل البنات وعلاقاته التي تتنوع بين صداقة وحب.. رغم أنه لم يرتبط بواحدة إلا وكان يحبها حقًا.. لكنه يعرف دائمًا كيف يجعل أي فتاة جميلة تشعر بشيء ما نحوه على الأقل..

كان يعشق الحياة وجنونها وينبهر بالجمال بحكم عمله كمصوّر.. (photographer) كما يحب أن يسمعها من الناس.. ربما لأنها أكثر مهنية من "مصوّر" التي تذهب بخيالك إلى الرجل الذي يأتي لك في مقهى على الكورنيش ويقول لك بسماجة "صورة يا هانم؟ صورة يا بيه؟".. محاربة أبيه الدائمة له في موهبته كانت بسبب كلمة (مصوّر)، لذا يكرهها.. الكلمة الإنجليزية تعطيها قيمة ما.. تعطيها بُعدًا آخر في العقل.. فيذهب خيالك فور سماعها إلى الصور الرائعة للمناظر الطبيعية الخلّابة والشخصيات التي تبدو عميقة..

ابتسم ابتسامة مندهشة وهو يرى رسالة أخرى تظهر رغم عدم ردّه:

- لو حضرتك تعرفه فعلًا تقدر تأكد لي على المعلومة؟ هو هاينهي حياته بجد بعد ما عرف يلاقي تسع أسباب؟ :).

تلك الوجوه الصفراء بالموقع المسماة بـ(أيقونة مشاعر).. الوجوه التي من المفترض أن تكون بديلًا للتعبير عن مشاعرنا.. أسخفها ذلك الذي يبتسم فقط.. عرف أن الابتسامة لا تدلّ إلا عن الضيق الذي تشعر به لأنه رأى الرسالة ولم يردّ.. نظر للساعة ليجدها الواحدة بعد منتصف الليل.. لذا اتسعت ابتسامته وهو يُغلق الموقع وينهض من أمام جهازه متجاهلًا تمامًا الردّ عليها..

وعرف أن الخطوة الأولى قد تمت بنجاح..

* * *

اهتزّ جسده بعنف وقفز لأعلى لأن (حسن) عبر مطبًا ثانيًا بقس

زعونه المطب الأول، لكنه لم يبال وأغمض عينيه مكملاً ذكرياته في إصرار عسى أن يجد أي شيء يدلّه في الماضي على تطور الأحداث بهذا الشكل المفاجئ..

أو ربما ليتمسك بالشيء الوحيد الذي يجعل قلبه يرتاح ولو قليلاً.. (لمى)..



ما إن استيقظ من نومه، دون حتى أن يغتسل، أسرع يفتح حاسوبه لتظهر رسالتها المفتوحة منذ البارحة، ابتسم في انتصار وهو يرى ما كتبت بعد فترة صبر استمرت ساعة منذ أن بعثت برسالتيها:

- آسفة على الإزعاج.. ووعد مش هازعجك تاني..

ها هي تتعجل الرد بأسلوب الأنثى المثالي.. الغضب.. نظر للساعة ليجدها الثانية عشرة ظهرًا.. كتب ببسمة واثقة ردًا على الرسالة:

- مفيش إزعاج ولا حاجة :)..

ما إن كتبها حتى ظهرت العلامة السحرية (seen).. هل ظلت مستيقظة كل هذا الوقت أم ماذا؟ لم تمضِ دقيقة حتى وجدها تكتب ثم تظهر الرسالة:

- ولو مفيش إزعاج.. ليه ماجوبتش على السؤال؟

نبرة الانفعال "المحترم" المعتادة.. فكّر قليلاً ثم اتسعت ابتسامته المذلة وهو يكتب بهدوء:

- حضرتك أنا مرتبط.. لو صاحبتي صحيت ولاقتني بكلّم واحدة الساعة أربعة الصبح.. والله لو قلتلها إنك بتموّق وأنا بنقذك ماكنتش هاتقتنع.. كانت هاتقولي هم كل الرجالة خلصوا وجاي انت تنقذها؟ :D

لابد أن تطمئن أنها تستطيع أن تثق به.. معظم نساء المجتمع الشرقي ينظرون للرجل أنه "عريس" محتمل حتى يثبت العكس. مطلّقة مثل (لمى) بشخصيتها المتمردة تنظر لكل رجل على أنه متحرش حتى يثبت العكس.. وهو ما يفعله الآن...

يثبت العكس تمامًا..

لكن ردّها جعله ينظر للشاشة بابتسامة معجبة. لم يقابل فتاة تمتلك الجرأة والصراحة والمباشرة مثلها من قبل.. كانت قد كتبت:

- واضح إنها هي الراجل في العلاقة دي..

لم يشعر بأي شيء سوى السعادة لأنه يحدّثها أخيرًا حتى لو كانت غاضبة.. كتب في سرعة مكملًا خطوات الشطرنج في مهارة:

- :D.. أنا شايف إن الرجولة إني أحترم الحاجات اللي بتضايقها وماعملهاش.. وأنا شايف إنها ماينفعش تكلم ولد ماتعرفوش في وقت متأخر من غير ما تقولي.. فبالتالي ماينفعش أنا كمان أعمل كده.. كان لازم أقولها الأول لأن ده حقها عليا :). لو الرجولة إني أعمل الغلط وأخبيه وأضحك عليها أحب أقولك إنك إن شاء الله هاتتجوزي راجل زي الفل :).

اتسعت ابتسامته الجذلة، لا يفلّ الجرأة إلا الوقاحة.. كتب بسرعة ليشعل غضبها أكثر:

- أو على الأقل عرفت سبب اللي ليه كاتبة مطلّقة على البروفايل بتاعك! :D

خمس دقائق كاملة مرّت وهي لا ترد.. بدأ يشعر بالقلق ويراجع ما قاله.. شعر بالندم لأن ما قاله كان سخيفًا جدًا.. ظهرت علامة أنها تكتب شيئًا ما فتنفس الصعداء لتظهر رسالتها أخيرًا:

- أنا ما أسمحلكش تتكلم معايا بالطريقة دي.. احترم نفسك!

وبعدها رسالة عرف منها أنها عصبية من لخبطة الحروف بها:

- وماتتدخلش في اللي مالكش فيه!

نظر للرسالة بتركيز، ثم قرّر أن يخفّف الوطء قليلًا، لكن لابد للردّ عليها أن يكون سريعًا ومستفزًّا كالمعتاد، فكتب بهدوء:

- حضرتك اللي قلتي ملحوظة عن حياتي الشخصية "إني مش راجل في علاقتي العاطفية".. بالتالي أنا قلت ملحوظة عن حياتك الشخصية.. ماتجاوزتش أي حدود حضرتك سمحتي بيها :)..

"البلوك" هو الحل.. لابد أنها كانت تفكّر في هذا الآن.. لكن لابد من الصبر.. ختم جملته بالوجه المبتسم الهادئ في دعوة للتعقّل قليلًا ولكي لا يخسر كل شيء.. التعقّل هو الحل الآن.. ظهرت علامة أنها تكتب بعد صمت استمر قرابة الدقيقتين، لتظهر الرسالة التي جعلته يبتسم في هدوء:

- أنا آسفة.. بعيدًا عن قلة ذوقك.. بس أنا فعلًا اللي تجاوزت حدودي في الأول..

عاقلة كما توقّع.. عاوده شعور أنه يعرفها ويفهمها أكثر من أي شيء.. كتب ما شعره حقًا لأول مرة:

- أحب أنحني لكِ احترامًا.. انتي أول ست تقول إنها غلطانة في التاريخ :D..

ثم كتب بسرعة كي لا يتحوّل من شاب ظريف لمتحرش.. كتب كل ما يعرفه دون تجميل للأحداث:

- حصل خير :).. عامة عشان أجاوبك على أسئلتك وماضيعش وقتك أكتر من كده.. أنا كنت أعرف (حسين) بالظبط من أربع سنين.. هو كان شغّال في السوشيال ميديا وأنا كمصوّر كنت بروح events شركته هي اللي بتبقى مسؤولة عنها.. فكان بيتعاقد معايا عشان أروح أصوّر هناك..

يعلم أنه لا يخبرها أي معلومات ذات قيمة، لكنه لم يعدها بهذا.. لقد كتب "أنا أعرفه" وهذه هي الحقيقة لا أكثر ولا أقل.. أكمل كتابة بسرعة:

- بس بقالي سنة ماعرفش عنه حاجة.. حصلت مشكلة معايا أنا والشركة اللي كان هو شغّال فيها.. وبعدها ماتكلمناش خالص.. لما بدأ حوار (إنستا_حياة) ده افتكرته اتجنن.. لاقيته قفل بروفايله وغيّر نمرة موبايله.. وماعرفتش أوصله.. كبّرت دماغي من الموضوع لأني حسيت الصراحة إنه أسلوب

دعاية لحاجة هو بيعملها.. قلت أكيد في النهاية هايطلع فيه منتج اسمه (إنستا_حياة) أو أي حاجة.. بس ملحوظتك فوقتني.. وأنا أعرف ناس كتير في الشركة.. هاحاول أوصلّه..

بالطبع سيحاول.. بل سيضحي بكل عزيز لديه لكي يعرف.. إنها تذكرته كي يتقرب منها ولن يتركها مهما حدث.. كتب بسرعة كي لا يصيبها إحباط أكثر من هذا:

- هو أنا ينفع أعرف انتي عاوزاه ليه؟

لا يدري لماذا أخذت كل هذا الوقت كي تجيبه، لكنه يعترف أنها أكثر إجابة جعلت عينيه تتسع في دهشة حقيقية، توقّع كل شيء.. لكنه لم يستنتج ولو للحظة إجابتها الواثقة التي بدأت كل ما حدث بعدها..

* * *

اعتدل في جلسته في السيارة المسرعة وهو يدرك كل شيء مرة واحدة..

ضرب (حسن) في كتفه، فانتفض هذا الأخير من حركته المفاجئة والتفت له قائلًا بعصبية:

- أنت اتجننت؟ احنا ممكن نتقلب في ثانية..

لم يعبأ وعيناه تلمع بأمل غريب:

- إحنا ازاي نسينا!

ردّ (حسن) عليه بعصبية:

- نسينا إيه؟

قال بسرعة:

- (لمى) مش رائحة تموت.. (لمى) رائحة عشان تخليه يعيش..

كان (عاصم) طوال عمره يؤمن بتأثير (الدومينو).. قطعة صغيرة تقع فتجعل الصف كلّه يقع خلفها.. يؤمن أن كل حدث صغير يحدث لسبب ما.. كل كلمة وكل قرار يجعل مجموعة من الأحداث بعده تقع كنتيجة لما قيل..

ردّ (لمى) هو البداية الحقيقية لكل شيء يحدث الآن..

إجابتها على سؤاله هي التي جعلته يبحث في كل الدفاتر القديمة ويستدعي كل خدمة صغيرة فعلها لأصدقائه يومًا ما ويجعلهم يردّونها من أجل معلومة واحدة.. وهي أن (حسين عارف) يمتلك "شاليه" في فايد.. الإجابة التي بدأت الرحلة إلى فايد مع (لمى) و(حسن) بعد تردد كبير..

الرحلة التي جعلتهم يلتقون بعم (شعبان) ويفهموا كل شيء..

الإجابة التي كتبتها منذ عشرة أيام، وبثقة غريبة:

"أنا أعرف السبب العاشر اللي هو بيدوّر عليه.. :)"

(١٢)

ابتسامة (حسن) الجانبية المستهزئة جعلت كل الأمل الذي شعر به (عاصم) لثوانٍ معدودة ينهار تمامًا..

قال بصوت منخفض متمسكًا بالقشة التي ظهرت:

- أكيد هي رايحة تنقذه.. أنا لحد دلوقتي مش مقتنع إن (لمى) شخصية ممكن تنتحر..

نظر للطريق وأدرك فجأة السرعة المجنونة التي تنطلق بها العربة، أعمدة الإنارة تمرق جانبيها ولا يستطيع تمييزها من السرعة.. نظر لعداد السرعة للمرة العشرين ليجده تجاوز مائتين وأربعين كيلومترًا في الساعة، فسرت قشعريرة في جسده.. نظر لـ(حسن) الذي ثبت عينيه على الطريق دون أن يرمش، ويديه على المقود كأنما التصقا ببعض.

هذا الرجل يداري الكثير حقًا خلف عينيه الجامدة وعصبيته..

أكمل في خفوت عندما لم يرد عليه (حسن):

- أنا أعرف (لمى) أكثر من نفسي..

أمره (حسن) باقتضاب:

- البس حزامك..

اكتشف لأول مرة أنه لا يرتدي حزام الأمان، لذا وضعه في سرعة، ثم التفت ثانية لـ(حسن) وقال بعصبية تحمل كل ما بداخله:

- انت ليه ما بتردش عليا؟

ثم أكمل وهو يخرج كل ما كتمه من مشاعر طوال الساعات الماضية:

- أنا دخلت الحوار ده عشان هي قالتلي إنها تعرف السبب العاشر.. أنا عارف (لمى).. أنا بعشقها.. وهي قالتلي إنها هي كمان بتحبني من يومين تلاتة.. يبقى أكيد هي رائحة تنقذه بس عشان توصله وتخليه يآمن لها قالتله إنها عاوزة تموت، وقالتلك انت كمان كده عشان (حسين عارف) يصدّق..

رد (حسن) المقتضب استفزّه أكثر:

- (لمى) عمرها ما هاتكدب عليا..

شعر في قلبه بغيرة ليست في وقتها على الإطلاق وهو يسأله:

- ليه يعني مش هاتكدب عليك؟ أبوها ولا أخوها؟

قال (حسن) ببرود لا يعرف (عاصم) سببًا له:

- أقرب..

شعر بغضب يعرف أنه غير ملائم لكنه لم يستطع السيطرة عليه

هناك شعور بالامتلاك يكره كل رجال العالم أي شخص يحاول أن ينتزعه منهم.. قال وهو يشعر بالدم يتصاعد لعقله:

- يا ريت ماتنساش إنك بتكلم حبيبها.. وجوزها إن شاء الله في المستقبل..

ليبتسم (حسن) ابتسامة لم يعرف (عاصم) إن كانت حزينة أم ساخرة وهو يقول:

- ده لو لاقيناها عايشة أصلًا..

هنا انفجر صارخًا وقد غلظ صوته:

- ما انت جاي تقولي الساعة ثمانية إنها راحت تموّت نفسها! مستني اليوم كلّه وجاي تقولي قبلها بأربع ساعات ليه؟!

وأكمل دون حتى أن يعرف ما الذي يقوله:

- لو من الصبح كنا عارفين، كان زمانا لحقناها.. لا.. ده انت كمان قلتلي إنك عارف من الأول.. ماحذرتنيش ليه طيب؟! ماكنتش عملت أي حاجة ولا عرفتها مكان (حسين زفت)! ماقلتليش ليه من يومين عن حقيقة اللي حصل بين (حسين) وبينكم؟ ماقلتليش ليه غير دلوقتي؟!

وعلا صوته ثانية صارخًا:

- لو رحنا لقيناها ميتة هايبقى انت السبب!

قالها ولم يستطع قلبه أن يتحمل الفكرة أكثر من هذا، فدمعت [عينه] ثانية وهو ينظر لـ(حسن) الذي لم تظهر على وجهه أي مشاعر،

وظلّ يرمق الطريق صامتًا كلوح من الثلج، فصرخ (عاصم) ثانية وقد اهتزّ صوته من البكاء:

- ما تردّ على أمي!!

بيده الحرة أخرج (حسن) سيجارة من علبة سجائره، وأمسك قدّاحته وأشعلها بها، في لحظة جعلت قلب (عاصم) يتوقف وهو ينظر للطريق الذي يضيق بهما ويصبح اتجاهين متعاكسين دون أي فواصل بينهما.. ورأى أضواء عربة كبيرة تأتي بسرعة من الناحية الأخرى وتعبر جانبهما في أجزاء من الثانية..

اللعنة على كل دقيقة تمرّ الآن..

وعندما أخرج (حسن) نفسًا طويلًا من صدره، أجابه بصوت حاول أن يجعله متوازنًا:

- عشان مش من حقي أمنعها..

وأكمل كأنما يخاطب نفسه وليس (عاصم):

- عشان الصديق الصح عمره ما بيتدخل في القرار.. لو أنا أو انت كنا منعناها إنها تروح لـ(حسين).. كنا هانصحى في أي يوم نلاقيها انتحرت في بيتها.. فيه حاجات لازم الواحد يعدّي بيها عشان يعرف يختار صح.. لو العالم كلّه اتغلط فيه عشان يقنعهم بالعكس مش هايقتنعوا.. فيه غلطات لازم ندوقها بنفسنا عشان مانعملهاش تاني..

قال (عاصم) بعصبيته:

- منطق أهبل من الهبل!

وأكمل بغضب:

- لو انت عارفها زي ما بتقول.. كنت تعرف إن كل اللي (لمى) محتاجاه هو أمل.. حضن يحتويها ويحسسها إن بكرة أحسن.. حتى بعد الفضيحة اللي حصلت لها.. كانت محتاجة تدي فرصة تانية لكل حاجة مع واحد بيحبها بجد..

عادت الابتسامة الجانبية المستهزئة على شفتي (حسن) وهو يقول:

- طب ما انت اديتلها ده.. مع ذلك راحت لـ(حسين).. ماسألتش نفسك ليه؟

أسقط في يد (عاصم) وهو ينظر لـ(حسن) باستفزازه.. ذكر (حسن) في بساطة الشيء الذي جعل آله لا يطاق منذ عرف كل ي.. كيف ذهبت وقبل يوم واحد فقط كانت تخبره أنها تشعر بشيء ا نحوه؟ هل تفعل كل هذا لأنه ضغط عليها لتقول كلمة لا تريد ولها؟ ضغط عليها لمدة يومين لتصارحه بحبها.. وعندما أخبرته ميرًا بالكلمة التي جعلت قلبه يرقص، وينام مبتسمًا كطفل رضيع، ظ ليجدها غير موجودة طوال اليوم ولا تردّ عليه، ويخبره سن) في نهاية اليوم أنها ذهبت لـ(حسين) كي تنتحر معه..

هل هو السبب؟

مض عينيه في غضب.. قاطع أفكاره صوت (حسن) الذي كان الأغنية مرّت بهما بصوت عال:

- الساحل الشمالي ٦٠ كيلو.. الساعة كام؟

أجابه بصوت مخنوق:

- مش عايز أبص في الساعة!

هزّ (حسن) رأسه في هدوء وهو يقول:

- إن شاء الله هانلحقهم قبل الساعة ١٢.. ساعتها يمكن نعمل أي حاجة..

وكأنما ذلك الأمر الذي لا يطاق داخل (عاصم) لا يهدأ إلا بالأمل.. قال ثانية في إصرار:

- أنا واثق إن (لمى) عمرها ما هاتعمل كده.. هي رائحة تقوله السبب العاشر..

والتفت لـ(حسن) قائلًا كأنما يؤكد معلومة لنفسه، وقد شعر بهدوء نسبي:

- أنا عارف (لمى) أكتر من نفسها..

ومع الابتسامة الجانبية المستهزئة، شعر بنيران الغيرة مرة أخرى، ثم اشتعل غضبًا وهو يسمع كلمات (حسن) التي تخالف كل قواعد الاحترام لمشاعره.. بل تخالف كل قواعد المنطق في وضعها الحالي

قال له وهو ينفخ سيجارته بهدوء مستفز:

- ما حدش يعرف (لمى) أكتر مني يا (عاصم).. ربح نفسك

أمسك (عاصم) أعصابه وهو ينظر له، عرف (حسن) طوال

الأيام الماضية ولم يكن بهذا الغباء والاستفزاز.. لماذا يحاول دائمًا أن يقلل منه أمامها؟ لماذا يحاول أن يثبت دائمًا أنه أكثر منه فهمًا لها؟

لابد من أن يحتمله حتى نهاية الطريق وليقتله فيما بعد إن أراد..

الصبر..

"يا نهار إسود!"..

قالها (حسن) وهو يضغط بقدمه على الفرامل بأقصى قوته..

شهق (عاصم) بعنف وهو يشعر بجسده يندفع للأمام فجأة، قبل أن يوقف حزام الأمان من اندفاعه مع صوت صرير صمّ أذنيه.. كانت هناك عربة نقل ضخمة تقف على جانب الطريق مشعلة ضوء الانتظار، وفي طريق يتكوّن من حارة واحدة كانت تحتل الطريق كلّه تقريبًا.. دق قلبه بعنف عندما أدرك أنه لم يكن يفصلهما عن تلك العربة إلا سنتيمترات قليلة..

بدت عربة النقل معطّلة، وكان السائق يقف على الطريق وهو يرمقهما برعب وقد ظن هو الآخر أن الارتطام آتٍ لا محالة.. أطلق (حسن) سبّة وأخرج رأسه من النافذة وهو يصيح في السائق:

- حد يقف كده يا اسطى؟!

هزّ الرجل كتفيه وصاح بعصبية هو الآخر وهو يلوّح بهاتفه المحمول، في إشارة أن الهاتف هو مصدر المعلومات التي يقولها:

- الطريق بيتصلّح.. في حادثة في آخر الطريق على بعد ٣٠ كيلو موقّفة الدنيا..

بالطبع..

لابد أن يحدث هذا الآن..

زفر (حسن) في غضب، الأمطار قد اشتدت والطريق أصبح مأساة لضيقه.. طريق سريع في عتمة المساء وحارتان متضادتان دون حاجز بينهما.. كل ما ينقص المشهد هو لافتة تقول "طريق الموت السريع يرحب بكم"..

صاح (عاصم) في الرجل من النافذة:

- قدامهم قد إيه؟

هزّ الرجل كتفيه مجيبًا:

- المفروض نص ساعة مثلًا..

وابتسم بطيبة وهو يلوّح بكوب شاي في يده:

- تشربوا شاي؟

نصف ساعة ثمينة أكثر مما يتخيل الرجل..

كل ذلك الركض المتواصل والتهام الدقائق أصبح بلا معنى.

لكم (حسن) المقود في عصبية وهو يطلق سبة، فنظر له (عاصم) وقال بتوتر آملًا كعادته فيما هو أفضل:

- الساعة لسه حداشر إلا عشرة.. واحنا قدامنا نص ساعة ونطلع.. يعني إن شاء الله هانلحقهم.. ادعي انت بس.

نظر له (حسن) لأول مرة نظرة لم يفهمها (عاصم)، نظرة تجمع بين إحباط الدنيا وغضب مكتوم، ثم غادر العربة وأغلق الباب بعنف كاد أن يكسر الزجاج من قوّته..

ضرب الهواء البارد صدر (حسن)، واستقبله الرذاذ الخفيف الذي ينبئ بعاصفة قادمة.. أشعل سيجارة أخرى وهو يستند بظهره على مقدمة العربة..

حرفته كانت الابتعاد عن كل ما يسبب الألم..

ظلّت هذه هي ميزته الوحيدة التي يرى أنه اختلف بها عن كل من حوله..

تعلّم أن يبتعد عن كل مسببات الألم..

بالتالي ابتعد عن الحياة بكل ما فيها من عبثية مستمرة..

طوال عمره كان يترك كل شيء يسير كما يسير.. لا داعٍ للدخول في تفاصيل لا تهم عن أمور الحياة الشائكة.. عندما أخبرته (لمى) أول ... من صفحة (إنستا ـ حياة) وسألته عن أسبابه العشر كي يعيش.. ...رها ساخرًا ومتكاسلًا أن السبب الوحيد الذي يعيش من أجله ألا يفكر في أي شيء له علاقة بالحياة.. وأنه يرمي بكل شيء على ...ار..

يعيش دائمًا على الحياد.. لا يكافح من أجل حلم.. لا يعشق ...ة الجنون.. لا يترك مشاعره تتحمس لأي شيء.. هو دائمًا ...ا على الحياد.. يترك مسافة واسعة بينه وبين كل أمور الدنيا حتى

يتجنب كل الآلام الممكنة.. لأن لا شيء في الحياة يستحق أن يؤمن المرء به لدرجة الجنون..

أن تقف بعيدًا عن كل شيء، تشاهد كل من حولك يحترق دون أن تمسك النار..

متعة لا يمكن أن يتخيلها أحد..

حتى عندما أخبرته (لمى) أنها ذاهبة كي تُنهي حياتها.. وضع قلبه في قفص من فولاذ وظلّ على الحياد وتركها تذهب دون حتى أن يودّعها..

وحاول طوال اليوم أن ينسى.. ينساها بكل ذكرياتها.. ينسى صداقتهما التي تجاوزت كل الحدود المعروفة في مجتمع يضع قيودًا على كل شيء لمجرد الاستمتاع بالسيطرة.. وعندما بذل كل جهده وطاقته في أن ينساها.. عرف أنها وصلت في قلبه لدرجة أنها جعلته يبذل كل هذا الجهد..

أدرك أنه ظلّ يشاهد الدنيا كلّها من منطقة الحياد.. وتسللت (لمى) داخله لدرجة أنه لا يتخيل حياته دونها..

أدرك أن (لمى) هي كعب (أخيل) في حياته.. الثغرة الوحيدة في خطة محكمة..

اعترف أنه لن يحتمل فقدانها..

من يهرب من الألم عمره كلّه.. اعترف لنفسه أنها هي الوحيدة القادرة على جعله عاجزًا عن الهرب..

وهذا إعجاز لم يكن يتخيل أن يحدث مع أي أحد..

لم يحتمل.. كلّم (عاصم) وأخبره بكل شيء.. أصرّت (لمى) أن نذهب لـ(حسين عارف) دون أن يعرف (عاصم).. ذهب معها لذلك الفندق المطل على النيل.. لم يتكلم طوال الجلسة وظلّ على الحياد.. هذا ما وعدها به وهذا ما سيظلّ محافظًا عليه.. لذا عندما ماذا جعلته يعطيها وعدًا بأنه لن يخبر (عاصم)..

ذلك الأبله الذي أحبها في أسوأ وقت في الدنيا..

لكن (عاصم) كان الأمل يسير على قدمين.. كان يعشق كل ما يتعلق بالحياة وتفاصيلها.. لم تستطع (لمى) أن تستجمع شجاعتها وتكون جرحًا في حياته..

من يعيش يداوي جرحًا غائرًا لا يستطيع أن يجرح أحدًا ويؤلمه مهما كان..

لكن لماذا يحدث كل هذا الآن؟

لماذا تلك الحادثة على الطريق.. في هذا الوقت وهو يحارب لأول مرة في حياته من أجل شيء ما؟ هل هذه رسالة ليكفّ عن المحاولة؟

رفع رأسه للسماء الممطرة.. كل شيء داخله متلاطم وغير مفهوم في هذا المناخ تمامًا.. نظر لنفسه من أعلى كما اعتاد أن يفعل.. وسيلته للتعالي على كل شيء هو أن ينظر لنفسه من أعلى بعين الخيال.. يدرك وقتها أنه كائن تافه وكل ما يحدث حوله أكثر تفاهة.. فيستطيع أن [illegible] ويتحمل..

هذه المرة.. وهو ينظر لنفسه من أعلى.. بدا كل ما يحدث غير منطقي وغير مترابط.. رجل يقرر الانتحار لو لم يجد عشرة أسباب للحياة.. امرأة مطلّقة تذهب معه لأنها لا تجد سببًا واحدًا يستحق.. مصوّر سطحي متفائل يعشق الحياة أحب تلك المرأة، يذهب مع صديق المرأة ليحاول لا إنقاذها من الانتحار بلا أمل حقيقي..

وعندما يتصاعد الأمل يجدان حادثًا يفقدهما ما تبقى من تفاؤل..

ما هذا العبث؟

بدأ يتملكه صداع خفيف، لا يدري هل هو بسبب الغضب أم بسبب كثرة السجائر، لكنه لم يعبأ، ظلّ يرى نفسه من أعلى وهو [illegible] على العربة في عجز.. لا يستطيع أن يفهم أي شيء ولا يستطيع أن [illegible] سببًا منطقيًا لكل ما يحدث..

بعين الخيال رأى (لمى) واقفة على الشاطئ تنظر للسماء [illegible] وتنتظر إجابة.. هي حائرة مثله.. عاجزة مثله.. لكن الفرق الوحيد بينهما أن لا شيء يمنعها من الموت.. بينما يمنعها الآن كل شيء [illegible] الذهاب وإنقاذها..

شعر بغضب عارم حاول أن يكتمه طوال هذا الوقت، [illegible] فجأة وهو ينظر للسماء:

- انت عاوز إيه؟

انتفض (عاصم) من صرخة (حسن) المفاجئة، ونظر [illegible] له كمن ينظر لمجنون، في حين أكمل (حسن) دون أن [illegible]

يرفع يده مشيرًا اللاشيء:

- انت عاوزها تموت ولا تعيش؟

خرج (عاصم) من العربة وأسرع إليه في ذعر ليمسك يده، فالتفت له (حسن) في غضب وهو يسحب يده بعنف، وأكمل ناظرًا للسماء:

- انت هاتفضل طول عمرك باصص على كل حاجة من فوق عشان انت عاجز.. مش عارف تعمل أي حاجة.. اللي يموت يموت.. واللي يعيش يعيش.. مش فارقة معاك.. المهم إنك تفضل بعيد عن كل حاجة.. وسايب كل حاجة بحجة إن كل واحد حر يعمل اللي هو عاوزه!

وصرخ:

- ماحدش عارف أصلًا هو عاوز إيه!

لم يدرك (عاصم) أن (حسن) يحدّث نفسه التي تنظر له من أعلى.. ظن أنه قد جنّ أو كفر فصرخ فيه وهو يمسك كتفه:

- إيه اللي انت بتقوله ده؟ اهدى يا (حسن) واستغفر ربنا.. بلاش هبل..

صاح (حسن) دون أن يعبأ به:

- لو عاوزها تعيش فعلًا كنت عمرك ما وقفت عشان حادثة ملهاش لازمة..

دفعه (عاصم) بقوة وصرخ فيه وهو لا يفهم أي شيء:

- يابني انت اتجننت؟ ما تبطّل اللي بتعمله ده!

دفعة (عاصم) جعلت (حسن) يرتطم بجانب العربة بقوة، فالتفت لـ(عاصم) بغضب..

عن ماذا يتكلم هذا الأحمق؟

هل هذا وقت غبائه وسطحيته الآن؟

ذهب ناحيته بسرعة ودفعه بقوة جعلت (عاصم) يتراجع رغمًا عنه وكاد يسقط.. لم يعد (حسن) يدري لماذا يفعل كل هذا.. غضب عارم سيطر على كل خلاياه ولابد له أن يخرج منه حتى لا يجنّ..

اتجه بخطوات بطيئة ناحية (عاصم)..

منذ أن رآه و هو يعرف أنه لن يحبه مهما فعل.. هو السبب في كل ما يحدث الآن.. هو من قال إنه يعرف (حسين) واستطاع أن يجعل (لمى) تذهب إليه..

من السخرية المريرة أن الوحيد بينهم الذي يعشق الحياة.. هو السبب الرئيسي في الموت..

نظر له (عاصم) نظرة حائرة من اقترابه البطيء ونظرته الغاضبة، تراجع للخلف خطوتين وهو يسأل بخوف يحاول أن يداريه:

- فيه إيه؟

بكل ما يشعر به (حسن)، ضمّ قبضته ولكمه لكمة عنيفة جعلته يهوي أرضًا وهو يصرخ في ألم..

تأمله لحظات في هدوء تام.. وكأنما لم يفعل شيئًا.. عاد ثانية بخطوات بطيئة ليستند على العربة ويشعل سيجارة عاشرة في صمت تام.. وينفث دخانها كأنما ارتاح تمامًا من كل شيء..

ظلّ (عاصم) ملقى على الأرض يمسك خدّه في ألم ويتأوه، فقال (حسن) بصوت عالٍ دون أن ينظر له:

- قدامك دقيقة واحدة.. بطل عياط زي الستات..

وأكمل وقد عادت ابتسامته المستهزئة بكل شيء:

- عشان هانكمل طريقنا..

ولم يتبقَ أي شيء إلا نظرة السائق التي تنظر له كمن ينظر لمجنون..

(١٣)

"ولا دقيقة كتير عليك.."

قالها وهو يلقي بسيجارته التي كانت ماتزال بمنتصفها على الأرض المبتلة، لتصدر ذلك الصوت المحبب لنفسه عند انطفاء الشعلة بالماء.. صوت انهزام النار المشتعلة أمام سلمية الماء البارد...

"فسسس"..

أمسك المقود وأدار المفتاح ليسمع صوت المحرك الهادئ.. أغلق الباب لينعزل عن الهواء البارد والرذاذ الخفيف.. نظر للطريق المعاكس جانبه.. مرّت أكثر من عربة عائدة بسبب الحادثة التي أغلقت طريق الذهاب.. عادوا بخيبة أملهم وقد كانوا يتمنون قضاء رأس السنة في الساحل الشمالي.. كيف يشعر أي شخص بخيبة أمل وهو أصلاً بتلك السطحية والبلاهة؟

ضغط على دوّاسة الوقود ليزأر المحرك بقوة وهو يُضيّق عينيه في تركيز كأنما يحسب شيئًا ما.. نظر لساعته ليجدها العاشرة وأربعين دقيقة.. أقسم بينه وبين نفسه أنه سيلحقها حتى لو مات في سبيل ذلك.. هذه هي أكبر مأساة لكل من هو مثله.. يبتعد عن كل ما

تمامًا.. لكن ما إن يتسلل شيء لقلبه.. ما إن يجد شيئًا يحبه حقًا.. حتى يموت من أجله بلا تردد..

هذا دائمًا ما يقرر ألا يحب من الأساس..

لم تمر نصف دقيقة حتى وجد (عاصم) يفتح الباب الخاص بمقعده ويجلس جواره في صمت. كان مازال يمسك خدّه الذي تورّم قليلًا. لم ينطق بكلمة وهو ينظر للاشيء. للحظة شعر (حسن) بالشفقة نحوه، لا يستحق اللكمة لأنه يحب (مي)، لكنه كان غبيًا حقًا..

قال له بصوت هادئ:

- ماتزعلش مني.. أنا كنت متعصب وبكلم نفسي أصلًا..

لم يردّ (عاصم) أو يبدُ عليه أنه سمع شيئًا من الأساس. فأكمل نادمًا:

- لو لحقناها يا عم، ليك عندي إني هاسيبك تضربني في المكان اللي تحبه..

ساد الصمت، ثم قال (عاصم) بنبرة غامضة:

- انت أكدت لي يا (حسن) اللي أنا كنت شاكك فيه من الأول..

وأكمل وهو ينظر له بعينين تنطقان بغضب لا محدود:

- انت بتحبها!

نظر له (حسن) كمن ينظر لطفل صغير، علت شفتيه ابتسامة باهتة. كلمة (عاصم) جعلت قلبه ينبض نبضة غير معتادة، لكنه تجاهلها تمامًا..

تماما.. لكن ما إن يتسلل شيء لقلبه.. ما إن يجد شيئًا يحبه حقًا.. حتى يموت من أجله بلا تردد..

لهذا دائمًا ما يقرر ألا يحب من الأساس..

لم تمر نصف دقيقة حتى وجد (عاصم) يفتح الباب الخاص بمقعده ويجلس جواره في صمت. كان مازال يمسك خده الذي تورّم قليلًا. لم ينطق بكلمة وهو ينظر للاشيء. للحظة شعر (حسن) بالشفقة نحوه، لا يستحق اللكمة لأنه يحب (لمى)، لكنه كان غبيًا حقًا..

قال له بصوت هادئ:

- ماتزعلش مني.. أنا كنت متعصب وبكلم نفسي أصلًا..

لم يردّ (عاصم) أو يبدُ عليه أنه سمع شيئًا من الأساس. فأكمل مبتسمًا:

- لو لحقناها يا عم، ليك عندي إني هاسيبك تضربني في المكان اللي تحبه..

ساد الصمت، ثم قال (عاصم) بنبرة غامضة:

- انت أكدت لي يا (حسن) اللي أنا كنت شاكك فيه من الأول..

وأكمل وهو ينظر له بعينين تنطقان بغضب لا محدود:

- انت بتحبها!

نظر له (حسن) كمن ينظر لطفل صغير، علت شفتيه ابتسامة ... كلمة (عاصم) جعلت قلبه ينبض نبضة غير معتادة، لكنه تجاهلها تمامًا..

يعرف أن (عاصم) لاعب ماهر في الشطرنج. أخبره بهذا مرارًا وتكرارًا طوال الأيام العشرة الماضية كأنما هو إنجازه الوحيد في الدنيا.. لذا أدرك لماذا يقول هذا.. لإثبات سيطرة ما..

يفكّر (عاصم) في كل خطوة ممكنة وكل احتمال لكل خطوة عندما تناقش معهما بعد مقابلة عم (شعبان) قال إنه يستطيع أن يجد عشرين سببًا للحياة وليس عشرة فقط.. يحب الحياة ويحب الحب.. يحب كل دقيقة تمضي ويرى في كل شيء سببًا كي نعيش من أجله.

أول كلمة قالها (حسن) لـ(لمى) عن (عاصم) بعد رحلتهم.. "أن هذا الشاب سيعشقها".. وأنكرت (لمى) هذا بشدة..

(لمى)..

شعر بألم يعتري روحه مع ذكراها، فقال لـ(عاصم) بهدوء ردًا على جملته الغاضبة، وهو يرمق الطريق:

- دي آخر حاجة تفكّر تعمل لها حساب يا (عاصم)..

نظر له (عاصم) في عدم فهم، وانتفض على صوت صرير الإطارات الصارخ، ثم وجد (حسن) فجأة يتحرك بسرعة (هنا) بالعربة، وهو يخترق الشريط الترابي الضيق الفاصل بين الحارتين ويضغط على دواسة الوقود بقوة لتنطلق العربة بأقصى سرعتها،

في الطريق المعاكس..

شهق (عاصم) في ذعر وهو يربط حزام الأمان بسرعة، ويضع يده على السقف ويحمي باليد الأخرى وجهه، ثم يضع قدمه على التابلوه

في خوف، يرى أنوار السيارات تقترب منه في سرعة رهيبة، وسمع أصوات الأبواق المعترضة لكل السيارات..

لم يعبأ (حسن) بكل هذا وهو يزيد من سرعة العربة، ويناور العربات المسرعة في مهارة.. ارتسمت ابتسامة جانبية على وجهه وهو يتخيل كمّ السباب الذي سيلاحقه الآن..

سمع صوت اصطدام عربة خلفه بجانب الطريق لكنه لم يهتم، لابد أن سائقها فقد تحكمه في السيارة بسبب المفاجأة. ما إن تجاوز عربة النقل بسائقها شارب الشاي الذي ينظر لهما ببلاهة، حتى عاد لحارته الأصلية وأطلق العنان لعربته.. عاد المؤشر لرقم مائتين وأربعين بسهولة شديدة..

ما لم يفهمه (عاصم) ولن يفهمه أحد أن (حسن) لم تكن لديه أي أسباب للحياة..

كان فقط يكره الموت..

يعمل في مهنة عادية جدًا، يحب ويرتبط بفتاة ثم يتركها أو تتركه.. يحاول أن يجمع من المال ما يكفي ليتزوج يومًا ما أو يمتلك عملًا خاصًا.. كل ما كان يحبه الناس فيه هو روحه المرحة ومعرفته بأمور كثيرة عن الدنيا.. كان يمتلك من الصبر ما يكفي ليسمع مشاكل كل من يعرفهم ويحلّها ببساطة..

لأنه دائمًا ما يشاهد كل شيء من أعلى.. ولا يشعر بشيء على الإطلاق..

كان راضيًا تمامًا بالأحلام العادية التي تشغله بها الدنيا.. يعيش على أمل الحياة الأخرى بعد موته.. أنه سيرتاح في الجنة أخيرًا بعد إرهاق دام طوال عمره.. ليأتي (حسين عارف) ويهدّ كل العالم الزائف الذي يعيش فيه..

(حسين عارف) ليس أكثر من مجرد شاب يحاول أن يبحث عن معنى.. وفي بحثه هذا جعل كل شيء يبدو على حقيقته العارية.. هل تحب الحياة؟ لماذا؟ كي تحب؟ كي تتزوج؟ كي تعمل عملًا تحبه؟ ستموت في النهاية كأي شخص آخر..

(حسين عارف) لم يكن يبحث عن أسباب عادية.. كان يبحث عن أسباب لا يهزمها الموت في النهاية..

وهنا كانت المشكلة..

كل الأحلام المنطقية الظريفة الهادئة، هدّها بيده وقال إنها سبب واحد فقط في حياة كاملة..

كانت (لمى) تقرأ لـ(حسن) جميع منشورات (حسين عارف) رغم أنه كان يكرهها.. ليس من حق أي أحد أن يجعلك تواجه نفسك ويسقه من أحلامك حتى لو كانت عادية.. ليس من حق أحد أن يدخل في عقلك بسؤال بسيط لكن لا إجابة له..

ماذا لو عرفت يومًا ما أن هناك هدفًا آخر غير العبادة؟ وأنك تكاسلت ولم تُتعب نفسك في البحث عنه.. ماذا سيحدث في النهاية عندما يحاسبك الله.. هل ستخبره أنك لم تكن تعرف؟

ماذا لو كان هناك سبب آخر؟

ماذا لو كان لحياتك معنىً حقيقي متفرد، عليه اسمك أنت فقط.. أنك لست مجرد فرد في جموع المؤمنين وقت الحساب؟

ماذا لو أنك تعيش على أمل الجنة لكنك في النهاية لن تدخلها لأنك لم تعرف معنى الحياة ولماذا تعيشها؟

كان يكرهه ويكره أسئلته..

يشعر أنه يعبث بعقله وبعقل كل من قرأ له يومًا..

ثم إن (حسين عارف) لم يكن يخبر أي شخص بأسبابه التي وجدها، وكان هذا يثير جنونه.. هل تشاركنا أسئلتك العقيمة ولا تشاركنا حلولها؟ كان يعرض كل سبب وكأنه لغز.. يتكلم عنه ولا يذكره.. وليفهم من يريد أن يفهم.. أكثر ما كان يثير عصبية (حسن) أن الأسباب التسع التي وجدها لم تكن تخص (حسين عارف).. كانت أسبابًا فقط لكي يستمر في الحياة.. كالخوف من الموت والحلم والحب والشهوة.. هذا ما استطاع استنتاجه من الكلام المبهم الغريب الذي يكتبه.. باعتراف (حسين عارف) نفسه كانت أسبابًا نشترك فيها جميعًا وليست جديدة على الأذن.. لكنها كانت أسبابًا في النهاية.. رغم سخافتها..

لكن ذلك السبب المميز.. السبب الذي يدّعي أنه خاص به وحده وأن الله خلقه من أجله..

فشل في أن يجده..

السبب العاشر..

والذي يستحيل معرفته لأنك لم تصل للنهاية بعد.. كيف سأعرف دوري إلا عند النهاية فقط؟

لهذا قرر (حسين) أن ينهي حياته بيده.. قال يومًا في أحد منشوراته أنه غير مقتنع بأن الانتحار كفر.. وحتى لو كان كفرًا فيكفي أنه يوم الحساب سيفهم.. لأنه سيسأل الخالق مباشرة ويعرف كل شيء في النهاية.. وليذهب للجحيم بعدها..

هذا المقال أثار حفيظة كل متابعيه وحتى مؤيديه..

كان يكره (حسين عارف) ويخاف على (لمى) منه..

كان يخاف على نفسه منه..

كان يخشى الحديث عنه، لا يناقش أفكاره، ويرى أنه ظهر في توقيت سخيف للغاية..

لقد أصبح الجميع يتنفس الموت كل يوم.. يرونه أمامهم ويبكون بسببه.. أصبح عدد الراحلين في اليوم الواحد مخيفًا للغاية.. ومع كل شخص يرحل، هناك عشرة آخرون يحبونه يفقدون جزءًا من روحهم معه.. جاء (حسين) في وقت غير مناسب.. يتحدّث في موضوع يخافه الجميع.. وفي النهاية يعلن فشله في بساطة وأن الموت انتصر عليه.. ماذا سيفعل هذا بكل من يفكرون في نفس الموضوع؟

لعن الله (حسين عارف) و(إنستا ـ حياة)..

ولعن الله كل هذا التوتر الذي يشعر به يتسلل لأطرافه كلها..

طوال عمره عندما تتأزم الأمور ويشعر بهذا الضغط يبدأ

بعيدًا.. يمزح ويسخر من كل شيء.. يحاول أن يجعل من كل ما حوله مسرحية هزلية.. فيضحك على الدنيا بدلًا من أن يُبكي روحه..

قطع أفكاره بداية ظهور الازدحام من بعيد، كان الطريق متوقفًا تمامًا وهناك عربات كثيرة قد بدأت تدور وتأخذ الطريق العائد للقاهرة..

هنا.. أغمض عينيه لحظة، وأخذ نفسًا عميقًا..

وبمنتهى الهدوء ضغط على زر تشغيل كاسيت العربة..

ولدهشة (عاصم) واشمئزازه في نفس الوقت.. صعدت الموسيقى الصاخبة لمهرجان شعبي.. وبدأ (حسن) يهز رأسه مع النغمات ويبتسم ابتسامة واسعة..

ثم انطلق بالعربة ناحية الزحام في سرعته المجنونة..

"ارفع إيدك فوق.. لو متضايق هاتروق..

اوعاك في العكس تسوق.."

ضحك (حسن) بصوت عالٍ في استمتاع.. لم يفكر ولم يبطئ العربة.. دخل في الحارة المعاكسة مرة أخرى واهتزت العربة في يده مرة ثانية عند عبورها الحاجز الترابي، سمع صرخة (عاصم) وشعر بحركته الغريبة التي يؤمّن بها نفسه، لم يهتم به وهو يتفادى العربات بسنتيمترات قليلة ولم يبالِ بكمّ السباب الذي انهال على والدته رحمها الله.. كان (عاصم) يصرخ مع كل عربة تقترب لدرجة مخيفة، في النهاية استسلم وأغمض عينيه وهو يتلو الشهادة..

"فرتكة فرتكة.. ع الطبلة وع السكسكة"..

كلام هابط جعل من المشهد كلّه مشهدًا هزليًا، غير حقيقي..

ما لم يدركه (عاصم) ولن يفهمه أحد أنه في هذا الوقت الحرج غير الملائم إطلاقًا..

وجد (حسن) سببه الوحيد الذي يعيش من أجله..

لا يبالي أن يجد عشرة أسباب.. لا يبالي بأي شيء عن فلسفة الدنيا وفلسفة الموت والوجودية والعبثية وهذا الكلام الضخم الأنيق..

كان يبالي فقط أن يحمي (لمى) من إصابتها بأي مكروه وهو على قيد الحياة..

فليطلق عليه (عاصم) وبقية البشر أنه حب.. فليطلقوا عليه ما يريدون.. لا فارق..

كل ما يهم..

أنه وجد سببه الوحيد..

"فرتكة فرتكة.. راجعين نعمل دربكة"..

ظهرت أمامه عربة مسرعة فجأة، فانحرف في قوة وهو يسحب فرامل اليد، ثم أدار المقود في الاتجاه المعاكس وضغط دوّاسة الوقود ثانية ليتفادى العربة بأعجوبة.. لم يكن يعرف أنه قادر على فعل أي شيء كهذا من قبل.. كان واثقًا أن هناك أكثر من خمس حوادث وقعت بسبب جنونه هذا لكنه لم يهتم على الإطلاق.. مرق كل شيء

حوله كعالم مجنون.. انفصل عن نفسه وعما يحدث تمامًا، فأصبح يقود السيارة بهدوء تام وسيطرة على مشاعره وجسده سيطرة غريبة.. يعرف أن خطأ واحدًا كفيل بأن يُنهي كل شيء.. ولو انتهى كل شيء.. لن يستطيع أن يُنقذ (مي).. مرت عربة ثانية جانبه بصعوبة وضربت عربة ثالثة المرآة الجانبية فخلعتها من مكانها تمامًا..

لقد بدأ المستحيل..

لا يستطيع أن يستمر هكذا أكثر من هذا..

"وفيه ناس مش عايزة تعيشها.. وفيه ناس واخداها سياحة..

وآدم نزلنا الأرض..

علشان قطم التفاحة.."

نظر للطريق الثاني نظرة خاطفة، اقترب الزحام على الانتهاء، يستطيع أن يرى على مسافة قريبة الحادثة التي أوقفت الطريق كلّه.. هل مرّ ٣٠ كيلو بتلك السرعة؟ عادت عينه للطريق ليرى ما جعل (عاصم) يصرخ كفتاة في الثانية عشرة من العمر..

عربة نقل كبيرة تحتلّ الحارة بأكملها.. قادمة من بعيد بأقصى سرعتها..

العودة للحارة الأصلية غير متاح لأنه لو عاد الآن بتلك السرعة سيرتطم بكل السيارات الواقفة، وعربة النقل آتية في وجهها بلا أدنى مساحة لتفاديها..

ظلّ (عاصم) يصرخ، وفغر سائق عربة النقل فاه، وهو يضغط

على الفرامل بقوة في محاولة للإبطاء أو تقليل حدّة الاصطدام وهو يطلق بوق السيارة المزعج بقوة، مطلقًا سبّة..

وهنا أدرك (عاصم) أن (حسن) قد فقد عقله..

وسط كل ما يحدث، وعكس كل التوقعات..

ضغط (حسن) دوّاسة الوقود أكثر، ليصل العدّاد إلى رقم مائتين وستين، وتبدأ العربة في الاهتزاز الشديد وكأنها ستنهار.. أطلق (عاصم) صرخة ثانية وهو يرى عربة النقل تقترب بشكل مخيف..

ولا يذكر شيئًا بعدها.. لأنه أغمض عينيه بشدّة وتلا الشهادة للمرة الألف..

"فرتكة فرتكة.. ع الطبلة وع السكسكة"..

(١٤)

هناك لحظة ما..

لحظة يختلف كل ما بعدها عن كل ما آمنت به قبلها..

(حسن) لم يكن يدرك أنه يستطيع أن يسخر حتى من الموت.. لم يكن يعرف أي شيء عن طريقة تصرفه أمام أشد اللحظات رعبًا.. لكنه أدرك كل هذا داخله في تلك اللحظة..

أدرك أنه يستطيع أن يتعدى حدود الجنون، ويخترق غير الممكن بسهولة تامة..

وهذا ما فعله في لحظات قليلة..

كان يعرف أن كل شيء يسير عكس ما توقع.. هو يواجه المعنى الحرفي لكلمة عواقب المخاطرة.. أن تخاطر بكل شيء، بل وتخسره.. رأى عربة النقل منطلقة تجاهه وهناك اصطدام لن ينتج عنه إلا موته هو و(عاصم).. لذا ظلّ ينظر للناحية الأخرى بثبات تام، وزاد من سرعة العربة..

هذا الموقف بالنسبة له وكأنه يمشي بالتصوير البطيء.. لم يعد ينظر

لعربة النقل.. لم يعد يهتم حتى بالتفكير في تجنبها.. كان في الجامعة يعشق أن يقود بسرعة.. كان يتسابق مع أصدقائه في منطقة ما في مساكن الشيراتون قبل أن يطوروها.. وكان دائمًا في لحظات السرعة القصوى يرى كل شيء بالتصوير البطيء..

ميزة النظر لكل شيء من أعلى تعود من جديد..

ظلّ نظره معلقًا بالحارة الأخرى في حين اقتربت عربة النقل لدرجة خطيرة.. رأى أخيرًا الحادثة التي أوقفت طريقًا بأكمله.. عربات متلاحمة ومقلوبة فيما يبدو حادثًا كبيرًا.. لكن الميزة الوحيدة أن الطريق أصبح بعدها فارغًا تمامًا.. أدار مقود العربة لليمين سنتيمترًا واحدًا.. وبسرعة العربة المجنونة تحوّل ذلك السنتيمتر لانحراف مفاجئ اخترق الحاجز الترابي عائدًا بالسيارة لنفس الحارة الأصلية، في نفس اللحظة التي مرقت فيها عربة النقل محتلة نفس المكان الذي كانت سيارتهما فيه..

لكن كل هذا لم يمرّ مرور الكرام..

لقد لمست النقل مؤخرة سيارة (حسن)..

فجعلت العربة ترتدّ تجاهها، وتكاد ترتطم ببقية جسم عربة النقل، سبّ (حسن) سبّة عصبية لأنهما كانا على الحاجز الترابي وأصبح من الصعب التحكّم في السيارة، لكنه بإصرار غريب أدار المقود مرة ثانية لليمين بحدّة وهو يرفع فرامل اليد، فأصدرت الإطارات صريرًا عاليًا والعربة تعود ثانية للطريق الرئيسي، مثيرة سحابة من الغبار خلفها..

ومضت سيارتهما في طريقها بأقل أذى ممكن..

فتح (عاصم) عينيه ونظر حوله في ذهول، سائلًا:

- إحنا لسه عايشين؟

لم يهدأ (حسن) للحظة، وهو يزيد من سرعة العربة ثانية كأنها لم يحدث شيء، فرمقه (عاصم) وقال وصدره يعلو ويهبط كمن كان يركض مسافة طويلة:

- أبوس إيدك أقف شوية.. أنا مش قادر!

لم يردّ عليه (حسن)، فقال (عاصم) برجاء:

- عاوز أرجّع!

زفر (حسن) في ضيق، وهو يضغط زر الانتظار، ويهدئ من سرعة العربة حتى توقفت تمامًا، قفز منها (عاصم) وذهب لجانب الطريق ليفعل ما قال بالضبط أنه سيفعله..

ولأول مرة، أغمض (حسن) عينيه وهو يسمع دقات قلبه تخترق أذنيه، والألم فظيع في يده من قوة تمسّكه بالمقود، وتلك الرعشة الغريبة في قدمه، بسبب ضخ الأدرينالين المفزع في جسده..

ما الذي حدث؟

ما هذا الجنون؟

فليقل أحد لـ(حسين عارف) أن الموت ليس بهذه السهولة أبدًا..

أخذ نفسًا عميقًا وزفره في قوة في محاولة للتحكّم في أطرافه ثانية..

ما تلك الطاقة التي احتلت جسده؟ وكيف نجيا من الحادث؟

ما تلك العبقرية التي حلّت به وجعلته يقوم بهذا التصرف السليم؟ أي شخص في مكانه كان سيوقف العربة ويخرج منها مسرعًا قبل أن تدهسه النقل..

أخذ نفسًا ثانيًا.. أخرج سيجارة وأشعلها وهو يدرك شيئًا ما...

لقد عثر على سببه الخاص به وحده..

ذلك السبب الذي يجعله يقتحم كل شيء من أجله..

(حسين) لم يفعل بعد..

أو ربما وجد السبب.. وفقده..

في النهاية.. أيا كانت الاحتمالات.. كان (حسن) سيصبح (حسين) لو فقد (لمى)..

(حسن) و(حسين)..

يا له من تشابه سخيف في الأسماء..

عاد (عاصم) للعربة، وما إن أغلق الباب، حتى انطلق (حسن) بالعربة ثانية بسرعة.. فلا وقت لدى أي منهما للراحة ولو ثوانٍ بسيطة..

ولم يعد (عاصم) يريد مقاومة أي شيء يحدث..

لم يعد يريد أن يشعر حتى لو بأمل بسيط...

كل ما هو قادم سيأتي.. سواء أراد أم لم يرد..

الطعم المرّ في حلقه.. الفراغ المميت الذي يشعر به داخل روحه مع إنهاك في كل خلايا جسده.. إحساس العجز التام مع كل ما يحدث حوله.. منذ دقائق تم ضربه بعنف.. وكاد يتعرض للموت المحقق.. عقله بطبيعته المنطقية يشعر بالإرهاق من كثرة الأسباب التي يحاول بها ترتيب كل ما يحدث ترتيبًا يوضح كل شيء..

متى تحوّل من ذلك الشاب الهادئ الجذاب الحالم، لذلك المراهق الذي يبكي ويصرخ ولا يفعل أي شيء يُذكر..

كان واثقًا من أنه يستطيع أن يواجه مستقبله أيًا كانت مشاكله.. خطّط لحياته مستقبلا لمدة عشرة أعوام كاملة.. يعرف أنه سيصبح مصوّرًا أكثر شهرة في سنة.. يعلم أنه سيسافر بعدها ليلتقط صورة تجعله يكسب جائزة يحلم بها.. كان متأكدًا أنه سيتزوج في تلك الفترة ويسافر مع زوجته التي تؤمن بحلمه..

وتأكد أكثر أن تلك الفتاة سيكون اسمها (لمى) عندما رآها..

قد لا يرى أحد فيها أي شيء مميز.. لكن من قال إن عين العاشق تلتقط ما يراه الناس؟

روحها الحزينة.. البريئة.. روحها التي لوثها كل من عرفته بصبر قاتل محترف.. كان يرى كلّ شيء فيها.. يرى الحزن الدفين خلف أشواكها القاتلة.. يعرف أنها تُظهر الأشواك فقط كي يبتعد السطحيون.. كلامها كلّه عبارة عن صرخة استغاثة.. فلينجدني من يستطيع النفاذ إلى روحي..

عشقها..

متى إذن تحوّل لذلك الباكي السلبي الضعيف؟

يكره نفسه الآن أكثر من أي وقت مضى..

وعدها منذ ثلاثة أيام أنه سيفعل كل ما في استطاعته، ليكون هو سببها الأول في الحياة..

ليجدها هربت منه للموت.. ويضيع كل ما خطط له لمستقبلهما معًا..

كلّ شيء خطأ.. كلّ شيء غير مفهوم..

أغمض عينيه وأسند ظهره على كرسيه.. لابد أن يستعيد قواه وهدوءه.. لم تتبقَ إلا دقائق قليلة ويصلا لفيلا (حسين عارف) في الساحل الشمالي.. دقائق ويقف أمام (لمى) ليقنعها أن تترك كلّ شيء من أجله.. لن يستطيع أن يقنعها بحرف وهو في حالة يرثى لها مثل الآن.. لابد أن يصبح قويًا من أجلها.. أن يسحرها ويجعلها تؤمن بكل حرف..

كفاه تخبطًا.. كفاه بعثرة..

يريد أن يعود لنفسه المطمئنة الواثقة..

وكعادته.. كلما شعر بارتباك في أي شيء.. أعاد ترتيب أفكاره كلّها من البداية.. أمسك هاتفه ليفتح صفحة (إنستا ـ حياة) ويقرأ كل شيء من البداية.. لابد أن يعرف كيف يواجه كل ما قيل في تلك المنشورات التي نشرها (حسين) في صفحته وبثّ سمومه من خلالها في عقل (لمى)..

كيف استطاع أن يجعل فتاة كـ(لمى) تفكّر في الموت بتلك البساطة؟

عشر دقائق تفصله عن كلّ شيء..

لابد أن يعرف أين حدث الخطأ في كلّ ما وقع..

لذا أراح رأسه.. وأطلق سراح عقله..

وأطلق العنان للذكريات..

(١٥)

منشور بتاريخ "٤ـ١٠ـ٢٠١٤"

كثيرون منكم طلبوا مني أن أصرح بالأسباب التي أجدها.. حتى يفهموا طريقة تفكيري ولو قليلًا.. لذا قررت أن أخبركم بالسبب الأول حتى تعرفوا بساطة الأمر..

هو سبب أكثر شاعرية، ومعروف لدرجة أنني قررت أن أصرح به في النهاية من سذاجته!

كلّنا شاهدنا مسرحية الحادثة.. عندما خطف شاب فتاة، وسجنها في بيته لفترة طويلة.. تأقلمت الفتاة على الحياة.. أصبحت تخاف أن تخرج من البيت ولا تحاول حتى أن تهرب.. أصبحت ترى حياتها كلّها من خلال قضبان هذا البيت المغلق.. حتى أتى اليوم ومشهد النهاية الساحر.. عندما فتح لها المختطف باب السجن، فأمسكت المفتاح وأغلقت الباب ثانية وألقت بالمفتاح خارج النافذة.. فأصبحوا في نفس الزنانة معًا إلى ما لا نهاية..

مع بعض الخيال.. لو فرضت أن البيت هو الدنيا.. والمختطف هو الواقع.. والموت هو كل شيء بالخارج.. ستفهم قصدي جيدًا..

إنه الخوف..

أنا أخاف من الموت..

ذلك الغامض البائس الذي يتلذذ بحيرتنا وخوفنا منه.. يطلقون عليها غريزة البقاء.. أطلق عليها غريزة الخوف من المجهول..

أعرف كثيرين يقولون لي نفس الشيء عندما أضغط عليهم بإلحاحي في السؤال عن عشرة أسباب للحياة. يخبرونني بحيرة حقيقية أنهم يخافون الموت.. هذا أحد أهم أسباب استمرارهم في الحياة.. حتى لو كان مثلي يرى أن حياته بلا قيمة ولا تساوي شيئًا على الإطلاق.. لكنه خائف من مكان مجهول لا يعرف عنه شيئًا..

أعترف أمامكم جميعًا أنني الرجل المخطوف الذي يخاف من شيء غير معروف بالنسبة له، أرى فتحة باب السجن أمامي ولا أجرؤ على الخروج بسبب خوفي من شيء مجهول.. وأُفضِّل دائمًا أن ألقي بالمفتاح بعيدًا حتى لا أعثر عليه أبدًا..

هل تغلبت على خوفي؟ لا أدري.. ولن أستطيع أن أحدد.. كل ما أعرفه أنه سبب مهم، سبب يجعلني أستمر ولا أفكر في قبح الموت أبدًا.. سبب يجعل أناسًا آخرين مثلي يستمرون في حياتهم الكريهة لمجرد خوف طبيعي تمامًا..

وكما قلت إنها تجربة شخصية تمامًا.. فحتى لو لم يقتنع أحد منكم؛ فهذا سببي الأول..

وأول خطوة في الطريق..

وإن استطعت التغلب عليه فسينقصني سبب ما في النهاية..

وسأظلّ أبحث..

إما أن أصل لنهاية الطريق أو لنهايتي أنا.. لا فارق..

#إنستا_حياة #حسين_عارف"

* * *

منذ تسعة أيام عندما أخبرته أنها تعرف السبب العاشر، نظر لما كتبت بدهشة حقيقية وكتب يسألها:

- متأكدة من اللي انتي بتقوليه ده؟

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة.. كتبت في سرعة:

- عشان كده عاوزة أعرف هو فعلًا هاينتحر لو مالاقاش السبب العاشر.. أنا متابعاه من أول يوم ظهر فيه.. لحد دلوقتي ماقلش السبب اللي مخليني أنا أعيش.. وسبب من نفس المنطق بتاعه بنفس شروطه.. لو هو فعلًا هاينتحر يبقى لازم أقابله أقوله على السبب العاشر..

ظلّ فترة طويلة هذه المرة يفكّر فيما تقول، ثم كتب وقد عاد لأسلوبه المقتضب السخيف ثانية، كي لا يطيل على عقلها الظنون:

- هاشوف هاقدر أعمل أيه وأرد عليكي.. سلام..

ولم يُضع وقتًا. ما إن أنهى المحادثة حتى بحث في هاتفه عن رقم الشركة التي يعمل بها (حسين عارف). كلمهم ولم يأتِ بأي معلومة

مفيدة تدلّه على المكان.. (حسين عارف) استقال فعلًا منذ أربعة أشهر واختفى تمامًا بعدها. حاولوا الوصول إليه مرارًا، لكن حتى أهله -الذين كانوا أكثر قلقًا عليه من جميع الناس- لم يكونوا يعرفون عنه شيئًا.. لم ييأس وظلّ يتكلم مع كل من يعرفه، حتى وصل لمعلومة واحدة.. أن (حسين) كان متزوجًا من كاتبة مغمورة اسمها (فريدة المنياوي) ماتت منذ ما يقرب من خمسة أشهر.. وعرف أن هناك فيلا باسمها في (فايد)..

حصل على المعلومة قرب انتهاء اليوم وأدرك أنه ظلّ يبحث عنه لمدة اثنتي عشرة ساعة متواصلة دون كلل.. وما إن وجدها لم يُضيع وقتًا وهو يشعر بنشوة الانتصار.. فتح الرسالة وكتب لها:

- أنا عرفت معلومات عن (حسين عارف).. كلميني لما تشوفي الرسالة ضروري.

وانتظر بصبر حتى ردّت:

- أنا هنا.. طمنّي..

كتب بسرعة:

- ممكن رقم تليفونك؟

ليجدها تصمت فترة قصيرة ثم تكتب:

- لا مش هاينفع عشان انت مرتبط ومايصحش..

ضحك بشدّة وهو يكتب:

- LOL :D

ثم حكى لها كل ما فعله بالتفصيل، لتسأله في النهاية:

- وانت إيه اللي يضمن لك إن (حسين) موجود في الشاليه؟

ردّ عليها في بساطة تعمدها حتى لا يثير شكوكها:

- مفيش أي ضمانات. بس إحنا هانحاول على أي حال. لو هو مش موجود أكيد فيه معلومة عنه!

صمتت، فكتب هو بسرعة كي يقطع حبل تردّدها:

- جهّزي نفسك عشان هنسافر بكرة.

لتردّ ردّها المتوقع:

- تسافر؟ أنا أسافر معاك ليه؟

كتب ببساطته المقصودة:

- عشان انتي اللي هاتقنعيه بالسبب العاشر! ولو هو مو[illegible] هناك وأنا لاقيته لوحدي مش هاقوله استنى بقى بكرة [illegible] الله عشان البنت هاتجيلك! هي فرصة واحدة.. يا [illegible] صح يا مانستغلهاش! لو طردني مثلًا أو قال [illegible] دعوة بيا ممكن بسبب المكان وساعتها فعلًا مش [illegible] نوصلّه!

كان يعرف أنها شعرت أن كل شيء يحدث بسرعة مريبة، و[illegible] أنها لم تفكّر بعقلانية فيما أدخلت نفسها فيه. فكتب هو [illegible]

- وكمان بكرة هايبقى فاضل ٨ أيام. لو أجّلنا يوم [illegible]

إحنا بنخسر على الفاضي..

فيما بعد عرف أنها كلمت (حسن).. وفي اليوم التالي التقوا ثلاثتهم لأول مرة.. ليذهبوا في رحلة قصيرة..

إلى فايد..



صفحة (إنستا_حياة) منشور بتاريخ ٧ـ١٠ـ٢٠١٤

"لعبت لعبة قديمة، اسمها (Metal gear solid 3 snake eater).. لعبة يعرفها معظم الناس لأنها كانت طفرة في وقتها.. كانت تتحدث عن أحداث حربية حقيقية وتُدخل الخيال فيها ببساطة.. لكن ما جعلني أقف للحظة مذهولًا هو حوار بين بطل اللعبة الشهير (snake) وبطلة أخرى.. كانت جاسوسة تعمل لحساب بلد البطل.. سألها سؤالًا بسيطًا هو "كيف يستطيع شخص ما أن يخون بلده ويصبح جاسوسًا أو عميلًا؟ كيف تأتيه القدرة على الخيانة؟".. وكان من أجل الردود التي جعلتني أتوقف للحظة أمام نفسي..

قالت الفتاة: "نصف ما كان يقال لي كان كذبًا صريحًا ومباشرًا.. النصف الآخر هو كذبة تم تصنيعها بحرفية لتدوم عبر الأجيال".. ليرد عليها البطل: "وأين الحقيقة إذن؟".. فتجيب بثقة: الحقيقة "مخبئة" وسط كل تلك الأكاذيب.."

سخرية الكثيرين من أنني آخذ مقولة من لعبة.. لكن السؤال

ما هي الحقيقة؟

وأي حقيقة تصدّق؟

عثوري على السبب الأول أدخلني في أشياء أكبر بكثير من أن يستوعبها عقلي الصغير.. فالحقيقة الوحيدة التي آمنت بها: أنه لا يوجد شيء حقيقي.. وكلمة "مسلّم به" هي أول كلمة تأخذك في ضلال لا نهاية له.. متاهة تُفرض عليك كي تظلّ كما أنت ولا تحاول حتى أن تفعل أكثر مما هو مطلوب منك!

عندما نفيت كل الحقائق.. عندما رفضت تصديقها.. شعرت أني وحيد لدرجة مخيفة..

لا شيء حقيقي إذن إلا أنت!

كل ما تراه بعينيك وتلمسه بيدك وتشعر به، لا يحدث إلا لك أنت..

أنت حقيقتك الوحيدة التي يجب أن تثق في وجودها!

#إنستا_حياة #حسين_عارف

* * *

كان يجلس في المقعد الخلفي منذ ثمانية أيام في نفس العربة.

جلس طوال الطريق وهو ينظر لتلك الصورة في (الكاميرا) الخاصة به، تعمد أن يأخذ الصورة الـ(سيلفي) لينظر لها كثيرًا طوال الرحلة.. أول صورة تجمعه بـ(لمى) وعلى آلة التصوير الخاصة به

الكاميرا الـ(Nikon D7100) التي يعشقها.. هناك علاقة ما بين المصوّر الحقيقي و(كاميرته).. لا يصدّق ـ ولا يقبل ـ أنهم يطلقون عليها آلة تصوير في اللغة العربية.. هي ليست آلة، والهدف منها ليس التصوير فقط.. من يعشق التصوير مثله يعرف أنها كائن حي له نبضاته ومزاجه الخاص.. كائن يثبّت الزمن في لحظة ويلتقط تفاصيل لا تراها عين المصوّر نفسه.. إذا حاولت أن تفهمها وتعاملها بالاهتمام الكافي، ستُظهر لك امتنانها بوضع بصمتك الخاصة على روحها.. وقد تساعد عينك وتجوّد من نفسها لتُخرج صورة هي مزيج حي من رؤيتك وروحها..

كان يتأمل صورته هو و(لمى)..

تلك التي التقطها بأكثر الحجج بلاهة في الحياة.. قبل أن يركب معهم العربة، وكانت (لمى) تنظر للكاميرا في تعجب وسخرية، ويضحك هو في الصورة ضحكة واسعة بلهاء..

كان يعشقها..

وهذا إيجاز بعد تفصيل لن ينتهي، لأنه سيظل يعشق التفاصيل باستمرار دقات قلبه في صدره..

رفع عينيه ليرى شعرها الناعم الذي يتلاعب به الهواء ويصنع به لوحة سريالية خاصة من الجمال العشوائي. كم يريد أن يقترب ليرى قبسًا من نور وجهها لكنها كانت أمامه في العربة فلم يستطع الاقتراب، اكتفى بلمحات بسيطة منها في المرآة الجانبية الصغيرة، وهي تنظر نظرة ملائكية للطريق..

نظرة حزينة..

أمسك الكاميرا دون تردّد، والتقط أكثر من صورة لها وهي ترمق الطريق، عرف أنها لن تسمع صوت الكاميرا بسبب صوت الموسيقى العالي. تأمل نظرتها الحزينة لكل ما حولها، ولم يتمالك نفسه أكثر من هذا، فقال بصوت عالٍ في محاولة منه ليشغلها قليلًا ويخرجها من ذلك التأمل:

- احنا هانعمل إيه لما نقابله؟

نظرا له نظرة من لم يسمعه جيدًا، وأدار (حسن) قرص الصوت في كاسيت العربة ليخفض الصوت تمامًا، فكرّر السؤال، لينظرا لبعضهما في حيرة وبلاهة واضحة.. سألها (عاصم) باندهاش حقيقي:

- انتي عاوزة تقوليلي إنك مش عارفة احنا هانعمل إيه لما نقابله ولا عارفة هانقوله إيه؟

نظرت له (لمى) في حيرة.. نظرتها له من هذا القرب جعلت قلبه يخفق بشدّة حتى خشي أن يسمعاه، ذابت نظرته فيها وشعر بملامحه تلين قليلًا، فرمق الأرض بسرعة وهو يتنحنح ليتمالك نفسه، ويعطي لها ثانية مقاومًا ما يشعر به، في حين ظلّت هي ترمقه بحيرة، وتقول بصوتها الناعم كـ(فيولا) حزينة:

- معرفش هاقول إيه بالظبط.. معرفش هاتكلم ازاي!

أومأ برأسه في هدوء، لو كانت شخصًا آخر لصبّ غضبه على ما جعلته يفعل كل هذا ولم تجهّز حتى كلمة تقولها للرجل الذي يريدوا

أن ينقذوا حياته! لكن معها قال بصوت متفهّم:

- معلش.. أكيد بس متوترة، وإن شاء الله أنا وأستاذ (حسن) هانلحقك.

ابتسم (حسن) في سخرية وهو ينظر له من خلال المرآة ويقول:

- يا باشا أستاذ إيه.. انت مش ٨٧؟

قال (عاصم) بيسمة:

- ٨٦.

هزّ (حسن) كتفيه وهو يقول:

- مش فارقة كتير.. نفس الجيل اللي طلعان عينه من ساعة ماتولد.. ماتقوليش يا أستاذ، قولي (حسن) على طول.

ابتسم (عاصم) أكثر، ثم قال السؤال الذي يشغل باله منذ أن بدأ الطريق:

- هو انت تعرف السبب العاشر برضه؟

لمعت في عين (حسن) نظرة جذلة غريبة، وقال ببسمة أغرب وهو ينظر لـ(لمى) بسخرية لم يفهمها (عاصم) وقتها:

- انت عاوز تعرف أنا جيت معاكوا ليه؟ أنا ماكنتش عاوز أقول إلا هناك.. بس أنا مش رايح أقنعه..

وصمت قليلاً وابتسامته تتسع في استمتاع غريب:

- أنا رايح أموت معاه!

طريقته في قول الكلمة جعلت (عاصم) ينظر له بتشكك، إما أنه يمزح مزاحًا ثقيلًا وبلا داعٍ، أو أنه وصل فعلًا لمرحلة الاكتئاب التي أصبح الموت فيها يُذكر بهذه الاستهانة. في حين انتفضت (لمى) وهي تنظر لـ(حسن) نظرة أغرب. نظرة غاضبة لائمة، فزادت حيرة (عاصم) أكثر وهو يقول:

- انت بتهرج صح؟

قال (حسن) بابتسامته الصافية:

- لا والله.. بتكلم جد جدًا..

ليته كان يعلم أن (حسن) لم يكن يمزح.. كأنما كان يحاول أن يعبر عما ستفعله (لمى)، لكنه لم يفهم.. صدّق ببلاهة وهو يسأله:

- ليه؟

هزّ (حسن) كتفيه وقال وهو يضحك ضحكة ساخرة:

- عشان أنا عيّل أهبل أساسًا! كائن مش منطقي وعايش في الدراما بتاعتي وبقرر قرارات أنا مش عارف أبعادها!

ابتسم (عاصم) في حيرة أكبر، وقالت (لمى) وهي تنظر له مطمئنة:

- ماتقلقش يا (عاصم).. (حسن) هزاره تقيل شوية بس.

لم يفهم هذا النوع من المزاح، فتجاهل الأمر كلّه، خصوصًا عندما هدأت سرعة العربة حتى توقفت تمامًا أمام فيلا واسعة من طابق واحد، و(حسن) يقول بهدوء:

- وصلنا.

* * *

منشور بتاريخ ١١ـ١٠ـ٢٠١٤

"لاحظت أن الصور التي أضعها على الـ(إنستجرام) تحصد (لايكات) و(كومنتات) وتفاعلا أكبر بكثير من تلك (البوستات) التي أضع فيها كلاما كثيرًا..

أعرف أن الصور مجنونة.. أعرف أن كل صورة تحمل إحساسًا جديدًا.. لكن الرحلة ليست مجرد صورة لطيفة في وقت جميل.. الرحلة هي كل ما أفكر فيه..

كل ما أشعر..

أصبحنا نعشق السهل ونستمتع به.. حتى في الأحلام والأهداف والطموحات.. أسهل الطرق هي التي نسلكها.. ونعود لنلوم على الدنيا القاسية..

أصبحنا مزحة كبيرة طعمها ماسخ، ومن كثرة تكرارها أصبحت لا تضحك أحدًا إلا نا..

وجدت السبب الثاني!

لا أدري لماذا أشعر الآن أن عدم قولي للأسباب يُضيّع القضية بأكملها ويجعل كل ما أفعله بلا أي داعٍ.. لكنني سأظل متذكرًا مبدأي حتى النهاية.. لا حلول سهلة..

لاحظت أن كل ما أفعله هو محاولات مستمرة للتغلب على الألم..

نحن في كل الطرق التي نسير فيها.. يكون دافعنا في الطريق هو محاولة لتجاوز ألم ما مرّ بنا من قبل..

أتذكّر أنني فيما مضى خسرت صديقًا أقرب لي من أظافري.. وبعده آخر وبعده آخر.. فقررت أنني لن أثق في أي شخص ثقة كاملة، وإن وثقت.. لن أجعله أقرب لي من أظافري..

هذا طريق اخترته، هناك آخرون يختارون أن يسيروا في نفس الطريق مع بعض الحرص، هناك من ينعزلون عن كل من حولهم تمامًا. كل شخص يختار الطريق الأخف ألمًا بالنسبة له. لأن القلب لا يحتمل الكثير من الصدمات..

إذن فالألم عامل أساسي في اختياراتنا كلّها بلا استثناء!

أختلف عن الناس ويختلف الناس عني.. لكننا نتوحّد في أننا نختار الطرق الأقل ألمًا.. لذلك لا أحاول أن أسأل أحدًا عن سببا أي شيء يفعله سواء أوافق عليه أو أرفضه.. لأنك دائمًا وأبدًا ستجد إجابة واحدة ثابتة.. هو يحاول أن يتفادى ألمًا ما.. إما بالهروب منه أو مواجهته بأسلوبه هو..

هل عرفتم السبب الثاني؟

لا أعتقد..

ولا أهتم.. :)

عسى أن أجد السبب الثالث يومًا..

إما أن أصل لنهاية الطريق أو لنهايتي أنا.. لا فارق..

#إنستا_حياة #حسين_عارف

* * *

يتذكّر كل شيء كأنما كان يحدث البارحة بتفاصيله الصغيرة بسبب طبيعته كمصوّر..

ربما لأنه من أفضل الأيام التي مرت عليه في حياته..

هبطوا منذ ثمانية أيام من العربة في هدوء، صوت احتكاك الحصى الصغير حينما خطوا عليه مع الهواء البارد العنيف الذي تشعر أنه يريد أن يدفعك بعيدًا مع رائحة اليود المميزة للبحر، يجعلك تشعر على الفور أنك صرت في بلد ساحلي. كأنما ترحب بك مدينة (فايد) بتلك التفاصيل الصغيرة..

تصاعد الأمل في قلوبهم مع تلك العربة السوداء المتربة المركونة أمام الفيلا.. قد يكون (حسين عارف) موجودًا في الداخل الآن. كل المباني الأخرى لا توجد أمامها عربات إلا هذا المبنى.

لم يتمالك نفسه ورفع الكاميرا وهو يصوّر الشجرة الكبيرة خلف سور الفيلا، متأملًا درجات اللون الأخضر لأوراق الشجر مع درجات اللون البني و(البيج) للفيلا نفسها. كانت فيلا من طابق واحد يحدّدها كقوائم البرواز لون بني جميل، ويحتل اللون البيج كل الحوائط الرئيسية، ولا يكسره إلا اللون الأصفر للنوافذ.. وكان السور بنفس الألوان أيضًا.

كانت مختلفة عما حولها. هناك رقي وتصميم جميل كأنما أراد من بناها أن يثبت أنها حالة خاصة تمامًا. لاحظ (عاصم) الاسم الكبير على لوحة معدنية جانب باب الفيلا: "فيلا (فريدة المنياوي)"، صوّرها أيضًا ممارسًا عادته التي يراها الجميع سخيفة. يجب أن يصوّر أي شيء يراه كأنما يريد أن يسجّله لسبب غير مفهوم.

وقفوا أمام الباب المغلق. نظروا لبعضهم في تساؤل، ثم نادى (حسن) بصوت عالٍ وهو يقترب من البوابة الحديدية الرئيسية بوجهه:

- عم (رجب).. يا عم (رجب)..

ثم التفت لهم قائلًا ببسمة:

- ما هو يا (رجب) يا (فتحي).. ماشفتش حارس عمارة إلا واسمه كده..

لم يجبه أحد، فكرّر الأمر ثانية:

- يا عم (فتحي)..

ابتسمت (لمى) رغمًا عنها في حين قال (عاصم) وقد تضايق لسبب غير مفهوم من ابتسامتها لـ(حسن):

- على فكرة فيه جرس.

ثم ذهب مسرعًا للجرس الصغير وضغط عليه. سمعوا رنة صوته في الداخل عند غرفة الحارس وانتظروا قليلًا، فلم يجدوا أحدًا. بدأ شعور باليأس ينتابهم مع إدراكهم أن الأمل الوحيد بدأ يتلاشى

ببساطة. قالت (لمى) لتكسر الصمت المشحون وهي تستند على عربة (حسن):

- احنا هانستنى هنا شوية. الساعة حداشر وأكيد لسه نايمين.

لم يعلّق أحد. استند (حسن) جانبها وهو ينظر للأرض في صمت، فأمسك (عاصم) الكاميرا ورفعها ليقرّبها من عينه. لا يحب أن يستخدم عرض الشاشة الخارجي ويحب أن ينظر داخل العدسة. قال فجأة بصوت عالٍ:

- اتشيييييز..

ندم على قولها فور أن سمعها بأذنيه، يريد أن يصبح أقل بلاهة أمامها ولا يستطيع أن يتحكم في الأمر، يعرف جيدًا أنه أكثر هدوءًا وعقلانية، لكن أمامها تخرج منه كلمات غير مفهومة. أدرك مقدار بلاهته مع النظرة التي رمقه بها الاثنان، لكنه لم يتراجع وظلّ على نفس الوضع، فابتسمت (لمى) في مجاملة في حين لم يبتسم (حسن) على الإطلاق، فقط ارتسمت على وجهه نظرة ساخرة كأنما يمنع بها كمًّا من تعليقات سخيفة لا يريد أن يضايق بها شخصًا يقابله لأول مرة.

التقط الصورة في سرعة ثم اقترب منهما وجلس على الأرض في بساطة، ليقول (حسن) ببسمة:

- ممكن نقعد في العربية عادي بدل ماتبهدل لبسك.

قال في صدق متجاهلًا خشونة الأسفلت التي آلمته قليلًا:

- أنا بعشق القعاد على الأرض.

رأى نملة صحراوية تحمل قطعة خبز صغيرة، فأمسك الكاميرا بسرعة ونام على بطنه وهو يصوّرها، متجاهلًا تعليق (حسن) وضحكة (لمى) بعده:

- لا حول ولا قوة إلا بالله!

ابتسم وهو يضع تركيزه كلّه في النملة وما تحمله ويعزل نفسه تمامًا عن كل ما حوله. لا يفهمه الكثيرون ولا يطلب منهم أن يفعلوا. يعشق كل شيء في الحياة لدرجة يراها الآخرون سخيفة وأحيانًا مقززة. يتأمل جمال الحشرات وقدرة الخالق في إبداعها. لا يصيبه القرف من كائن حي خلقه الله سبحانه وتعالى..

تذكّر مبتسمًا عندما وقف صرصار طائر على ركبته وهو جالس مع أصدقائه، فصوّره في إعجاب حقيقي، ليفيق ويجد أصدقاءه كلهم يسخرون منه، والفتيات يرفضن لمسه أو حتى السلام عليه تقززًا منه.. لكنه ظلّ فخورًا بتلك الصورة ويعتبرها من أجمل الصور التي صوّرها..

لا يفهم كيف لا يدركون أن تلك الحشرة تجاهد كل يوم في حياة أكبر منها بكثير، مع كائنات عملاقة ترغب في قتلها كل لحظة وتحارب كل هذا بدون سلاح العقل الذي يتميز به الإنسان! النملة التي تعبر الطريق الطويل في صبر، وعند آخر الطريق قد يدهسها طفل عابث أو عربة مسرعة لكنها لا تبالي، في توكل غريب على الله الحامي في كل شيء..

مرّت ساعة، وبدأوا يدركون أن (فايد) في هذا الوقت من الليل

ليست سوى صحراء قاحلة. لم تمرّ أي عربة على الطريق حتى الآن. ضربوا الجرس أكثر من مرة بلا أي ردّ فعل، كأن الفيلا مهجورة. شعور ثقيل بأن كل ما فعلوه كان بلا أدنى جدوى وأن الطريق مازال طويلًا. شعر (عاصم) ببعض القلق خصوصًا أنه المسؤول عن الرحلة من الأساس. بدأ يشعر بتأنيب الضمير لأنه لم يتأكد بالشكل الكافي.

فجأة شقّ آذانهم الصوت المعدني المميز لقفل الباب المعدني، التفتوا جميعًا للفيلا المجاورة التي صدر منها الصوت؛ ليخرج منها حارس أسمر شاب، وينظر لهم في تساؤل وصمت كأنما خرج عندما سمع صوتهم.. ذهبوا إليه جميعًا في حماس وقالت (لمى):

- احنا جايين للأستاذ (حسين).. بس ماحدش بيرد علينا.

أومأ برأسه مفكرًا، وقال بلهجة ريفية مميزة:

- ماحدش موجود دلوقتي. ع الساعة اربعة إن شاء الله.

نظروا لبعضهم في أمل، في حين قال (حسن) بتساؤل:

- متأكد؟

هزّ الرجل رأسه في طيبة، ثم أخرج من جيب جلبابه الواسع هاتفًا محمولًا قديمًا، واتصل برقم ما وانتظر قليلًا، ثم قال بصوت عال:

- أيوة يا عم (شعبان).. فيه ناس عاوزينك هنا.

نظر لهم (حسن) وهو يقول مبتسمًا:

- طلع (شعبان) مش (فتحي) ولا (رجب).

رمقه (عاصم) في دهشة لاهتمامه بهذا الأمر وهم في هذا الموقف.

انتظروا حتى أنهى الرجل مكالمته ونظر لهم قائلًا:

- إن شاء الله الساعة أربعة ونص هايكونوا موجودين.

تنفسوا في راحة، وشكروه بشدّة، فابتسم ابتسامة طيبة وهو يدعوهم لكوب من الشاي. وبعد رفض لطيف دخل ثانية وأغلق الباب خلفه.

عادوا للعربة وقال (عاصم) في حماس:

- إيه رأيكم نلف شوية في فايد ونتغدى. لسه بدري على الساعة أربعة.

وافقوا في بساطة، وانطلقوا بالعربة ثانية بروح مختلفة تمامًا. بدلًا من الترقب واليأس أصبح هناك أمل طفيف..

لعلّ وعسى!

* * *

منشور بتاريخ ٢٤ ـ ١٠ ـ ٢٠١٤

وجدت السبب الثالث..

كلمة قدر رغم بساطتها لكنها تُشعرني بأني أستعيد بقايا روح ما بعيدة.. هل تريدون تلميحًا كالمعتاد؟ تمنيت بعد أكثر من شهر أن أجد أحد المعجبين بالصفحة قد بدأ بالبحث عن أسبابه الخاصة ويناقشها معي.. لكنكم كالعادة تكتفون بالمشاهدة..

ما الذي يجعل طفلًا من أطفال الشوارع، يتيمًا بلا أب أو أم، قوت يومه من التسوّل.. يريد أن يكمل حياته ولا ينهيها؟

ما الذي يجعل سيدة غنية لديها كل شيء تريده في الحياة بمجرد الإشارة.. تجد ما تعيش لأجله؟

ما الذي يجعل مريض سرطان يحارب مرضًا يعرف أن نسبة شفائه منه لا تقل عن الواحد في المائة؟

هل قلت الأمل؟

لا.. ليس الأمل..

سأسألك سؤالًا آخر قد يهمك.. ما الذي يجعل كاتبًا مشهورًا حائزًا على جائزة نوبل مثل (إرنست هيمنجواي) ينهي حياته منتحرًا ببندقيته وهو قد حقق كل آماله؟

لو جاوبت على السؤال قد تجد سببي الثالث.. أو سبب معظم البشر في الاستمرار دون الشعور بضرورة إنهاء الحياة.. سبب مزروع فينا منذ أن وُلدنا ولا نجد له تفسيرًا.. لكنه الحياة كلّها..

مللت من الكتابة.. دعوني أبحث عن سببي الرابع..

إما أن أصل لنهاية الطريق أو لنهايتي أنا.. لا فارق..

"#إنستا_حياة #حسين_عارف"

* * *

تذكّر (عاصم)، منذ ثمانية أيام، لحظة أن دخلوا ناديًا ما في (فايد)

ومشوا ممرًا قصيرًا؛ فوجدوا المطعم الصغير داخل القاعة بجانبه، مع ممر أصغر يذهب بهم للشاطئ على الفور..

ورآه..

ونسي كل شيء عن كل شيء!

سحر البحر يخطف الروح عن أي جمال آخر..

ابتسم (عاصم) في نشوة، ضربه الهواء في صدره. رغم الظهيرة كانت الشمس غائمة قليلًا في جو منذر بمطر قريب، استقبله البحر بصوته الساحر ورذاذه المتطاير في عشية ملهمة. ضيّق عينيه من شدة الهواء وهو يشعر به يحرّك شعره الناعم في مداعبة أخ حنون. نسي حتى الكاميرا المعلقة على صدره وهو يخطو ليعبر الشاطئ الرملي مقاومًا الهواء الذي يصيح كامرأة لعوب "ابقَ بعيدًا حتى تستمتع أكثر". لكنه لم يبالِ وهو يخلع حذاءه وجواربه كطفل ساذج ويتجه مباشرة للبحر، متجاهلًا صياح (لمى) و(حسن) خلفه. مع الصوت العالي للبحر لم يسمعهما، لكنه بالتأكيد فهم شيئًا ما عن ألا يقترب لتلك الدرجة خصوصًا في هذا الجو العاصف..

شمّر سرواله حتى وصل لركبتيه، ووقف بالقرب من الماء، فلامس قدميه، اقشعر بدنه من برودته الشديدة، وشعر بالرمال تذوب أسفل قدميه..

بحر فايد أو ما يسمى بحيرة فايد أروع ما فيه أنه هادئ بلا موج مهما أصبح المناخ قاسيًا.. يظلّ محتفظًا بهدوئه ووقاره..

أغمض عينيه وهو يرفع ذراعيه بمحاذاته كعادته عندما يريد أن يستمتع. لا يدري لماذا أصبح كلّ من يريد أن يشعر بالانطلاق يفعل تلك الحركة المكررة في جميع الأفلام. لا يدري هل يقلّد حقًا أم إنها فعلًا تترك لك إحساسًا رائعًا بالحرية والتحليق؟

لا يدري السبب لكنه فعلها منتشيًا في جميع الأحوال.

ابتسم ابتسامة صافية.. يقولون في علم الطاقة إن البحر يحمل طاقة إيجابية غريبة، يسحب طاقتك السلبية تمامًا في محيطه ويعطيك طاقة إيجابية تجعلك تكمل الطريق حتى تراه ثانية. لهذا يذهب له عشاقه من كل صوب، يفرغون فيه همومهم السوداء بمجرد النظر إليه، هناك من يشكونه همومهم مباشرة رغم أنه جماد، لكنه لا يؤمن بطبيعة الحال بهذا العلم..

البحر هو البحر وكفى..

عاد إليه جزء من ثقته المفقودة. نسي كل شيء عن (حسين عارف) والموت. الحياة خُلقت كي نعيشها كل لحظة، لماذا قرر هذا الأحمق أن ينتحر أو حتى يجد أسبابًا للحياة؟ لا يدري.

بدأ يرتجف من البرودة، فضم (الجاكت) الجلد على صدره في محاولة للمقاومة وجعل الوقت يطول أكثر. التفت لهما ليجدهما واقفين وراءه لا يريدان الاقتراب أكثر. تأمل (منى) بلباسها الثقيل وشعرها المتطاير في عنف وهي تنظر للبحر في شرود ملائكي. خفق قلبه في حنين وشعر بالدفء ثانية فصاح فيهما بضحكة واسعة:

– ماتخافوش. عمر البحر مابيجي على حد بيحبه.

صاح (حسن) ببسمة واسعة:

- لو ماكناش خايفين هانخاف دلوقتي بسببك.. اللي بيقولنا انزلوا واحد فاكر البحر كائن بيفكر وبيراعي مشاعر الناس!

ضحك، وأمسك الكاميرا وهو لا يستطيع أن يمنع نفسه، التقط أكثر من سبعة صور لـ(لمى) الشاردة عن كل ما حولها، شرد تمامًا فيما يفعل، حتى التفتت له فجأة بدون تركيز، فأبعد الكاميرا عن وجهه كمن يداري مصيبة، ليضحك (حسن) في سخرية مستفزّة..

ابتسم في إحراج، وذهب ليقف جانبها وينظر للبحر من بعيد، ابتلّ سرواله عند ساقه تمامًا وقرصته البرودة لكنه لم يبال..

إنه البحر.. وكفى..

ضرب جرس هاتف (حسن)، فتأفف قليلًا وهو يقول لـ(لمى) بضيق:

- (سمر)!

لم يكن (عاصم) يعرف من هي (سمر)، في حين قالت (لمى) مبتسمة:

- وإيه المشكلة؟

هزّ كتفيه بلامبالاة كعادته وقال وهو يبتسم:

- إنها ماتعرفش إني مسافر السفرية دي معاكي.

اتسعت عينا (لمى) في دهشة، في حين ذهب (حسن) ليرد على

الهاتف بعيدًا عن صوت الهواء الذي سيجعل المكالمة مستحيلة، ليدرك (عاصم) فجأة أنه لأول مرة يقف مع (لمى) وحدهما..

فشكر (سمر) في سرّه..

فقد البحر سحره فجأة، وأصبح مجرد شيء يُصدر ضوضاء مزعجة تمنعه من الكلام الهادئ معها، نسي ابتلال ملابسه والبرودة القارصة التي يشعر بها لمجرد أنه يقف بجانبها ويستطيع أن يحدّثها. فكّر قليلًا في أي وسيلة يبدأ بها الحوار بطريقة عادية. يعلم أنه كذب عليها في موضوع ارتباطه واحترامه للفتاة التي يحبها. كان يعلم تمامًا أنها لن تثق به إلا بتلك الطريقة، (عاصم) يُعتبر وسط أصدقائه زير نساء رغم أن معظمهن صديقات فقط. يتحدث بلباقة ويستطيع أن يخطف أي فتاة يريدها. لكن مع (لمى).. يشعر أنه طفل تائه يريد أن يجعلها تمسك يده لتدلّه على الطريق.

لم يحدّثها من قبل، لم يعرفها، فقط يتابعها من بعيد. يعرف أنها ليست لها شخصية زائفة إلكترونية كما يفعل الجميع، كما يفعل هو شخصيًا ويزيف الكثير من الحقائق في شخصيته الإلكترونية على المواقع الاجتماعية. لكنها لا تفعل. تقول ما تريد أن تقول وتفعل ما تريد أن تفعل دون أي تجميل أو تزييف. أدرك أنه سيظلّ واقفًا بجانبها في صمت لو ظلّ يتردّد كثيرًا. ابتسم ابتسامته التي يعلم أنها ساحرة، وقال بثقة افتعلها:

- على فكرة أنا كدبت عليكي. أنا مش مرتبط فعلًا.

التفتت له بعينيها الرائعة، ثم ابتسمت ابتسامة لا يعرف معناها

لكنها أقرب للحسرة:

- شيء متوقع.

قال وهو يميل عليها قليلًا حتى تسمعه دون صياح:

- مش هاتسأليني كدبت ليه؟

هزّت كتفيها وهي تبتسم بسخرية مقلّدة طريقة (حسن) المعتادة:

- مش مهتمة أعرف، دي حريتك الشخصية. انت من حقك تكدب وأنا من حقي أحتقر الكدّابين.

شعر بالصفعة المؤلمة من كلامها، لكنه كان يعرف لماذا هي بالذات تقول هذا الكلام بتلك الطريقة الهادئة، لذا قال بهدوء كأنها لم تهنه منذ لحظة:

- انتي واحدة مطلّقة. كل بوستاتك وكل كلامك عن كمّ التحرشات اللي بتشوفيها وكل الناس اللي بيعملوا لك خدمات عشان عاوزين حاجة منك. لما كلمتك كنت عارف إني متهم بكل ده حتى تثبت براءتي. قلتلك إني مرتبط وكمان بحترمها عشان لو ماكنتش قلت كده كنتي هاتفضلي تشكي فيا. واعترفي إن لولا اللي عملته كنتي مستحيل تيجي معايا في أي حتة.

اتسعت ابتسامتها التي تلمع فيها السخرية والحزن في مزيج ساحر، وهي تقول:

- الغاية لا تبرر الوسيلة بالنسبة لي.

لم يعبأ بما تقول، فقط أمسك كاميرته وفتحها بسرعة، وجعل صورة معينة تظهر في شاشة العرض في الكاميرا ووضعها أمامها ليريها إياها، نظرت للحظة دون اكتراث، ثم اتسعت عيناها في دهشة حقيقية..

قال بثقة:

- مستحيل حد يكون صوّرك بالجمال ده قبل كده. عشان انتي روحك مابتظهرش غير وانتي مرحانة.

ظلّت تحدق في الصورة لحظات طويلة، فأغلق الكاميرا بسرعة وهو يقول ضاحكًا:

- لو سامحتيني هاوريكي بقية الصور. ولو نسيتي اللي حصل وفتحتي معايا صفحة جديدة، احتمال أبعتهملك.

ومدّ ذراعه كي يصافحها وهو يقول:

- اتفقنا؟

نظرت له لحظات، لم تستطع منع نفسها من الابتسام في علامة واضحة على أنها سامحت، ثم صافحته في هدوء ليشعر شعورًا جميلًا لم يدركه من قبل مع تلامس يديهما، فقال وهو يعيد عينيه للبحر مبتعدًا عن عينيها وعن مشاعره:

- عيب قوي إن احنا نبقى قدّام البحر ومانتمشاش.. صح؟

نظرت للبحر ثوانٍ، وأومأت برأسها إيجابًا، فسارا معًا على طول الشاطئ..

حكى لها أشياء كثيرة عنه، أخبرها أنه الأخ الأوسط في عائلة مكوّنة من خمسة أفراد. أب حنون وأم جميلة وأخ سخيف أكبر منه وأخت صغيرة أكثر سخافة. عائلة متوسطة. يسكن في مدينة نصر. خريج كلية فنون جميلة ويعشق التصوير. حلمه أن يصبح مصوّرًا عالميًا يرى العالم صوره ويدفع فيها ملايين الدولارات. كان يتكلم طوال الوقت ويحاول أن يُضحكها وكانت تضحك. أخرجت علبة سجائرها وعرضت عليه سيجارة فأخبرها أنه لا يُدخّن. تعبت من المشي فجلسا على الرمل في تلقائية، وجههما للبحر كالمعتاد.

كلّمته قليلًا عن حياتها في البيت. لم يسألها عن الطلاق أو أي شيء من هذا القبيل، يريد أن يحافظ على اللحظات القليلة الجميلة التي يعيشها معها. يريد أن يحتفظ بجو صافٍ من النقاء لا يتخلله ذكرى سيئة واحدة. حكت له عن أبيها وأمها وعن حياتها في العموم، أنها خريجة آداب علم نفس ولم تفعل بالشهادة شيئًا، أخبرته عن عشقها للقراءة وإجادتها للعزف على الكمان باحتراف.. وجد نفسه يسأل دون مناسبة واضحة وبفضول:

- و(حسن)؟

ابتسمت هي ابتسامة من يتذكر ذكرى جميلة، وقالت:

- (حسن) هو الراجل الوحيد النضيف اللي أعرفه. الأخ اللي ماعرفتش أمي تجيبه.

ثم صمتت لحظات وقالت شاردة:

- هو الوحيد اللي فاضل.

قال محاولًا قدر الإمكان ألا يقول شيئًا سخيفًا:

- أنا عندي أخ وأخت.. صدقيني اللي بينكم أعمق من كده.

رمقته في تساؤل، فأكمل:

- أي حد يشوفكم من بعيد يقول إنكم بتحبوا بعض.

هزّت رأسها في هدوء أن لا، وقالت:

- الإخوات هم اللي مش عارفين قيمة بعض. لما تكبر والدنيا تضيق بيك هاتعرف إن الأخ في ضهرك مهما حصل. وأنا و(حسن) كده.. أنا و(حسن) حالة خاصة، لو حبينا بعض أو دخلنا في علاقة هاتتحوّل لحاجة سطحية جدًا وهاتبوظ كل حاجة بينا.

ثم استطردت:

- في علاقات الحب بيخربها. بس عشان احنا مجتمع مش عارف قيمة الصداقة ومكبوت وعنده حرمان عاطفي، كل الرجالة بتحوّل الصداقة حب، وكل بنت بتشوف الصداقة بداية حب.

شعر أنه تجاوز خصوصياتها بما فيه الكفاية وأنها لن تسمح باستمرار هذا كثيرًا، فنظر لها لدقائق طويلة وهي تشرد في البحر. ضاق صدره من البحر لأنه يخطفها منه بتلك الطريقة الفجّة، لكنه قال بينه وبين نفسه إنها الفرصة الوحيدة ليراها هكذا. ابتعد قليلًا فلم تلحظ، وأخذ يصوّرها. ينام على بطنه ويقف أحيانًا على مقعد. وعشق أن يكون مميزًا في زاوية التصوير وأن يضع بصمته فيها. انتبهت

أخيرًا أنه لم يعد يجلس بجانبها فالتفتت تبحث عنه لتجده يصوّرها فابتسمت ابتسامة صافية من القلب، ليلتقط لها أروع صورة في اليوم كلّه.

جلس جانبها ثانية بضحكته السعيدة دائمًا. تأملها بنظرة طويلة ثم سألها:

- انتي عاوزة تسأليني حاجة ومكسوفة.. صح؟

التفتت له وابتسمت ابتسامة جميلة، قبل أن تجيبه بصراحة:

- مش مكسوفة.. مش عارفة إذا كان مناسب أسأل السؤال ده ولا لأ.

أشار لها أنه لا يمانع بأي سؤال، فقالت بعد لحظة تردّد وقد ظهر الفضول على ملامحها:

- هو (حسين عارف) عامل ازاي؟

ضحك في هدوء، فقالت مستدركة:

- يعني هو ازاي كده؟ انت قلتلي إنك اشتغلت معاه قبل كده، حاول توصفهولي كده.

فكّر قليلًا ناظرًا للسماء، ثم قال بصراحة أيضًا:

- أنا ماعرفش الحقيقة هو تحوّل كده امتى. بس اللي أقدر أقولهولك إني لما اشتغلت معاه زمان كان عادي جدًا. ربع مش قصير ومش طويل، نشيط في شغله جدًا، بيحاول

يثبت حاجة دايمًا لكل الناس، دمه خفيف واجتماعي ولبق. مافيهوش حاجة مميزة غير إن ليه كاريزما كده بتخليكي تحترميه شوية وتنجذبيله.

ثم صمت محاولًا البحث أكثر في جدران ذاكرته، يريد أن يذكر أي شيء كي لا يُحبط عينيها التي يلمع فيها الفضول لأول مرة منذ أن راها.. قال بسرعة:

- آه.. ألدغ في حرف الراء.

ابتسمت في إحباط متوقع، في حين صمت هو قليلًا، فالتفتت له قائلة وهي تنظر له مباشرة:

- انت بقى عاوز تسألني عن حاجة، صح؟

نظر للأرض لا يدري ما يقول.. السؤال الوحيد الذي يريد أن يطرحه هو "هل تقبلين الزواج مني؟"، وهو مستحيل الآن.. لذا قال بسرعة:

- انتي اتضايقتي إني كدبت عليكي مع إنك كدبتي عليا!

نظرت له نظرة متسائلة، فقال:

- أنا طول عمري صريح وباجيب من الآخر. انتي ماتعرفيش السبب العاشر.. صح؟

توترت عيناها لحظات، ونظرت للأرض، لينقذها صوت (حسن) الذي كان يصيح:

- يعني ده وقت إنكوا تختفوا؟ دورت عليكوا ساعة!

توقف أمامهما يتأملهما للحظات.. لاحظ توتر (لمى) وترقب (عاصم)، فابتسم في سخرية وهو يسأل (لمى):

- هو قالك إنه بيحبك بالسرعة دي؟

انتفض قلب (عاصم) في ضلوعه، ونظر لـ(حسن) بغضب والدماء تتصاعد لوجنتيه، ثم حاول الابتسام وهو يقول بتوتر:

- أنا مش بفهم هزارك يا (حسن).

في حين احمرت وجنتا (لمى) وهي تنظر لـ(حسن) نظرة لائمة، فهز كتفيه بلا مبالاة، وقال بصوت عالٍ وهو ينصرف ثانية:

- أنا طلبت الأكل وخلاص جهز.. يا ريت تلحقوه قبل ما يبرد.

رمقت (لمى) (عاصم) بنظرة اعتذار، فابتسم بسمة لطيفة مغالبًا توتره ووقع كلام (حسن) عليه.. وقال وهو ينهض و ينفض الرمال عن سرواله:

- يلا بينا عشان أنا ميت من الجوع.

مدّ يده لها كي يساعدها في النهوض، لكنها رفضت بذوق ونهضت وحدها، في رسالة واضحة أنها لم تثق به لتلك الدرجة بعد، ولم يدرِ ماذا كان يتوقّع هو ليشعر بهذا الإحراج من رفضها!

مضيا عائدين دون كلمة واحدة للمطعم في سرعة، حاول (حسن) أن يضحكهما بلا جدوى، فاكتفى بالصمت واللعب في هاتفه الجوال

وما إن انتهوا من الطعام حتى تركهما (عاصم) وذهب للبحر وحده يلتقط ما يريد من صور ويبتعد عن الجو العام المثقل في كل شيء.

دقت الساعة الرابعة، فرجع إليهما ووجدهما عند السيارة.. ليعودوا بعدها مسرعين..

* * *

منشور بتاريخ ٣٠ ـ ١٠ ـ ٢٠١٤

"سببي الرابع..

هل تعرفون باروخ سبينوزا؟

هل تريدون أن أخبركم؟ لا داعٍ للكسل، افتحوا (تاب) جديد جانب صفحة الفيس بوك وستجدون كل شيء بسيط تحتاجون لمعرفته عنه.. جوجول هو الحل السحري المرن لكل المعلومات التي تريد أن تدعي أنك تعرفها!

بعيدًا عن كل شيء.. عن تاريخه وفلسفته وحياته.. عرّف باروخ سبينوزا سببي الرابع تعريفًا مهمًا للغاية..

فالسبب الرابع حسب سبينوزا هو: "ذلك الجهد الذي يبذله الجسم والنفس معًا من أجل المحافظة على الذات، والقيام بما هو ضروري من أجل استمرارها".

ثم أضاف الكلمة السحرية..

"إنها ماهية الإنسان ذاتها".

سببي الرابع هو السبب الأقدم في تاريخ البشرية.. السبب الذي يحددنا ويحدد شخصيتنا، والذي نلتف كلّنا حوله من أجل حمايته ومن أجل استمراره..

بالتالي تحوّل إلى سبب لاستمرارنا نحن..

أصبحت مملًا وأكثر من الكلام غير المفهوم، أليس كذلك؟

لست مطالبًا بأن أكون مسليًا طوال الوقت..

يكفيني أني عرفت سببًا لأول مرة يجعلني أقتنع من داخلي أنه سبب له علاقة بي وليس بالآخرين.. ومع ذلك هو سبب له علاقة بالبشرية كلّها..

مر قرابة الشهر وعرفت أربعة أسباب.. في رأيي هو إنجاز عظيم.. إنجاز لم أتوقع أن أصل له في حقيقة الأمر.. لكن القادم أصعب، ضاقت الاختيارات.. وأصبح معظم ما تبقى فروعًا من الأسباب الأربعة التي ذكرتها.. لكني لن أيأس..

إما أن أصل لنهاية الطريق أو لنهايتي أنا.. لا فارق..

#إنستا_حياة #حسين_عارف"

* * *

في فايد، منذ ثمانية أيام..

ما إن وقفوا بالعربة أمام الفيلا، حتى خرج لهم..

جلباب أبيض واسع، وجه كرمشه الزمن كما يفعل أي ولد مسـ

في ورقة يلقيها في القمامة، أشدّ درجات القمحي سوادًا، شارب ضخم تسلّل إليه الشيب كخصلات شعره التي تظهر من تحت طاقية بيضاء مخرّمة..

وابتسامة طيبة..

تأمله (عاصم) بفضول لم يستطع إخفاءه، نظرة الرجل تجعله يشعر أنه أمام عين خبيرة أنهكها الزمن ورغم هذا تضحك في صفاء. أمسك كاميرته في حركة لا إرادية، وجه كهذا هو حلم كل مصوّر، بل وجهه هو ما جعله يعشق التصوير من الأساس، وجه يحمل كل ما هو حقيقي ورائع وكريه وأصيل في هذا البلد العجيب. أمسك نفسه عن تصويره حتى لا يضايقه، قرّر أن ينتظر قليلًا حتى يعرفوا منه ما هو أهم..

"كنا جايين نسأل على (حسين عارف).."

قالتها (لمى) في خفة واضحة، جعلت الرجل يبتسم في تلقائية ويقول:

- مين اللي بيسأل؟

تردّدت (لمى) ونظرت لـ(حسن) في ارتباك، فقال (عاصم) بسرعة وهو يحمل الكاميرا لأعلى كي يريها له:

- احنا صحافيين يا حاج.. عاوزين نعمل حوار مع (حسين) باشا..

ضحك الرجل في طيبة وهو يقول:

- عشان (إنستا حياة)؟

نظروا لبعضهم في دهشة، فقال الرجل في لهجة لم يستطيعوا التمييز إن كانت حزينة أم سعيدة:

- (حسين) ده زي ابني.. بيحكيلي كل حاجة..

ابتسموا في أمل لم يدم طويلًا عندما استدرك في سرعة:

- بس هو بيكره الصحافيين يا أستاذ.. ومانع مقابلتهم..

وأكمل في هدوء:

- مع السلامة.

قالها في ابتسامة صارمة، وأعطاهم ظهره وهو يُغلق الباب الحديدي خلفه بنفس الهدوء، شعر (عاصم) أنه يريد أن يستوقفه بأي طريقة وقد أُسقط في يده هذه المرة.. نظرت له (لمى) نظرة لائمة لقوله إنهم صحافيين مما جعل الحوار ينتهي قبل أن يبدأ، فشعر بتأنيب ضمير أكبر.. لماذا يفلت لسانه دائمًا ويقول أشياء بلا تفكير؟ بالطبع (حسين عارف) يكره الصحافيين وإلا كان ملأ الدنيا حوارات صحفية وتليفزيونية.. هو يكره الضوء ولم يسمح لأحد طوال هذه الفترة بالاقتراب منه لهذا الحد..

شعر أن البوابة تُغلق بالتصوير البطيء، منهية معها كل الآمال التي كانوا يحلمون بها طوال الطريق، كل الأرض التي كسبها مع (لمى) خسرها في ثانية..

عندما..

"احنا عارفين السبب العاشر اللي هو بيدوّر عليه"..

قالها (حسن) فجأة بصوت عالٍ، فتوقفت يد الرجل قبل أن يغلق البوابة بسنتيمترات قليلة، رفع عينيه لـ(حسن) الذي اقترب منه بهدوء وبابتسامة واثقة:

- هو بيحكيلك كل حاجة وانت بتعشقه.. لو هو زي ابنك صحيح.. مش هاتسيبه يموّت نفسه..

واتسعت ابتسامته وخطوته الواثقة واقترابه البطيء:

- واحنا عارفين السبب العاشر.. ولو أقنعناه بيه مش هايلاقي سبب عشان يموت.. ويبقى كلنا طلعنا كسبانين.

نظر الرجل له لحظات طويلة، نظرة تقيس صدقه من كذبه، ومع نظرة (حسن) المباشرة، فتح الباب ثانية في بطء وهو يقول:

- اتفضلوا..

لأول مرة يعشق (عاصم) صوت صرير الباب المعدني وهو يُفتح لهم، دخلوا بتردد ليجدوا أنفسهم داخل الحديقة الصغيرة المهملة، ومشوا خلف الرجل الذي سار محاذيًا للسور وملتفًا حول الفيلا. في كل خطوة يخطوها شعر (عاصم) بدقات قلبه ترتفع، لا يدري هل تم الأمر بسهولة غريبة أم بصعوبة شديدة، لا يعرف حتى كيف بعد لحظات سيقابل (حسين عارف)..

زميل العمل القديم الذي أصبح فجأة أسطورة..

تأمل (لمى) التي ضمت يدها في توتر، شعر باضطراب أنفاسها،

ودّ أن يربت على كتفها مطمئنًا لكنه منع نفسه بصعوبة، نظر لـ(حسن) الذي يستفزّه بهدوئه ولامبالاته بكل شيء يحدث حوله، هناك شيء ما غير منطقي في كل ما يحدث لهم في أيام قصيرة، لكنه يحدث، ويعيشونه بكل تقلباته..

وصلوا للشرفة الكبيرة الرئيسية المخصصة لتلك المباني المطلة على البحر، شرفة واسعة أمامها حديقة صغيرة، يمر في منتصفها صفين من السيراميك، يصل في آخره إلى سور خشبي صغير يطلّ على الشاطئ الرملي مباشرة، وبالتالي ترى البحر الواسع بطريقة خلّابة ساحرة.

تأملوا المكان لحظات، في حين التفت لهم الرجل وقال بابتسامة:

- (حسين) بيه مش موجود.

نظروا له في استنكار شديد، وهتفت (لمى) بغضب:

- ودخلتنا ليه لو هو مش موجود؟

نظر لها الرجل لحظات بعينيه التي لا تختلف عن البحر كثيرًا في عمقه، وقال:

- لأني أنا اللي عاوز أتكلم معاكم..

واتسعت ابتسامته وهو يقول:

- أنا اسمي (شعبان).

وكان هذا هو أول لقاء لهم بعم (شعبان)..

(١٦)

صفحة (إنستا حياة).. منشور بتاريخ ٤-١١-٢٠١٤

"واضح أنني اجتزت حاجز العبقرية..

في أقل من خمسة أيام وجدت السبب الخامس..

ربما لأنه الشيء الذي يتبع السبب الرابع على الفور..

بل هو السبب الرئيسي الذي فعلت من أجله كل شيء.. بداية هذه الصفحة.. والبحث عن الأسباب العشرة.. ومشاركتكم بكل ما أفعل.. والسعي الدائم لمعرفة إجابة ما..

كم أريد أن أخبركم الآن ما هو السبب الخامس.. أن أحكي عن بساطته وعبقريته وفلسفته..

لماذا لا أحاول إذن؟

هل تصدق أنه سبب يسعى إليه الجميع كالمعتاد.. لكن خوفهم يجعلهم لا يودون استمراره.. يُلهون أنفسهم بأي شيء آخر يشغلهم عنه.. لأنهم لو وصلوا له.. لن يرغبوا بفعل شيء آخر على الإطلاق!

لأنها الهدف.. والمنتهى.. وفي نفس الوقت.. لا يتحملها أحد لوقت طويل..

هل تريد تلميحًا آخر..

تلك النظرة على وجه شيخ أوشك على الموت.. نظرة الهدوء والمعرفة واليقين..

هل تعرفها؟

أنا أعرفها.. وحلم عمري الآن أن أصل لها..

إما أن أصل لنهاية الطريق أو لنهايتي أنا.. لا فارق..

#إنستا_حياة #حسين_عارف"

* * *

قال عم (شعبان) بصوته المتحشرج وملامحه المتجعدة:

ـ أنا عشت طول عمري خدّام الست (فريدة)..

قال عم (شعبان) بسماره المصري وعينيه العارفة بكل شيء:

ـ من وهي صغيرة كنت حارس الفيلا بتاعتهم.. أبوها من كبارا[illegible] البلد.. عنده فيلا في القاهرة وهنا في فايد وفي الساحل الشمالي فضلت خدّام الست (فريدة) لحد ماتجوزت (حسين) بيه.. وأبوها عشان راجل أصيل.. جابني هنا لما عجّزت وخرّفت عشا[illegible] أحرس الشاليه.. صرف على عيالي وكبّرهم.. الله يرحمه [illegible] راجل سيرته طيبة..

قال عم (شعبان) لعيونهم التي تنتظر في اهتمام:

- كانت الست (فريدة) هي اللي بتحب تيجي هنا كتير عشاني.. قالتلي إنها لما راحت الساحل في شهر العسل ماحستش بروح حلوة زي اللي هنا.. كانت بتحبني قوي.. كانت بتقرالي قصصها ورواياتها.. (المنياوي) بيه كان دايمًا مشغول.. ماكنش موجود معاها كتير.. أنا بقى كنت فاضي لها.. كانت بتقولي كل حاجة..

قال عم (شعبان) بابتسامة طيبة:

- عشان كده عرفت إنها بتحب (حسين) بيه.. كان بيحبها ياما.. لو قالتله يجيلها النجوم كان بيجيبها من غير ما يسأل.. حتى لما عملتله مشاكل بسبب خوفها عليه.. فضل يحبها لحد آخر وقت..

قال عم (شعبان) وقد بدأ صوته يخفت وعينه تدمع:

- لحد ما راحت للي خالقها..

عرفوا منه كل شيء عن (فريدة) بتفاصيل أدق من أن يتخيلوها.. عرفوا أنها أحبت (حسين عارف) حقًا.. أنها رغم وفاة والدتها ومرورها بأزمة نفسية عنيفة إلا أنها أحبته وتزوجته.. عرفوا أنها تكره الموت لأنه العدو الوحيد الذي لا يستطيع أحد هزيمته.. عرفوا أنها ماتت غارقة في البحر منذ خمسة شهور.. عرفوا أيضًا أن (حسين عارف) ترك كل شيء وأقام هنا في فايد طوال الفترة

الماضية.. ولم يكن يتحدث مع عم (شعبان) إلا عن ذكرياتهما المشتركة عن (فريدة)..

وعما قرر (حسين) فعله لو لم يجد عشرة أسباب..

قال عم (شعبان) لحظتها:

- أول ما جه هنا بعد ما ماتت.. كانت أول مرة أشوف (حسين) بيه كده.. سايب دقنه ومابيتحركش من مكانه قدام البحر.. شهر كامل من سريره للبحر ومن البحر لسريره.. في نص اليوم بيجي يقعد معايا ياكل لقمتين ونتكلم عنها شويه، ويرجع تاني..

وأكمل مبتسمًا أمام عيونهم التي ترغب في معرفة المزيد:

- بعد شهرين.. أول مرة يطلع من أوضته بيضحك ووشه منور.. كأنه ارتاح.. جالي ووراني اللي عمله.. صفحة (إلى حياة) والعشر أسباب والقصة اللي انتوا عارفينها.. خضني عليه بس ما قولتلوش.. كان أول مرة يطلع مرتاح بجد.. بس أنا قلبي اتقبض..ماينفعش آخسر بنتي وابني في وقت قصير كده ورا بعض..

بحّ صوته في آخر كلامه، فنظرت له (لمى) نظرة حنون وربتت على يده المجعدة في رقة، جعلت قلب (عاصم) يذوب وهو ينظر لها.

* * *

صفحة (إنستا حياة).. منشور بتاريخ ٩ـ ١١ـ ٢٠١٤

"من وسط رسائل الهداية ومحاولة إقناعي أن الانتحار كفر، ومن وسط رسائل السب العلني والانتقاد اللاذع..

بدأت الرسائل تأتيني تحاول استنتاج كل سبب.. وهذا شيء يسعدني أن الاهتمام بدأ يبتعد عن الصور المجنونة والأشياء السطحية... هناك من يحاول البحث معي.. هناك من يحاول أن يعرف..

لكن هناك شخصًا بعث لي خمسة أسباب فقط يعيش من أجلهم.. وهنا رقص قلبي من الفرحة.. هذه الأسباب كلّها تخصه هو فقط.. لعمل بصمته وسعيه ورسالته هو فقط.. وهذا يكفي تمامًا بل ويفيض..

أنا لم أقل يومًا إن الأسباب لابد أن تكون عشرة.. بعيدًا عن كل الهموم التي أواجهه.. أريد توضيح شيء.. أنا الذي أحاول البحث عن الأسباب العشرة.. لكن لو لديك سبب واحد مقنع بالنسبة لك.. فهنيئًا لك به.. لكن لا تحاول أن تلومني عندما ينتهي هذا السبب في أي وقت وتضيع الحياة كلّها لمجرد ذهابه..

دعوني أتكلم عن السبب السادس..

يتطرق السبب السادس لشيء ديني.. رغم أن تعريفه الأصلي لا يتعلق بالدين على الإطلاق.. وأنا كنت أحاول الابتعاد عن الدين في كلامي حتى لا تدخل الأمور الشائكة في بعضها وأثير حفيظة من لا أعلم من الأساس بإثارة حفيظته.. لكن في النهاية سيغضب من سيغضب مهما حاولت..

قصة جحا وابنه وحماره قصة عبقرية مختصرة، تكشف عن حال الناس وتفضحهم بسهولة..

بالمناسبة.. هل تعرفون أن جحا اسمه (نصر الدين جحا)؟

لا يهم..

السبب السادس تعريفه بالنسبة لي هو الاتكاء على المجهول لأخذ ثقة ما في أن هناك ما هو أبعد وأعمق من كل ما أنا فيه..

كلام غير مفهوم لكنه حقيقي.. سبب من أسباب استمراري في الحياة هو ذلك الشيء..

هناك لحظات ضعف تمر بنا.. هناك لحظات نشعر فيها أن كل شيء لابد أن ينتهي.. يكفي هذا.. لكن يبقى السبب السادس هو الحافز الوحيد للاستمرار.. إما خوفًا من عقاب ديني.. أو ضعفًا من مواجهة النهاية.. أيا كان العذر.. لكن السبب السادس يجعلك "تستمر" في الطريق دون أن تعرف إلى أين تذهب.. يجعلك تُغمض عينيك وتُكمل الطريق وليحدث ما يحدث.. حتى لو لم تعرف لماذا تستمر من الأساس..

هل يبقى السبب معي لو لم أجد الأسباب العشرة؟ لا أدري..

كل ما يهمني الآن هو أن أنتهي من كل هذا البحث المنهك..

إما أن أصل لنهاية الطريق أو لنهايتي أنا.. لا فارق..

#إنستا_حياة #حسين_عارف"

* * *

قال عم (شعبان) بلهجته الطيبة:

- ومن بعدها مابقتش بشوفه إلا قليل قوي.. يروح أيام ويرجع.. خليت الواد (فارس) ابني يتابعلي الكلام اللي بيكتبه ويقراهولي.. فرحت.. حسيت إنه لقى حاجة يشغل بيها عقله عن كل اللي بيحصل.. حسيت إنه بيلاقي أسباب تخليه يعيش.. صدّقته..

وأكمل وهو يلوّح بإصبعه كأنما يحذّره هو وليس هم:

- لكنه دايمًا لما بكلمه يقولي كلمة الست (فريدة).. الموت هو المنتصر الوحيد في النهاية.. ساعتها عرفت إنه عاوز يروحلها..

ونظر لهم نظرة تلمع ذكاءً وهو يكمل:

- عشان كده..

وقطع كلامه وهو يُدخل يده في جيب جلبابه الكبير، ويُخرج منه كتابًا ورقيًا، وهو يُكمل:

- عاوزين تعرفوا تلاقوا ازاي (حسين) بيه.. اقروا الكتاب ده كويس قوي.. لأن في الكتاب ده.. ست (فريدة) كانت كاتبة كل حاجة عنهم.. كانت حتى كاتباله وصيتها..

عرف (عاصم) على الفور ما هو الكتاب.. رأى غلافه المتواضع من قبل وهو يبحث عن (حسين عارف).. رواية "الموت هو المنتصر الوحيد"، الكتاب الوحيد الذي كتبته (فريدة المنياوي) قبل وفاتها..

أمسكت (لمى) الكتاب في لهفة، وفتحت صفحاته بسرعة، كان

(عاصم) يجلس جانبها فنظر للإهداء المكتوب بخط رائع في أول صفحة.. "(أبويا) عم شعبان.. لن أقول أكثر من هذا لأنك تعرف قيمة تلك الكلمة في قلبي.. أوصيك خيرًا بـ(حسين).. لا تدعه أبدًا يفعل ما يريد.. كما تعلم فهو الذي خطفني من كل ما هو مؤلم أحبك يا (أبويا).."

سأله (عاصم) بلهفة لا يدري مصدرها:

- مفيش نسخ تانية معاك يا عم (شعبان)؟

ابتسامة الرجل الواسعة المطمئنة جعلتهم يدرك أنهم بدأوا أول خطوة في الطريق الصحيح..

* * *

في طريق العودة كان كل واحد فيهم في عالمه الخاص..

كان الصمت هو سيد الموقف.. شعورهم بأنهم عرفوا شيئًا ما يوصلهم لـ(حسين) جعلهم جميعًا يدركون أنهم سيضطرون لمواجهته ومحاولة إقناعه..

هل يمكن مواجهة الموت بأسباب مقنعة؟

قال (حسن) وهو ينظر للطريق بتركيز:

- تفتكروا لما هانقابله هانقوله إيه؟

أدرك (عاصم) أن (حسن) يفكر في نفس الشيء الذي يفكر فيه، فهزّ كتفيه من المقعد الخلفي وقال بشرود:

- هانحاول نقنعه إن الحياة حلوة..

لم يرَ ابتسامة (حسن) الساخرة وهو يقول:

- تصدق وتؤمن بالله حل عبقري..

وأكمل ناظرًا له من خلال المرآة:

- إيه رأيك نجيب ست أسمهان تغني معانا؟

ضحكت (لمى) وهي تلكزه في ذراعه، وقالت وهي تنظر للطريق:

- هانعرف كل حاجة لما نقرا الرواية.. أنا حاسه إنها هاتقولنا حاجات كتير..

وهذا ما فعله (عاصم) أول ما عاد لبيته..

للحظة ظن أن بانتهاء الرحلة سينتهي دوره بالنسبة لـ(لمى).. لكنه وجدها تعطيه رقم هاتفها وتخبره أن يكلمها إذا ما وجد شيئًا مفيدًا.. إذا ما إن عاد لبيته واستحم؛ حتى فتح الرواية وأخذ يقرأ فيها بتركيز شديد..

كانت رواية من أكثر الروايات التي قرأها في حياته كآبة..

تتحدث عن فتاة شابة.. لا تمتلك من الموهبة إلا أنها ترى الموت في كل شيء حولها.. لا ترتبط بأي شيء عاطفيًا لأنه مهما طال العمر سينتهي.. ظلت تبحث طوال عمرها عن شيء في الدنيا لا ينتهي فلم تجد.. حتى قابلت الشاب الذي وقع في غرامها من أول لحظة.. كان يفعل كل شيء من أجل أن تحبه، فتنهار مقاومتها وتحبه فعلًا.. وتظل

تنتظر الموت حتى بعد حبها له.. وفي النهاية السخيفة تسأل القارئ هل الموت يهزم الحب أيضًا أم لا؟ هل سيستطيع البطل أن يُخلّد حبهما ويحارب الموت.. ثم تنهيها بأكثر كلمة استفزازًا قرأها في رواية..

"أثبت"..

أغلق الرواية في سخط حقيقي.. هل كل الساعات التي قضاها في قراءة الرواية من أجل نهاية مفتوحة لا تُغني ولا تُسمن من جوع؟ كان يخطط بقلمه كل ما كتبته هي عن البطل.. أعاد قراءة المقاطع في صبر وتركيز.. عرف عنه أنه مرح وروحه خفيفة.. حالم لأبعد حد، وعناده يتخطّى حدود المنطقية..

وهنا بدأت الفكرة تتبلور في عقل (عاصم)..

لو كان هو عنيدًا حقًا.. فلن يستطيع مقاومة الإغراء..

نظر للساعة في سرعة ليجدها السادسة صباحًا.. لا يستطيع أن يحدّث (لمى) الآن.. فتح موقع الـ(فيس بوك) دون أن يفكّر كثيرًا، أنشأ (fan page) جديدة وكتب في خانة العنوان..

"ضد حسين عارف.. ضد إنستا حياة"..

وكتب أكثر الأشياء المستفزّة التي يستطيع أن يفكّر فيها..

"حسين عارف مش بيدي فرصة لحد يناقشه.. مش بيدي فرصة لحد إنه يعترض.. عشان هو ضعيف.. بقاله أكتر من شهر بيدوّر على السبب العاشر وفاضل ٧ أيام وهو ماعملش حاجة.. عشان بعد الـ٧ أيام يموّت نفسه وضميره مرتاح.. أحب أقوله إننا عندنا السبب

العاشر.. (لمى مصطفى) بنت عندها ٢٧ سنة ومن أشد معجبين (حسين عارف) بتقوله إنها عندها السبب العاشر اللي هو مش عارف بلاقيه.. لو هو فعلًا باحث عن الحقيقة.. لو هو فعلًا بيعمل حاجة محترمة وعاوز يثبت إن الحياة تستاهل نعيشها.. لو هو هدفه إنه يخلينا نعيش فعلًا.. يحاول يتواصل معانا وإحنا أول ناس هاتكون عنده.. ولو هو يقدر يتخلي عن كبريائه.. يقول إنه لقى السبب العاشر وإنه أقوى من إن هو يموت..

عاوزين البوست ده يوصله.. عاوزين شير ولايك لحد مايرد علينا.. الصفحة دي مش هدفها أي حاجة غير توصيل الرسالة.. وبعد ما نقوله السبب العاشر هانقفلها..

الحياة تستاهل إن احنا نعيشها..

ضد إنستا حياة..

الأدمن..

#لو_راجل_كلمنا #السبب_العاشر_موجود"

قرأ ما كتب للمرة الثانية.. يعرف أن هذا هو السبيل الوحيد لإخراج شخص بعناد (حسين) ـ الموجود بتفاصيله في الرواية ـ من جحره الذي يختبئ فيه.. ضغط زر النشر بقوة كأنما يبثّ الثقة في نفسه.. دخل في خصائص الصفحة وجعل كلًا من (لمى) و(حسن) مسؤولًا عن الصفحة، (أدمن) كما يطلقون عليها.. لم يطق صبرًا وكلم (لمى) ليجدها ترد على عكس المتوقع، سألها بحماس:

- انتي مانمتيش برضه؟

أجابته بهدوء:

- كنت باقرأ الرواية..

سأل بسرعة:

- وإيه رأيك؟

صوتها الهادئ الحزين جاوب قبل أن تجاوب هي:

- روعة.. أنا ماشفتش حد بيدخل جوه مشاعر الواحد كده..

لم يناقشها في اختلاف الأذواق لأنه يرى الرواية أسخف عمل قرأه في حياته، لكنه قال بحماس فرحًا بفكرته وسماع صوت (لمى):

- شوفي أنا عملت إيه على الفيس بوك..

* * *

صفحة إنستا حياة.. منشور بتاريخ ٢٣ - ١١ - ٢٠١٤

"سببي السابع..

هناك أمل في هذه الكلمة.. لم يتبقَّ إلا ثلاثة أسباب.. مضى وقت طويل وها نحن في نهاية الشهر الثاني.. الرحلة أوشكت على الانتهاء

هل لاحظت معي أننا كلّنا نبحث دائمًا عن اختلاف؟

أي اختلاف.. مهما كان شكله.. مهما كانت تفاهته.. تجد كل من حولك يظن مثلًا أنه الوحيد المتألم.. يظن أنه الوحيد الذي رأى عذاب

الدنيا والآخرة وأنه لا يوجد من في مثل خبرته؟

كلّنا نبحث عن الاختلاف بإصرار.. حتى تشابهنا جميعًا..

لماذا إذن نبحث عن هذا الاختلاف؟

سببي السابع هو الشيء الذي دائمًا ما نحاول إثباته.. نحاول إثبات وجوده فينا ولا نجده أبدًا..

خلقنا كلّنا بشيء مختلف.. أجل نتشابه في أشياء كثيرة جدًا لأننا نشأنا في مناخ واحد وثقافة واحدة ونظام واحد.. وفي الخارج تجد بعض الصفات تتشابه لنفس الأسباب.. لكن هناك شيئًا مميزًا في روح كل فرد..

عندما كنت صغيرًا.. وأسمع قصة خلق آدم.. كنت أتخيل الله شيخًا طيبًا ملائكي الوجه له ذقن قطنية مثل السحاب.. حنونًا أكثر من أبي ويبتسم ابتسامة بحضن أمي.. كنت أحب تلك الصورة وتطمئنني دائمًا..

حتى أخبروني أن هذا شيء محرّم.. فأصبحت لا أحدّد له شكلًا..

لكنني وأنا صغير كنت أتخيله وهو يصنع آدم.. الطين والماء ثم الكلمة الرائعة..

"ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه".. سورة السجدة..

هل يتخيل أحد قدر روعة هذه الكلمة؟

كانت تلك الكلمة تجعلني وأنا طفل أنبهر.. هل كلّنا ـ ورثة آدم

ـ فينا شيء من الله؟ هل نملك ولو جزء بسيط من صفاته؟ آمنت لحظتها أن ذلك الجزء البسيط قد فُرِّق علينا جميعًا نحن البشر.. ولو اجتمع كل من في الكون.. سنجد صفات الله فينا..

كنت طفلًا ساذجًا ذا خيال واسع..

لكنني ـ أعترف ـ حتى الآن أؤمن بهذا.. ومازال هذا الطفل الساذج جزءًا مني..

وأؤمن الآن أنه سبب من أسباب استمرارنا في الحياة.. البحث عن هذا الاختلاف.. عن ذلك الشيء الذي يخصّ كل شخص بروحه.. نبحث عنه دائمًا ونأمل أن نجده قبل النهاية..

بقيت لي الآن ثلاثة أسباب..

إما أن أصل لنهاية الطريق أو لنهايتي أنا..

لا فارق..

#إنستا_حياة #حسين_عارف"

* * *

انتشرت الصفحة بسرعة لم يتوقعوها..

كل جمهور صفحة (إنستا حياة) الأصلية تقريبًا اتجه لصفحة (ضد إنستا حياة) في يومين فقط.. أول حركة إيجابية تحدث منذ ثلاثة أشهر.. كل من كان يتابع منشورات (حسين عارف) تعلّق نوعًا ما بتلك المجهولة التي تدعى (لمى مصطفى)..

ومرّ يومان كاملان من أسعد أيام (عاصم).. كان يلتقي بـ(حسن) و(لمى) يوميًا ويديرون الصفحة بأخذ كلام من منشورات (حسين عارف) ويعارضونه أو يضيفون عليه.. اقترب من (لمى) لدرجة جعلت حياته كلّها تتمحور حولها.. لم يهتم على الإطلاق بأنها مطلّقة.. يراها فتاة لم يمسس روحها بشري قبله..

تجددت روح الأمل لديهم بخطة (عاصم) الجديدة.. بل شعروا أن روح الأمل تجددت لدى الجمهور الإلكتروني كلّه.. أصبحوا جميعًا، (لمى) و(حسن) و(عاصم)، يكتبون آراءً ويديرون نقاشات تستفزّ (حسين عارف).. كلّهم تحت ذلك الاسم الغامض..

(الأدمن)..

لاحظ (عاصم) الآن فقط أنها دائمًا ما كانت تشعر بالقلق والتوتر لو سألها عن السبب العاشر.. كانت تتهرب دائمًا من الإجابة أو يتدخل (حسن) ويغيّر الموضوع كلّه.. لم يلحظ أيامها لأنه دائمًا ما كان ينسى كل شيء بمجرد النظر لعينيها الخضراوين الحائرتين..

حتى كان ذلك اليوم الأسود..

(١٧)

انقبض قلب (عاصم) وهو يتذكّر هذا اليوم بالذات..

منذ أربعة أيام بالضبط.. في صفحة (ضد إنستا حياة).. نشر أحد المتابعين (فيديو) على الصفحة..

ذلك الفيديو اللعين..

فيديو حقير.. على صفحة أخبار تافهة.. عنوانه "فضيحة (لمى مصطفى) مع زوجها على السرير".. مع تعليق ساخر من الشاب "احنا عرفنا (لمى) هاتقنعه ازاي"..

لم يره (عاصم) في البداية، وجده بعد ظهوره بأكثر من ساعتين، ساعتين فقط تمّ مشاهدة الفيديو خلالها أكثر من تسعين ألف مشاهدة، مع كمّ هائل من التعليقات الساخرة.. فتح الفيديو في دهشة ليجد (لمى) فعلًا جالسة على فراش ما، ملتفة بغطاء يداري جسدها العاري.. تنظر للكاميرا بعينيها الحزينتين وتقول في ضعف

- أنا مش عاوزة يا (أمير).. بلاش كاميرا..

(أمير) زوجها السابق.. صعد صوت (أمير) المرح من وراء

الكاميرا يقول شيئًا ما ضاحكًا عن أنها زوجته ولابد أن تثق به، ثم يظهر بملابسه الداخلية ويلوّح للكاميرا كفارس منتصر..

والبقية محفوظة..

فيديو جنسي بجودة عالية.. أغمض عينيه وهو يغلق الفيديو بسرعة.. مسح المنشور في غضب، وفي عقله سؤال واحدة فقط..

هل عرفت (لمى)؟

لكنه ما إن مسح المنشور حتى وجد موقع (الفيس بوك) كلّه يتحدث عن الموضوع وينشر الفيديو.. في أول دعوة صريحة لانتهاك جسد (لمى) بطريقة فجّة.. لمجرد شيء قذر يُدعى الفضول..

وأصبح الإقبال على الصفحة لأسباب مختلفة تمامًا..

وانهار كل شيء في لحظات قصيرة..

انهارت (لمى) لمدة يومين كاملين لم تردّ خلالهما على أحد..

عرف (عاصم) كل شيء من (حسن) الذي أصرّ أن يقابله يومها..

قال (حسن) إنهم اكتشفوا أن هذا الفيديو موجود منذ ثلاثة أعوام كاملة.. أي بعد طلاقها الرسمي بأيام قليلة.. لكنه لم ينتشر لأن (لمى) لم تكن مشهورة أو ذات قيمة.. مجرد فيلم جنسي في كل المواقع.. ما إن اشتهرت حتى سرّب أحد أساتذة الصحافة الصفراء الخبر..

قال له (حسن) إن له صديقًا يعرف كيف يمسح تلك الأشياء من مصدرها على المواقع.. لكن الفضيحة كانت قد انتشرت ولم يستطع أحد أن يوقفها..

وحكى له (حسن) قصة طلاق (لمى) لأول مرة..

كان زوجها شابًا عصبيًا يمتلك نقود الدنيا ولا يرى سوى ذاته فقط.. اختصار شديد يفسّر معاملته السيئة وخيانته لها بعد شهرين فقط من الزواج.. يفسّر ضربه لها وإهانتها وشعوره بالنقص الذي يعوّضه بفرض سيطرته عليها.. عندما أصرّت (لمى) على الطلاق من زوجها.. قاوم بشدّة فكرة أن يعطيها أي شيء.. لكن من خلال نفوذ والد (لمى) - ووالده شخصيًا - تمّ الضغط عليه لعدم إثارة أي فضيحة..

فأقسم إنه سينتقم بعد أن دفع كل حقوقها..

وكان هذا انتقامه الذي لم يكن يعرفون عنه شيئًا حتى الآن..

وشعر (عاصم) بقلبه يتمزق..

لم تردّ عليه لمدة يومين.. بل لم تردّ على أحد.. حاول كثيرًا، وأكثر ما كان يستفزّه هو أنها كانت تردّ على (حسن) فقط دون عن أي أحد آخر.. قال له (حسن) إنها تردّ عليه لتقول له "أنا كويسة" ثم تغلق دون أن تسمع إجابته.. كانت تحافظ على وعد بينهما لا يعرف (عاصم) عنه شيئًا.. وكان (حسن) يعرف أخبارها من أمها..

لم يعرف سوى أنها في حالة سيئة..

كم كانت تمرّ الساعات بطيئة على قلبه..

حاول أن يُلهي نفسه بأي شيء.. استمرّ في نشاطه على الصفحة عسى أن تأتي نتيجة.. عدّاد الأيام يقلّ بسرعة ولم يتبقَ إلا ثلاثة أيام..

شغل نفسه وظلّ يضع المنشورات في صفحة إنستا حياة بطريقة مستفزّة.. ويضعها في تعليق لكل صورة من صور (حسين) المجنونة..

حتى ظهر ذلك الإشعار الأحمر في صندوق الرسائل..

فتح الرسالة ولم يصدّق ما رآته عيناه..

كانت رسالة من صفحة "إنستا حياة" مكتوبًا فيها كلمة مقتضبة ولكن معبّرة..

"في انتظار (لمى مصطفى) وحدها في فندق (.....) غرفة (٧٠٩) الساعة الثامنة مساء الغد"..

أربع عشرة كلمة فقط..

كانت بمثابة أمل لقلب غابت عنه الحياة لمدّة يومين..

* * *

مساء نفس اليوم كانت قدم (عاصم) تخطو لأول مرة داخل شقة (لمى)..

مزيج غريب من اللهفة والرهبة امتزجا في قلبه وهو يدخل المكان الذي عاشت فيه الفتاة التي يعشقها..

اتفق هو و(حسن) وصديقة عمرها (ميرا) على الذهاب.. تعجّب (عاصم) من برود استقبال (حسن) لرسالة (حسين عارف) رغم أنها نجاح غير متوقّع.. لا يدري لماذا شعر أن (حسن) يكره كل ما يتعلق بـ(حسين عارف).. وبهذه الرسالة بالذات..

لكنه عرف الآن..

تم الاتفاق مع أمها بحجة أنهم لديهم شيء سيخرجها من كل ما هي فيه.. استقبلتهم الأم بنظرة باكية خائفة.. ربت (عاصم) على كتفها في حنان عندما جلسوا في غرفة الاستقبال.. بكت وهي تلعن حظ ابنتها السيء الذي لا يفارقها منذ أن أحبت (أمير) هذا وهي في الثالثة والعشرين من عمرها.. ظهرت (لمى) أمامهم فمسحت أمها دموعها ونهضت مسرعة وتركتهم معًا..

نظر (عاصم) لـ(لمى) بحنان واشتياق.. أراد أن يأخذها في حضنه ويحميها من كل القذارة التي تراها.. أراد أن يربّت على يدها مهوّنًا.. كانت في حالة من الضعف والاستسلام والألم لم يرها عليها من قبل.. نظر لـ(حسن) الذي ينظر لها بوجه جامد صارم، وعيناه تنطقان بغضب يحاول كتمانه.. في حين كانت (ميرا) صديقتها تنظر لها بشفقة لا مكان لها الآن..

قالت (لمى) بصوت يحاول أن يبدو متماسكًا دون أن تنظر لهم:

- انتوا ليه بتعاندوا معايا.. أنا قلت مش عاوزة أشوف حد..

تهرب بعينيها منهم.. لاحظ يديها التي تضمها على جسدها كأنها تحاول أن تُداريه بأي شكل عن أعينهم التي رأت كل تفصيلة فيه.. هي لا تعرف أنهم لم يروا الفيديو.. ولن تصدّقهم لو أقسموا إنهم لم يروه.. لأنه ببساطة لو أن أحدًا رآه فلن يقول إنه رآه.. تخيّل للحظة لو أنه مكانها وعرف أن هناك من انتهك جسده دون وجه حق.. أعين تغتصب وتحكم وتحلّل دون وجه حق في أضعف لحظات الإنسان الحميمة..

إنه الجحيم ذاته..

قالت (ميرا) ما ليس له معنى:

- قلقنا عليكي يا حبيبتي.. وحشتينا..

وقال (عاصم) باشتياق للحديث معها:

- احنا جايين نقولك خبر هايخليكي تنسي كل اللي انتي فيه..

رفعت عينيها لهم لأول مرة منذ جاءت، ارتسمت على شفتيها ابتسامة جانبية ساخرة كابتسامة (حسن) وهي تقول:

- انتوا شفتوا الفيلم صح؟

قال (عاصم) و(ميرا) في نفس واحد:

- لأ طبعًا..

في حين قال (حسن) بابتسامته الجانبية:

- كنتي زي القمر..

نظر له (عاصم) بغضب الدنيا، في حين أكمل (حسن) متجاهلًا إياه، مثبتًا نظره عليها، كأنما يقصد شيئًا ما:

- ماكنتش أعرف إنك عندك حسنة في كتفك الشمال.. أنا بحب الحسنات جدًا..

نظرت له (لمى) وقد ظهرت دموعها في عينيها، لكنها لم تكن عاضبة لدهشة (عاصم).. كانت تنظر لـ(حسن) كأنما تفهم ما يريد أن يقول.. (عاصم) وحده عرف أنه يكذب.. كتفها كان ظاهرًا في

أول الفيديو عندما كانت تُداري جسدها بالغطاء.. ثم إن (لمى) ترتدي دائمًا فساتين مكشوفة من الكتف..

(حسن) أغلق الفيديو مثل (عاصم) في بدايته.. لماذا يكذب الآن؟

* * *

اعتدل (عاصم) في جلسته في العربة وهو يتذكر كلام (حسن) في ذلك اليوم، وشعر بغضب يجتاح كيانه لأول مرة..

لأنه لأول مرة يفهمه منذ أن سمعه..

ذلك اللعين..

* * *

أكمل (حسن) ـ منذ أربعة أيام ـ بوجه جامد:

ـ عشان كده جينا نقولك إن (حسين عارف) عاوز يقابلك لوحدك.. بعت رسالة النهارده بيقول إنه مستعد يسمع منك السبب العاشر..

وأكمل ناظرًا لها نظرة لم يفهمها أحد سواهما:

ـ السبب اللي انتي قلتيلي عليه.. فاكراه؟

ثم أبطأ كلامه كأنما يقصد معنىً ما:

ـ قدامك فرصة دلوقتي تحققي اللي انتي عاوزاه بقالك ست أيام..

ثبتت (لمى) نظرها عليه وقد بدا على وجهها نظرة ما لم يفهمها أحد..



صفحة (إنستا حياة).. منشور بتاريخ ٣ ـ ١٢ ـ ٢٠١٤

"السبب الثامن هو سبب كنت أؤجل الحديث عنه منذ البداية..

لأنه سبب للحياة.. وسبب للموت في الآن ذاته..

سبب بسيط.. سبب يتكلم الجميع عنه ليل نهار، ويدّعون أنهم يسيرون تحت إمرته..

كيف أتكلم عنه دون أن أجعلكم تفهمونه؟ هذا السبب هو الوحيد الذي من الصعب مداراته..

ببساطة.. هو كل ما هو نقي ورائع وعظيم فينا لو عرفناه عن حق.. وهو كل ما هو سيء وخادع وقذر لو توهّمنا أننا شعرنا به..

هو تكملة لكل ما ينقصك.. هو الذي يجعلك تقبل بكل ما هو مستحيل.. هو ما يأخذ منك الكثير ويجعلك سعيدًا حتى لو أخذت في المقابل أقلّ القليل..

سبب للحياة منذ أن نولد.. وسبب للندم إن اقترب الرحيل..

والمثير للسخرية وللشفقة.. أن السبب الأغلى والأوضح والأكبر للحياة..

من حرفين فقط..

أظنكم عرفتموه..

بقي سببان..

إما أن أصل لنهاية الطريق أو لنهايتي أنا..

لا فارق..

#إنستا_حياة#حسين_عارف"

*   *   *

بعدما قال (حسن) جملته الغامضة، شعر (عاصم) أن الجو كلّه أصبح لغزًا بين (حسن) و(لمى). اعتدلت (لمى) وأشرق وجهها، احتلّت عينيها نظرة قوية غريبة على الموقف، وقالت وهي تبتسم لأول مرة ناظرة لـ(حسن) فقط:

- متأكد من اللي انت بتقوله؟

ظلّت ملامح (حسن) جامدة، ارتعشت عيناه فقط في شعور غير مفهوم وهو يقول ببطء:

- أنا وعدتك إن الصاحب بيفضل في ضهر صاحبه مهما كان قراره.. ومهما كان متخلّف عقلي ومابيسمعش كلام حد غير نفسه..

نظرت (لمى) له ثانية، ثم اتسعت ابتسامتها وهي تقول بثقة:

- أنا هاروح له..

قالتها وهي تنظر لـ(حسن) بوجه ينطق بالعناد.. ظلّ وجه

(حسن) جامدًا لا يدلّ على شيء.. وابتسم (عاصم) بأمل وهو يقول بحماس:

- الله عليكي.. مش قلتلك الخبر هاينسيكي كل حاجة؟

نظرت له في شفقة لم يفهمها، لكنه شعر بفرحة غامرة لأنه بدأ يرى (لمى) تعود من جديد..

انصرفوا جميعًا بعد أن اتفقوا أن (لمى) ستذهب وحدها و(حسن) معها ليوصلها بالعربة.. واتفقوا على اللقاء بعدها في كافيه كانوا يلتقون فيه دائمًا.. ليعرف منهم ماذا حدث..

عاد لبيته وداخله شعور بالتفاؤل، وقراره داخل قلبه يسيطر عليه لدرجة لا يستطيع مقاومتها..

جلس على الفراش ممسكًا بالكاميرا وأخذ ينظر لصورها في عشق، حتى غلبه النوم..

ولأول مرة منذ فترة ينام مبتسمًا في هدوء..

* * *

استيقظ متأخرًا في اليوم التالي.. لم يهتم على الإطلاق بشأن لقائهما بـ(حسين عارف).. ليحدث ما يحدث.. كل ما فعله أنه قبل موعد عودتهما ذهب وابتاع بذلة فخمة.. وخاتمًا من الذهب الأبيض.. وانتظرهما في مكان اللقاء في توتر.. ينظر كل ثانية في ساعته..

تأخرا نصف ساعة قبل أن يجد عربة (حسن) تتوقف في المكان المخصص للانتظار أمام الكافيه.. خرج من الكافيه وقلبه يخفق في

سعادة صافية لم يشعر بها منذ فترة.. أسرع يفتح الباب لـ(لمى) التي بدت أشبه بنجمة ساطعة بفستانها الرائع.. شعر بضيق خفي لأنها ذهبت تقابل (حسين عارف) بهذا الجمال والتألق، لكنه اكتفى بأنها بدت أكثر راحة بكثير عن البارحة.. بدت سعيدة من قلبها.. بدت واثقة هادئة..

مستكينة..

رمقته بدهشة وهي تبتسم، كان يرتدي حلّة سوداء كاملة وساعة فخمة، خرج (حسن) من العربة ونظر له بتعجب، ثم قال وقد ارتفع حاجباه كأنما أدرك كل شيء:

- يا نهارك إسود!

لم يبال (عاصم) وهو يساعد (لمى) على النهوض.. ما إن وقفت وأغلقت الباب حتى ركع هو على ركبة واحدة ونظر لعينيها مباشرة.. شعر بأن أذنيه ستنفجر من السخونة.. شعر بكل شيء متناقض؛ من الخوف والرهبة والعشق..

منذ ثلاثة أيام فقط.. وفي أفضل حلّة استطاع شراءها.. ركع على ركبة واحدة أمام (لمى) التي تنظر له غير مصدّقة ما يفعل.. وقال بصوت يتهدج من الانفعال:

- أنا بعشقك.. كان نفسي أقولك بحبك عشان ما بقاش بيبالغ.

وابتلع ريقه الجاف مكملاً:

- بس أنا بعشقك..

تخضب وجه (منى) بحمرة مفاجئة وهي تنظر حولها، في حين أكمل هو ما تدرب عليه طوال اليوم:

- أنا مايهمنيش موضوع (حسين عارف).. مايهمنيش العشر أسباب.. أنا عملت كل حاجة عشان أكون جنبك وحواليكي.. مش هامني أي حاجة حصلت.. مش هامني اللي حاصل دلوقتي..

وأكمل بصوت حنون وهو يبتسم:

- أنا عارف إن مافيش حاجة في الدنيا ممكن تخليكي تصدقيني.. عارف إن ثقتك في الرجالة معدومة.. إن ثقتك في الوعود نفسها مش موجودة.. بس كل اللي عاوزك تسمعيه مني.. "سيبيني أثبت لك".. سيبيني أثبت لك إني هافضل طول عمري بصالحك على الدنيا.. سيبيني أثبت لك إن فيه واحد ممكن يحب ويعشق بجد..

وأكمل بصوت واثق:

- سيبيني أثبت لك إن الحب بينتصر على الموت..

وأخرج الخاتم من جيبه، وهو ينظر لـ(حسن) الذي وقف مستندًا على العربة ينظر له كمن يتابع فيلمًا مسليًا، نظر لها وكانت عينها حزينة.. لكن ابتسامتها حنون.. فتح علبة الخاتم ووضعه أمامها..

كان يعرف أنها لن تصدق حرفًا مما يقول.. لا يوجد أسهل من الوعود في لحظة صفاء.. كان يعرف وكان مستعدًا أن يثبت لها كل يوم أنه لن يخلف وعوده أبدًا..

نظرت حولها في ارتباك ثم نظرت له، ربتت على كتفه في حنان، جعلته ينهض من ركوعه، ابتسمت ابتسامة ساحرة وقالت ودموعها تملأ عينيها:

- كان نفسي حد يحبني الحب ده من ساعة ما اتولدت..

شعر أنها تريد أن تُكمل الجملة، لكنها بترتها وقالت وهي تربت على يده كأم تحنو على ابنها:

- أنا هاقولك كل حاجة بصراحة.. احنا مش صغيرين.. مش هاقدر أقولك إني مش حاسة بحاجة ناحيتك..

وقالت برفق كمن يمشي على زجاج مكسور، وهي تُغلق علبة الخاتم:

- لكن لسه بدري قوي على ما أقول إني حاسة بحاجة تخليني أقول أنا موافقة..

سمع دقات قلبه في أذنيه، ابتسم ابتسامة مرتبكة، حزينة، ليخترق اللحظة صوت (حسن) الهادئ السخيف:

- يعني بتقولك إنها فيه حاجة من ناحيتك بس مستنياك تثبت كلامك فعلاً..

رغم سخافته، لكن كلمته جعلت (عاصم) يشعر بثقة ما فابتسم ابتسامة أكبر، التفتت (لمى) لـ(حسن) لائمة كالمعتاد، فقال (حسن) وهو يصيح ضاحكًا:

- إحنا في الشارع يا أمي.. انجزوا.. حبوا في بعض جوا..

* * *

قال (حسن) بصوت متوتر:

- وصلنا..

سحبته الكلمة من كمّ الذكريات التي كان يعيش كل تفصيلة فيها..

نظر للفيلا في عصبية وقد استعاد كل شيء توتره..

لم يُضع وقتًا، فتح باب العربة وانطلق راكضًا نحو الفيلا بسرعة..

ها هي لحظة المواجهة قد حانت..

دوى البرق والرعد مع هطول الأمطار.. متى حدث كل هذا؟ هل أخذته الذكريات لدرجة أنه لم يلحظ كل تلك التغيرات في المناخ؟

ركض خلف (حسن) حتى وصلا للباب، ظلّ (عاصم) يطرق الباب الحديدي بعنف لكن بلا إجابة.. نظرا لبعضهما لحظات وقد ابتلا من قمة رأسيهما حتى أخمص قدميهما.. قال (حسن) وهو يشبك كفّيه:

- اطلع..

استند (عاصم) بقدمه على كفّي (حسن) وقفز ليعتلي السور في فوق، في حين تراجع (حسن) خمس خطوات للخلف وركض بسرعة ليقفز ويمسك بطرف السور في صعوبة بسبب البلل.. تسلقا السور وهبطا الناحية الأخرى في سرعة..

طرق (عاصم) باب الشاليه وضغط على زر الجرس بشكل

متواصل.. لكن لا حياة لمن تنادي.. انتظرا قليلًا و(حسن) يسأل بتوتر:

- الساعة كام؟

أجابه (عاصم) بسرعة:

- لسه حداشر وعشرة..

دون اتفاق مسبق ركضا ناحية الشرفة الخلفية من خلال الحديقة الجانبية، بطريقة جعلت (عاصم) يتذكّر شاليه (فايد).. تتشابه التصميات في الاثنين.. نظرا للشرفة المظلمة والشاليه الأكثر ظلامًا، بالتأكيد لا يوجد مخلوق بالداخل..

ثم سمعا صرخة آتية من بعيد ناحية الشاطئ الخاص..

صرخة (لمى)..

ركضا بأقصى قواهما ليجدا ما جعلهما يتوقفان في ذعر..

من بعيد.. أتت موجة هائلة تبعتها أخرى لتأخذ (لمى) بعيدًا..

رأيا (حسين عارف) يحاول التمسك بأي شيء وينجح في الصمود.. ما إن وقف حتى نظر للبحر في غضب.. وانطلق يركض على اللسان والجو يضاء بقوة البرق العنيف يتبعه صوت الرعد، ليريا جسد (لمى) الذي يحاول أن يقاوم داخل الماء.. و(حسين) يقفز في الماء بقوة محاولًا إنقاذها..

كان كل شيء يجري بسرعة مجنونة..

سرعة أكثر جنونًا من أن يستوعبها أي منهما..

انطلق (حسن) يركض دون تفكير ناحية (لمى)، خلع سترته بسرعة وركض قليلًا داخل الماء ثم بدأ بالسباحة. نظر له (عاصم) لحظات مترددًا ثم اتخذ قراره وانطلق يركض على اللسان بقوة محاولًا اللحاق بـ(لمى) من نفس الطريق الذي اتخذه (حسين) لأنه الأقرب..

لم يبال أنه لا يجيد السباحة المحترفة مثل (حسن)..

أنار البرق الطريق ثانية، لينظر لجسد (حسين) الذي أصبح بعيدًا عن اللسان بكثير.. وأثار انتباهه وسط ركضه أن (حسين) قد كفّ عن المقاومة تمامًا..

لم يعد يفعل أي شيء وظلّ يحدّق في السماء تاركًا جسده مستسلمًا بين الأمواج..

ودون تردّد قفز (عاصم)، لكن ليس باتجاه (لمى)..

قفز في اتجاه (حسين عارف) نفسه..

الشاطئ

١١:١٠ مساءً

(١٨)

...

...

"ـ أنا أراك.."

رآها في السماء بردائها الأبيض، تُحرّك قدميها ويديها وتبعثر النجوم حولها وهي تضحك ضحكتها المرحة من القلب.. وتصنع ملاكًا متفرّدًا لم يسبقها إليه أحد من قبل..

ملاك النجوم..

ملأت الابتسامة وجهه كلّه وهو ينظر لها متأملًا في صمت كعادته..

ثم ترك المياه تغمر كل شيء..

ثم فجأة.. شعر بيد تُمسك ذراعه وتسحبه بقوة غريبة وتُحاول رفع رأسه أعلى الماء..

انتفض جسده، لم يتوقّع وجود مخلوق على شاطئه الخاص، من

هذا؟ لماذا يأتي الآن بالذات؟ حرّك (حسين) جسده بعنف مقاومًا تلك اليد المجهولة وهو يحاول جعلها تُفلت معصمه، لكن رغمًا عنه وسط الماء لم يستطع المقاومة بقوة حقيقية، فارتفعت رأسه فوق الماء لثوانٍ، ووجد صدره يطلب الهواء ويتنفسه رغمًا عنه..

ما إن صعدت رأسه فوق الماء حتى أحاط رقبته ذلك اللعين وسبح باتجاه الشاطئ البعيد في إصرار.. شعر (حسين) بالاختناق من المعصم المحيط برقبته.. من ذلك الأحمق الذي يحاول إنقاذه بخنقه؟ حاول أن يقاوم ويستنشق الهواء وهو بلا قوة حقيقية، في حين لم يهدأ (عاصم) ولم يتوقف عن جذبه بعنف وسرعة باتجاه الشاطئ الذي اقترب ببطء.. كان في صراع مع البحر البارد ومع (حسين) الذي يحاول أن يفلت منه.. ولم يكن ليسمح لأي منهما بهزيمته.. هو لم يفعل كل هذا من أجل أن تأتي النهاية بتلك البساطة..

مرّ ما شعر (عاصم) أنه دهر كامل حتى شعر بملمس الرمال تحت قدميه فتنفس الصعداء، يشعر بضربات (حسين) القوية على ذراعه ولكنه لم يبالِ.. وصل للشاطئ وتركه أخيرًا، فسقط (حسين) أرضًا وهو يسعل بقوة، مستندًا بيده على الأرض، وهو يفكّر أن ذلك الأحمق ظلّ ممسكًا برقبته حتى كاد يهلك حقًا..

لم يعبأ (عاصم) به وهو ينظر للبحر بتوتر شديد، ما لبث أن خفّ كثيرًا عندما وجد (حسن) يخرج من بين المياه على مسافة بعيدة نسبية منهما، حاملًا على ذراعيه (لمى) التي بدت فاقدة الوعي..

أو فارقت الحياة..

أسرع ركضًا نحوهما، ساعد (حسن) في وضعها على الرمال برفق، وضع رأسه على صدرها بسرعة، وعقله يذهب به لأسوأ الظنون.. تنهّد في ارتياح وهو يقول بصوت عالٍ ليطمئن (حسن)، الذي ألقى بجسده على الأرض جانبها في إرهاق:

- قلبها لسه بيدق.. لسه بتتنفس!

قال (حسن) وهو يجاهد في التقاط أنفاسه:

- أنا لما وصلتلها كانت خلاص بتغرق.. حاولت تعوم على ضهرها فترة عشان المية ترفعها.. وفي الآخر تعبت وماقدرتش.. فسابت نفسها..

ضغط (عاصم) بيده على صدرها عدّة مرات بذعر، ولمس شفتيها بشفتيه كما يشاهد في التلفاز، فلم يستطع (حسن) منع نفسه من الابتسام قائلًا بسخريته غير الملائمة على طول الخط:

- انت المفروض تنفخ.. مش تبوس..

صاح فيه (عاصم) بغيظ:

- مش وقت هزارك يا (حسن)!

أغمض (حسن) عينيه في إرهاق حقيقي، وقال محاولًا أن يهدأ [illegible] أحداث اليوم كلّه:

- هي مش محتاجة تنفس صناعي.. هاتفوق لوحدها..

ثم أكمل وقد ارتاحت كل خلية في جسده بمجرد الاطمئنان عليها:

- بعد كده لما تنقذ واحدة من الغرق.. ابقى اضغط على قلبها مش صدرها.. وانفخ في بوقها.. عشان لو حد شافك وانت بتنقذها بطريقتك دي.. هايوديك آداب على طول..

نظر له (عاصم) وهو لا يعرف هل يثق فيه أم لا، نظر لجسد (مي) الملائكي الراقد على الأرض وسط المطر، شعر بكل الغضب الذي ظل يحبسه طوال اليوم يصعد لسطح مشاعره.. التفت لـ(حسين) الذي جلس على الرمال يرمق البحر في شرود، ذهب له في خطوات سريعة تشبه العدو، حتى وصل إليه، سأله بصوت بارد:

- انت كويس؟

التفت له (حسين) بنظرة غاضبة، وسأله بدوره:

- من أنت؟

كرّر (عاصم) ببرود:

- انت كويس؟

أشاح (حسين) بذراعه في غضب وهو يصيح:

- للأسف..

ودون تفكير للحظة.. هوى (عاصم) على وجه (حسين) بصفعة قوية جعلته يهوي على الأرض..

صفعة أفرغ فيها كل الكراهية التي يشعر بها تجاه ذلك الرجل، الذي يحاول امتصاص معنى الحياة من بين يدي كل البشر..

الرجل الذي كاد أن يُفقده حبيبته..

وكأنما كان (حسين) ينتظر تلك الدعوة للعراك، ظلّ راقدًا على الرمل لحظات وقد احمرّ خدّه وظهرت أصابع كفّ (عاصم) عليه.. ذلك الوغد الذي أفقده أمتع لحظة في حياته بأغبى إنقاذ في التاريخ.. شعر بعودته السخيفة للدنيا وسماجتها.. بغبائها وغباء بشرها...

نهض بسرعة وقفز نحو (عاصم) الذي تفاجأ بهجومه، ولم يستطع أن يتخذ ردّ فعل، و(حسين) يمسكه ويجذبه ليقعا معًا على الأرض.. وينهال عليه بلكمات متتالية وهو يصرخ:

- لماذا لم تتركني وشأني أيها الحقير؟!

لم يكن يعلم أنه يستطيع الشجار بالفصحى.. ظلّ يقنع (فريدة) أيامًا طويلة أن لحظات الغضب لابد فيها من بعض الشتائم العامية التي تُفرغ الغضب وتهدئ الصدر.. الآن فقط عرف أنه يستطيع الشجار بالفصحى حتى لو كانت "حقير" غير مرضية على الإطلاق..

حاول (عاصم) حماية وجهه بلا فائدة، يتفجر المطر والبرق والرعد ليكملوا المشهد العنيف.. شعر (حسين) أن ذلك الشاب هو صنم آخر لا يفهم شيئًا.. يعتبر الحياة ميزة لمجرد أنه فيها.. يُنقذه لأنه يخاف أن يتركه بشري آخر ويذهب لعالم لا يفهم عنه شيئًا.. لذا أفرغ فيه كل المشاعر التي يختزنها.. كل الكراهية للغباء البشري وسطحيته أفرغه في وجهه.. شعر بيده تؤلمه لكنه لم يعبأ.. فقط عندما هدأ قليلًا أدرك أن وجه ذلك الأحمق مألوف.. توقفت يده في الهواء فجأة وهتف وهو يعقد حاجبيه في تساؤل:

- (عاصم زيدان)؟

ذلك المصوّر الذي كان يتعامل معه منذ زمن، تذكّره الآن فقط فسأله ويده تهبط جانبه أخيرًا:

- ما الذي أتى بك إلى هنا؟

انتهز (عاصم) فرصة توقفه ودفعه جانبًا في عنف وهو ينهض بسرعة، لم يقاومه (حسين) وهو ينهض ببطء، نظر (عاصم) بغضب لـ(حسن)، كيف لم يحاول حتى التدخّل لمساعدته؟ لكن (حسن) الجالس بجوار (لمى) جاوبه وهو ينظر لهما ببسمة واسعة ساخرة، ممسكًا سيجارة يشربها بتلذّذ، كأنما كان يستمتع بذلك الشجار حقًا ولا يريد ولو للحظة أن يمنعه..

لم ينظر لـ(حسين) الذي وقف بجواره، واتجه ناحية (لمى) و(حسن) في بطء، كرامته المجروحة وآلام وجهه جعلاه يريد أن يصمت ويبتعد عن الجميع قليلًا، لاحظ أن (حسن) يجلس دون سترته الثقيلة، لقد غطى بها جسد (لمى) حتى يقيها قليلًا من برد الأمطار التي بدأت تخفّ قليلًا ولم يعد هناك برق ولا رعد..

نهض (حسين) خلفه، شعر ببعض الندم لأنه ضرب صديقًا قديمًا دون تمييز، كما أنه أراد أن يطمئن على الفتاة.. الفتاة اللعينة التي جلبت رجالها معها لينقذوها.. كأنما تشاء الأقدار أن تجعله يندم لآخر لحظة في عمره..

لو لم تأتِ الفتاة لكان الآن في قمة استمتاعه بكل شيء..

باقتراب النهاية..

وقفوا أمام جسد (لمى) الراقد دون اتفاق مسبق، سأل (حسين) مقاومًا ذلك الشعور السخيف أن كل شيء أصبح بلا معنى الآن بقدومهما:

- ما أخبارها؟

التفت له (عاصم) وقد بدأ أنفه ينزف قليلًا، وهتف بعصبية:

- خايف عليها دلوقتي؟ ما انت كنت سايبها تموت من شوية!

ردّ (حسين) باذلًا جهدًا جبارًا كي يظلّ هادئًا:

- هي من أتت.. هي من أرادت ذلك..

أشار لهما (حسن) فجأة بأن يصمتا، فنظرا له في تساؤل، سحب نفسًا من سيجارته، وفرد ظهره على الرمال ساندًا رأسه بيده، وقال في هدوء:

- ممكن بقى نسكت شويه وناخد نفسنا؟ إحنا بنجري بقالنا كتير..

وضم أصابعه علامة الهدوء الشهيرة، وهو يكمل:

- حبة هدوء الله يكرمكم.. كفاية توتر..

أغمض (حسن) عينيه تمامًا.. فتبادل (حسين) و(عاصم) نظرة تُعلن هدنة ولو مؤقتة..

ألقيا بجسديهما على الرمال في تعب وإرهاق شديدين..

ثلاثة أجساد تفترش الأرض بجوار (المِن)، ينظرون للنجوم في صمت..

فقط (حسين عارف) هو من رمق ساعته في سرعة دون أن يلاحظ أحد.. الساعة الآن الحادية عشرة والربع.. باقٍ من الزمن ساعة إلا ربع..

اتسعت ابتسامته في راحة.. كان أكثر ما يضايقه هو الرحيل قبل الموعد.. أكثر ما يشعره أن القرار ليس قراره.. أن أحدًا آخر قرّر أن يأخذه قبل ساعة من الموعد الذي خطّط له منذ البداية..

كان هذا ـ لحظتها ـ يغضبه بشدّة..

لكن ما فعله هذان الأحمقان أنهما جعلا كل شيء يسير حسب الجدول تمامًا..

في تمام الثانية عشرة بالضبط مع دخول السنة الجديدة.. سيذهب بلا عودة..

ليرتاح من كل تلك السخافات والدوائر المغلقة..

ربما أنقذاه الآن.. ربما ظنا أن كل شيء انتهى بمجرد اطمئنانهما على (المِن).. لكنهما لا يعرفان أن ما يحدث أكبر من أن يهزمه اختلال بسيط في الخطة.. لا يعرفان أنهما ساهما في إعادة كل شيء لنصابه الصحيح..

بحركة لاإرادية، رفع يديه جانبه.. وبدأ يحركهما في هدوء ليرسم ملاكًا آخر دون داعٍ..

وهو يبتسم..

(١٩)

قطع صمتهم التام ضحكة ساخرة قصيرة خرجت من (حسن)..

التفت له (عاصم) متسائلًا، كان (حسن) ينام على يمين (لمى) في حين ينام هو و(حسين) على يسارها.. سأله (عاصم) وعيناه ترمقان وجه (لمى) الشاحب رغمًا عنه:

- بتضحك على إيه؟

ظلّ (حسن) صامتًا لحظات، ثم قال ببسمة:

- جه في دماغي إن (لمى) عشان تهرب من فضيحة الفيديو.. نايمة دلوقتي في عز الليل، وسط تلات رجالة..

لم يضحك (عاصم) ولم يفهم، يتعجب دائمًا من عدم تمييز (حسن) لحساسية أي موقف ومزاحه الدائم في كل الأوقات، تذكّر ما فعله في الطريق وعصبيته، فأدرك أن (حسن) يحتفل بالنجاة..

لكن هل انتهى كل شيء حقًا؟

يشعر بشيء غامض داخله يؤكد له أنه مازال هناك شيء آخر ينتظرهم أفظع من كل ما مروا به، ذلك الشعور جعله يسأل في توتر:

- هو إحنا ليه قاعدين؟ ما نشيل (لمى) ونمشي..

تكلّم (حسين عارف) لأول مرة بصوته العميق الهادئ وقال:

- لن تذهبوا بها لأي مكان إلا عندما تقول هي لي إنها تريد أن تنصرف..

ثم أكمل (حسين) مشيرًا بإصبعه لهما، رغم أن عينيه كانت مثبتة على النجوم:

- لقد كان اختيارها أن تأتي.. فلابد أن تنصرف بإرادتها أيضًا..

اعتدل (عاصم) جالسًا، ونظر لـ(حسين) وقد عاد غضبه إليه في ثوانٍ، لكنه سمع (حسن) يقول بهدوء:

- عنده حق..

فجّر قول (حسن) غضب (عاصم)، لم يتخيل أن يقول هو هذا على الإطلاق، هبّ واقفًا، ناظرًا لـ(حسن)، ثم هتف بحدّة:

- انت بتستهبل؟ ما أنا وانت عارفين إنها رايحة لـ(حسين) عشان تموت معاه.. لما تصحى أكيد هاتكمل في قرارها.. ويبقى إحنا ماعملناش أي حاجة..

لم يلتفت إليه أي منهما، لكن (حسن) قال ببسمته الجانبية الواثقة التي صار (عاصم) يكرهها بشدّة:

- يبقى اقنعها.. لكن ماتخدهاش غصب عنها..

نظر (عاصم) لـ(لمى) الراقدة في سلام وشعر بقلبه يتمزق، أراد أن

يبكي لمجرد فكرة فقدانها للمرة الثانية، لكنه تماسك.. فهم تمامًا ماذا يقصد (حسن) و(حسين).. لابد أن تختار الحياة.. لكنه لا يستطيع أن يتحمل هذا الألم.. لا يتخيل الحياة بدونها..

صاح معترضًا ومحاربًا:

- بس هي أرق وأطيب من إنها تاخد القرار ده.. وفي السن ده.. لازم نحميها من نفسها!

وأكمل بانفعال:

- يرضيكم تموت كافرة؟

قال (حسين عارف) بهدوء:

- هذه حياتها.. دع حسابها لله وحده..

أشار (عاصم) لـ(حسن) باحتقار وقال:

- انت أجبن واحد شفته في حياتي..

همّ (حسين) بقول شيء، فأشاح (عاصم) بذراعه له دلالة أنه لا يهتم، وصاح موجهًا كلامه لـ(حسن) الصامت مغمض العينين:

- لما حصل موضوع الفيديو.. انت اللي قلتلها تروح تموت نفسها.. انت اللي قلتلها تقابله وانت عارف كويس قوي هو رايحة ليه.. من الأول وانت سايبها.. انت وعدتها إنك هاتبقى في ضهرها وتحميها.. هي مابتثقش في حد غيرك في الدنيا كلّها.. انت خنت الصداقة وخنت كل حاجة!

واستطرد مائلًا ناحيته كأنما يترجاه:

- بطل أم السلبية دي وقوم معايا ناخدها بعيد عن المكان الزبالة ده..

وأكمل وقلبه يخفق في ألم:

- خلينا احنا السبب في إن هي تعيش.. ليه بتعمل كده؟

كل كلمة قالها (عاصم) لمست وتراموًا داخل (حسن)..

لكنه ظل مغمض العينين لا ينبس ببنت شفة..

لا يشعر أنه يجب أن يشرح أي شيء لـ(عاصم).. لن يفهمه مهما تكلم..

(لمى) سببه.. لكنه ليس سببها..

طوال الوقت كان بجانبها ولم يعترض للحظة.. وطوال الوقت لم تفكر فيه على أنه سبب من الأسباب التي يمكن أن تستمر في الحياة من أجلها..

بل لم تذكر ولو مرة واحدة أنها ستفتقده..

كيف يقنعها بأي شيء إذن؟

قال (حسن) متجاوزًا رغبته في عدم الرد:

- معلش.. أنا سلبي.. خليك انت إيجابي واقنعها..

دائمًا الهجوم هو أفضل الحلول الممكنة.. يخرس كل الألسنة المزعجة..

كانا يتحدّثان بمثالية تُشعر (عاصم) بعجز يؤلمه. ما هذا البرود؟ كيف يتحدّثان عن الحياة والموت بهذا البرود؟ أين (حسن) الذي كاد أن يموت في محاولة إنقاذها؟ ثم لماذا أصبح كل شيء فوق كاهله. كأنما هو من يملك مفاتيح الحياة..

هل أتى كل هذا الطريق من أجل إقناعها فقط؟

قال (حسين عارف) بقوة:

- ستستيقظ هي في أي لحظة الآن.. اعتبر نفسك محام تدافع عن الحياة.. لنرىٰ إن كان منطقك سيصمد أمام منطقها أم لا.. لنرىٰ قوة إيمانك بالحياة.. أمام قوة إيماني بالموت..

ثم ابتسم كأنما يتلذذ بما سيحدث:

- فكم مرة في حياتنا سنرىٰ الحياة..

وأشار ناحية (عاصم)، ثم أكمل مشيرًا لنفسه:

- والموت..

قالها باستمتاع حقيقي، ثم ختم بجملة حاسمة:

- يواجهان بعضهما..

ثم أغمض عينيه في هدوء وأكمل:

- فاستعدّ جيدًا واهدأ.. نحن في انتظار (المَي)..

(٢٠)

لا شيء..

ظلام دامس وراحة شديدة..

هذا كل ما شعرت به (لمى) لثوانٍ قليلة فقط..

ثم بدأت ترتجف رغمًا عنها..

رجفة كبيرة شعرت بها فجأة، فانتفضت في قوة وهي تنهض بعنف.. شهقت كأنها تريد أن تسرق الهواء من الدنيا كلّها..

فتحت عينيها في خوف شديد، رأت الشاطئ والظلام الخفيف الذي يبدده نور القمر المكتمل..

"انتي كويسة؟"..

سمعت الصوت من ورائها، فنظرت لتجد (عاصم) يقف خلفها تمامًا وينظر لها في فرحة مكررًا:

- (لمى).. انتي كويسة؟

ما الذي أتى به إلى هنا؟ ما هذا؟

كل ما تذكره هو الموجة الضخمة.. تتذكر أنها فقدت قوتها وتماسكها تمامًا ووجدت نفسها فجأة في منتصف البحر تنظر للشاطئ من بعيد.. برودة المياه جعلتها تشعر أنها تجمدت ولا تستطيع الحركة..

لكنها قاومت..

اكتشفت أن الموت غرقًا هو أبشع وسيلة للموت حقًا.. وفي هذا الوقت من الليل ومع كل هذا البرق والرعد.. تتذكر أنها شعرت برعب غير طبيعي وهي تعرف أنه لم تتبق سوى لحظات على موتها..

ثم اختفى كل شيء..

واستيقظت على رجفة، و(عاصم) يسألها سؤاله الحنون..

ما هذا العبث؟

بدأت تلتقط تفاصيل صغيرة وهي تلهث دون داعٍ.. بدأ الظلام ينقشع عن عقلها ببطء.. أدركت أنها على الشاطئ.. ذلك الشاطئ الذي كانت تنظر له برعب منذ ثوانٍ قليلة.. أدركت أنها مازالت حية..

أدرك أنفها الرائحة المميزة لعطر (حسن)، واكتشفت أنها ترتدي سترته الثقيلة..

(حسن) أيضًا؟

لم ترد على (عاصم) وتلفتت حولها في لهفة، لتجد (حسن) يجلس بقرب الشاطئ بعيدًا عنهم تمامًا، يشرب سيجارته ببرود.. لا يهتم بكل ما يحدث حوله..

كم ظلت فاقدة للوعي؟ كم الساعة الآن؟

ما الذي أتى بهما؟

هؤلاء الحمقى..

التفتت إلى يمينها، فوجدت (حسين عارف) يقف جوارها، ينظر لها أيضًا ليطمئن عليها وهو يبتسم ابتسامة مشجعة..

سألت في محاولة لتجميع شتات أفكارها:

- ماذا يحدث؟

اتسعت ابتسامة (حسين عارف) بانتصار، لمجرد أنها تحدّثت الفصحى حتى في لحظات عدم تركيزها.. مال عليها (عاصم) أكثر وقال بابتسامة حنون:

- أنا و(حسن) جينا في الوقت المناسب.. كنتوا بتغرقوا ولحقناكم..

اتسعت عيناها في دهشة، تحوّلت بعدها لغضب وهي تنهض بثورة وتقف على قدميها، ثم نظرت لـ(عاصم) وهي تصيح فيه:

- انتوا جيتوا ليه؟!

كانت تشعر بثورة داخلها غلبت إرهاقها التام.. لماذا أتيا؟

منذ وُلدت وكل شيء يتحكّم فيها كأنما هو مجتمع سادي بالفطرة.. منذ أن وُلدت وأبوها يأخذ القرارات المهمة والمصيرية بالنيابة عنها.. ثم قذف بالشعلة لزوجها القذر الذي كان يكره أن يجعلها تأخذ أي

قرار من الأساس.. وعند طلاقها..

عاد اتخاذ القرار للمجتمع السادج، وبقسوة أكبر..

سجن كبير.. حقير.. دائم..

هكذا كانت ترى حياتها بالجملة..

مجرد تابع لأي كيان متاح..

قرار ذهابها مع (حسين) كان القرار الوحيد الذي اتخذته وحدها دون أن يؤثر أحدٌ عليها.. شعرت بحريتها وأنها ملكة كل شيء.. حتى لو كانت حرية مزيفة.. كانت تشعر أنها حرّة..

والوحيد الذي باحت له بسرّها كان (حسن).. وأقسم لها إنه لن يأتي.. وأتى في النهاية ليقرر إنقاذها.. بمنتهى التجاهل لما ترغب فيه حقًا..

أتى ليفرض عليها سجنها ثانية رغمًا عنها..

نظرت له بغضب، كان قد ترك الشاطئ وبدأ يقترب منهم عندما رآها قد استيقظت.. عيناه التي تنظر لها نظرة غريبة أنستها غضبها لثوانٍ..

لماذا ينظر لها هكذا؟

قال (عاصم) بتوتر، كأنما لم يكن يتوقع ثورتها:

- جينا ليه يعني إيه؟ جايين نلحقك طبعًا قبل ما تعملي الهبل اللي انتي كنتي عاوزة تعمليه ده..

صرخت رغمًا عنها:

- ما تسيبوني في حالي بقى!

والتفتت إلى (حسين) الذي ابتسم ابتسامة هادئة، وقالت:

- أنا آسفة..

قرر (حسين) احتواء الموقف، فقال بهدوء شديد:

- لا يوجد ما تأسفي عليه.. لقد أتيا بنية خالصة في إقناعك بالاستمرار في حياتهما.. وهو من كامل حقهما.. لذا اسمعيها أولًا بلا غضب.. لو لم تقتنعي سيظل اتفاقنا ساريًا..

ثم أكمل بابتسامة لطيفة محاولًا أن يمزح:

- إلا لو أقنعاني أنا شخصيًا.. لحظتها ستذهبين وحدك في البحر..

ونظر لـ(عاصم) المرتبك وقال مشيرًا لساعته:

- أمامك نصف ساعة..

صمتت لحظات وهي مازالت في مرحلة عدم الاستيعاب الكامل، اقترب (حسن) منهم حتى وقف بجانبها صامتًا، نظرت له ولم تستطع منع نفسها، فقالت له بغضب:

- انت وعدتني.. انت أقسمت برحمة أمك إنك مش هاتيجي..

لم يرد.. لم يبدُ عليه أي تأثر..

فقط سحب نفسًا من سيجارته وظلّ ينظر لها نظرته الغريبة، نظرة تحمل شيئًا ما يحتويها.. أول مرة في حياتها ينظر لها بهذا الشكل..

دق (عاصم) على كتفها بلهفة، فالتفتت له وسألته وهي تحاول أن تهدأ:

- عاوز إيه؟

ارتبك لحظات، ثم تنحنح في هدوء..

لابد من التماسك الآن..

تذكّر كل ما تعلمه في الشطرنج.. بداية المعركة هي أهم فرصة للفوز.. الخطوة الأولى المحسوبة تجعل الخطة كلّها محكمة.. وأنت أمامك مباراة حاسمة خسارتها تعني خسارة كل شيء..

ابتسم وهو ينظر لها في عينيها مباشرة، لم يبال بنظرتها الغاضبة، استعاد جزءًا كبيرًا من ثقته وهو يحرّك أول قطعة من الشطرنج ليبدأ:

- أخبار مامتك إيه؟

هزّ السؤال قلب (لمى) في ألم مبهم، ليكمل (عاصم) وابتسامته تتسع:

- تحبي أقولها إيه لما أرجع.. إنك انتحرتي بس بتحبيها؟ ولا إن حبك ليها مش كفاية لدرجة إنك تعيشي عشانها؟

كانت (لمى) تعرف تمامًا ماذا يفعل، يذكّرها بكمّ الألم الذي ستتركه في قلوب كل من تحب، يضغط على وتر تحاول هي أن تتناساه منذ

البداية.. رغمًا عنها ارتسم وجه أمها وضحكتها الحنون في مخيلتها، فتألم قلبها بقسوة..

أشار (عاصم) لـ(حسين عارف) وقال:

- الراجل ده عاوزني أقنعك بالحياة.. أنا باقولك يا ستي الحياة ماهاش لازمة.. بس فيه ناس جواها ممكن نستحمل عشانهم قرف الدنيا كلّه.. ناس ضحت بكل دقيقة من عمرها عشان نضحك من قلبنا.. أمك وأبوكي وأهلك.. مايستاهلوش إننا نخليهم مرتاحين؟ ما يستحقوش إنك ماتوجعيهمش؟

دمعت عينا (لمى) وشعرت بغصّة في حلقها، فقال (حسين) فجأة بيسمة داخلًا المعركة بخطوته الأولى في حلبة الشطرنج:

- رغم أن عاميتك تؤذيني نفسيًا وجسديًا.. لكن منطقك كلّه مبني على أنها حياة لا تستحق.. لكن سنضحي من أجل أحبائنا ونكمل فيها.. ماذا لو مات من نحب إذن؟ هل لحظتها مسموح لنا أن نموت؟ ولو أن هذا هو الوضع، لماذا ننتظر حتى نتحمل ألم الفراق؟

نظر له (عاصم) بغضب، لم يكن مسموحًا له بالكلام!

سأل (حسين) بقوة ليعلن نفسه خصمًا صريحًا:

- ما ردّك؟

لم يردّ عليه (عاصم)، التفت لـ(لمى) ثانية وقال:

- فيه قصة أجنبية بتتكلم عن أربعة اتجمعوا على نفس السطح

من غير معاد.. كلّهم كانوا رايحين ينتحروا واتقابلوا صدفة..
بتمشي في القصة، وهابقى أديهالك تقريها.. بس واحد منهم
وهو بينتحر في النهاية قال كلمة عجبتني.. حكى عن حكاية
واحد انتحر وبعد ما نط اكتشف إنه لو استنى خمس دقايق
بس.. كان حل كل مشاكله اللي خليته ينتحر..

وأكمل خطوته الثانية في اللعبة:

- تقدري تقوليلي إنك واثقة قوي إن كل المشاكل مش هاتتحل؟

تلفتت (لمى) بينهما لا تدري لماذا يفعلا بها هذا.. شعرت أنها
أصبحت مجرد شيء يحركاه وكل منهما يحاول أن ينتصر.. هل قرارها
بهذه الأهمية فعلًا؟ نظرت لـ(حسن) الذي يقف مبتسمًا ابتسامته
الجانبية وهو يشاهدهم.. تعرف جيدًا أنه يرد على كل منطق لكن
في عقله فقط.. تعلم أنه ليس كما يبدو على الإطلاق.. التفتت ثانية
لـ(عاصم) وقالت ما تشعر به:

- لن تحل.. لأني لا أرى أصلًا الحياة تستحق أن أحارب وأحل
مشاكلي من أجلها..

هزّه ردّها للحظة، توقع أن يأتي الردّ من (حسين) لكنه أتى منها
هي شخصيًا، لم يهتم ولم يُضع وقتًا، قال بهدوء لا يعكس كمّ التوتر
الذي يشعر به مع مرور الوقت:

- يبقى تعيشي عشان تعملي الحياة اللي انتي عاوزاها.. تعيشي
عشان تغيري من كل حاجة حواليكي.. لو استسلمتي
وبعتي كل حاجة.. يبقى فيه واحدة عايشة زيك وكارهة

الدنيا ومطلّقة.. إيه الرسالة اللي هاتقوليها لها بموتك؟

ارتفع صوته رغمًا عنه في انفعال، وهو يكمل:

- هاتبقي (حسين عارف) تاني.. كل واحد مش عارف يلاقي سبب يعيش عشانه وبيتمنى الموت.. هايكتشف إن الموت أسهل له.. (حسين) ده واحد جه وراح وماعملش أي حاجة في حياته غير إنه دمر كل حاجة ليها علاقة بالحياة.. هي دي رسالتك؟

قال (حسين عارف) هذه المرة بصرامة قاطعة:

- الرسالة تُترك لمن يستحق..

وأكمل:

- في صفحتي.. لا تتخيل كمّ الرسائل التي جاءتني تتمنى الموت.. وكمّ الرسائل التي تريدني أن أصمت.. قليل جدًا هم من حاولوا إيجاد أسباب معي.. والآن كلّهم ينتظرون خبر موتي فقط ليعرفوا إذا كنت صادقًا في وعدي أم لا.. هؤلاء هم نفس الأشخاص الذين انتهكوا (لمى) لمجرد أنها حاولت أن تنقذني..

أراد (عاصم) أن يخرسه بكلمة قوية، لكن (حسين) أكمل بإصرار:

- لم نعد في زمن يرحم.. أصبحنا نتعامل بوجه إلكتروني دائم لا يشعر بأي شيء.. كلّهم يزيفون واقعهم بمشاعر يتظاهرون بها.. تحوّلوا لكائنات آلية تبحث عن الشعور في كل ما هو

صادم.. فقط لأن الصدمة تذكرهم أنهم أصبحوا آلات متحركة.. فلمن إذن أترك رسالة؟ من سيستفيد؟

حاول (عاصم) مقاطعته لكن كلامه استمر كقطار سريع:

- لقد أخذوا من موتي وسيلة للترفيه.. وسيلة للتسلية.. هذا ما وصلنا إليه في كل شيء.. ثم نفس الأشخاص هم من سيضربون كفًا بكف بعد موتي ويقولون "مات كافر.. حالنا أفضل.. نحن أقوى منه"..

قال (عاصم) له مباشرة هذه المرة:

- في كل زمن وفي كل مكان كانوا الناس كده.. زمان كان يوم حرق الساحرة أو إعدام الجاسوس هو يوم العيد.. المصارعات مع الأسود أيام الرومان.. انت بتتكلم في صفة بشرية حيوانية أقدم من التاريخ نفسه.. عاوز تلوم لوم على البشر.. وكمان مش على كل البشر لأن ناس كتير لسه بترفض ده كل يوم.. لوم على البشر بس ماتلومش على الحياة..

هزّ (حسين) كتفيه في بساطة وقال:

- إذن أنا لا أريد أن أعيش وسط هؤلاء البشر..

تدخل (حسن) مبتسمًا بهمهمة صعدت عالية رغمًا عنه:

- الباشا كائن فضائي..

التفتوا له جميعًا بغضب، فاتسعت ابتسامته وقال معتذرًا:

- أنا آسف.. بس النقاش ضعيف جدًا وأنا زهقت الحقيقة..

وأشار لهم أن يكملوا، فنظروا لبعضهم وقد فقد كل منهم تركيزه تمامًا، مع شعور عام بسخافة ما يفعلونه..

قالت (لمى) هذه المرة، ناظرة لـ(عاصم) بتحدٍ:

- قل لي شيئًا واحدًا لا ينتصر عليه الموت.. وسأعود معك..

انعقد حاجبا (حسين) عندما سمع كلمتها التي قتلته، في حين أكملت (لمى) أمام ارتباك (عاصم):

- الحب يموت.. الأحلام تموت.. الرسالة تموت.. نحن نموت على وعد بالخلود في عالم آخر.. سأضع نهاية لهذا النقاش الذي لن ينتهي..

ثم قالت بهدوء:

- أمامك حتى انتهاء الوقت..

وتركته وابتعدت في سرعة، آخذة معها (حسن) الذي سار خلفها بهدوء..

نظر (عاصم) لـ(حسين) الذي وقف ينظر له نظرة حزينة أدهشته..

همس له (حسين) بخفوت:

- أتمنى أن تجده..

وأكمل بابتسامة تقطر حزنًا:

- لن أحب أبدًا أن أراني ثانية..

سرت قشعريرة في جسد (عاصم) كلّه، في حين وضع (حسين) يده في جيب سرواله..

وانصرف بهدوء..

(٢١)

صمتت الدنيا تمامًا في أذني (منى)..

جلست أمام الشاطئ لكن بمسافة محترمة هذه المرة، فرقد (حسن) جوارها وهو صامت تمامًا، وأشعل سيجارته الألف تقريبًا..

لن يفهم (عاصم)..

بل لن يفهم أحد على الإطلاق..

بمنطق كل البشر.. الأفضل أن تستمر في الحياة لأنها الأولوية.. لو لم تجد سببًا فحاول أن تجد أي سبب.. المهم أن تستمر فقط.. لكل الناس الاستمرارية هي الأصح والأصدق.. هي الأمر الواقع الذي لابد أن نتقبله جميعًا.. لماذا أيتها الفتاة البلهاء ترغبين في الموت؟ لابد أن تستمري مثلنا وتصبحين أكثر تعاسة وضلالًا مثلنا.. لماذا؟ لا ندري.. لكنه الأفضل لكِ أيتها الصغيرة البلهاء..

(حسين عارف) هو الوحيد الذي قال إن الاستمرار لم يكن أبدًا مشكلة.. بل المعضلة في سبب الاستمرار..

هو الوحيد الذي قال إن الحياة ليست هي الأولوية.. بل إنها مثل

المدرسة أو الجامعة أو العمل.. لو لم تحب ما أنت فيه.. اتركه..

بهذه البساطة..

عادت في ثانية واحدة لكل ذكرياتها مع زوجها.. ذكريات الضرب والإهانة والقذارة..

لا يوجد رجل في هذا المجتمع يقبل أن تسحب امرأة من تحته زمام الأمور.. الرجل لا يظهر في غضبه أو في هدوئه أو في تصرفاته.. بل يظهر معدنه حقًا في لحظات ذعره.. لحظات عدم تحكمه في كل شيء.. هنا يقتل أو يضرب أو يسرق أو يرتشي.. فقط.. ليستعيد زمام كل شيء..

عاد الهدوء إلا من صوت الهواء الشديد وصوت البحر الثائر.. سحبت نفسها من ذكرياتها وأخذت نفسًا عميقًا..

ما كل هذا العبث الذي يحدث؟

التفتت لـ(حسن) الذي ظلّ راقدًا كجثة هامدة.. الشيء الوحيد الذي يدل على أنه حي هو تحرك يده بالسيجارة ذهابًا وإيابًا لفمه..

ما هذا البرود؟

لماذا لا يتحرك دائمًا في الأوقات التي تريده أن يتحرك فيها؟ لماذا يصرّ على أن يصدمها كل مرّة.. تأملته كثيرًا في صمت تام.. تحركت ببطء لتقترب منه على الرمال.. كم تريد أن تتجاهله.. كم تريد أن تظلّ غاضبة منه وتصرخ فيه لتفرغ فيه شحنتها وخيبة أملها.. لكنه

بصمته يجعلها ترغب في سؤاله عما به.. لماذا تراه بهذا الحزن والبرود لأول مرة في حياتها..

كل تلك المشاعر المرتبكة جعلتها تشعر بامتعاض.. هذا بالضبط ما أرادت الابتعاد عنه تمامًا.. كل شيء غير مفهوم وكل شيء لا يعطي أي نتائج.. قالت بكل مشاعرها المتناقضة دون أن تنظر له:

- أنا بكرهك..

ليبتسم ابتسامته الجانبية المستفزة، ويرد دون أن ينظر لها:

- وأنا بحبك..

لتلتفت له وهي تشعر بالهواء ينسحب من صدرها..

طريقته، تهدّج صوته، ذلك الحنان الذي نطق به الكلمة..

نظرته الغريبة التي يرمقها بها منذ أن استيقظت..

كل هذا جعلها تدرك المعنى الحقيقي للكلمة..

بل أدركه قلبها قبل أي شيء عندما خفق بشدّة مع نطقها.. ليست هذه الـ"بحبك" مثل أي مرة أخرى قالها من قبل طوال حياتها..

حدّقت في وجهه ببلاهة، لتجده مازال ينظر للنجوم مبتسمًا في سعادة صافية نادرًا ما تراها على وجهه، ولا يبالي بها على الإطلاق..

كعادته الأثيرة في كل مرة أن يصدمها..

* * *

صفحة (إنستا_حياة)

منشور بتاريخ ١٠ـ ١٢ـ ٢٠١٥

" السبب التاسع..

قبل أن أتكلم عن السبب التاسع.. أريد أن أطرح سؤالًا لكل من يستبني على الصفحة ويلعن فيّ وفيما أقول.. كأنني أجرمت في البحث عن أسباب للحياة بعيدًا عن السبب الوحيد المكرر وهو "الدين" أو أن الانتحار كفر أو أو أو..

أعلم أن سؤالي بلا إجابة.. لكني أحب أن أعرف فيما تفكّرون..

رأيتم جميعًا فيلم (ماتريكس).. فيلم يجب كل شخص أن يأخذه بمعنى يخصّه وحده فقط.. نتذكر جميعًا مشهد البطل وهو يختار بين الحبة الحمراء والحبة الزرقاء.. الاختيار الذهبي والوحيد بين أن تعرف الحقيقة المستحيلة.. أو تظلّ كما أنت في عالمك الافتراضي..

لو قلت لكم إن هذا ما أفعله الآن.. أخبركم أن هناك حبة حمراء.. تجعلكم ترون كل شيء على حقيقته العارية وتفهمون سر الكون كلّه..

لكنكم ستفقدون حياتكم ولن تستطيعوا العودة..

وهناك حبة زرقاء ستجعلكم تنسون كل شيء.. وتبقون على قيد الحياة..

لكنكم لن تعرفوا أي شيء عن الحقيقة..

ماذا ستختارون؟

إذا اخترتم الحبة الزرقاء.. فلا تلوموا أي كافر رفض أن يصدّق أن هناك إلهًا آخر غير الذي يعبده.. لا تلوموا على كل متعصب يريد أن يصدّق فقط ما رأته عينه.. لا تلوموا على أحد على الإطلاق.. واعترفوا أنكم أجبن من أن تفكّروا حتى في أي حقيقة على الإطلاق..

مثل بسيط للغاية.. ينطبق على تسعين في المائة من مجتمعنا الجميل..

فتاة تزوجت زيجة خاطئة.. عرفت منذ أول سنة أن الزيجة سيئة وضد كل أحلامها وطموحها في الحياة.. كانت كشمس ساطعة تنير حياة كل من حولها.. وزوجها لم يستوعب كل هذا الضياء.. فانطفأت تمامًا.. في كل لحظة منذ البداية كانت تختار الحبة الزرقاء.. حتى أتى الابن الأول.. كرهت حياتها أكثر لكنها قررت الاستمرار.. حتى جاء الثاني.. وأصبح القرار أصعب...

في كل مرة.. في كل لحظة.. تستطيع أن تأخذ الحبة الحمراء وتبتعد حتى لا تنطفئ أكثر.. وعندما تسألها في أكثر اللحظات ضعفًا لماذا الاستمرار؟ تقول إنها تمتلك حياتها وأنها مسؤولة عن قرارها ولن تستطيع أن تفعل بأطفالها أي شيء يضرّهم.. وأصبحت حياتها مجرد شيء رمادي، بعيد كل البعد عما كان بإمكانها أن تحققه لو فقط أخذت الحبة الحمراء بكل قسوتها.. وقبلت بالحقيقة كما هي..

هناك شيء ما خارج عن ارادتها يجعلها تقبل بكل ما هو أسوأ.. وتراه دائما على أنه الأفضل.. لأشخاص آخرين لم يطلبوا منها أي تضحية على الإطلاق..

متعة الحبة الزرقاء أنها كالخمر تمامًا.. تُذهب عقلك وتُمتعك

لحظات وتُشعرك أنك أقوى من الدنيا.. وهذا الشعور بالضبط هو الذي يجعلك تتجاهل القيء الصباحي والصداع الرهيب في اليوم التالي..

متعة الحبة الزرقاء أنها دائمًا ما تجعلك تستمر.. سواء من أجل حبيبتك أو أهلك أو أصدقائك أو من أجل نفسك.. المهم أنك ستستمر حتى لو لم تستطع..

الحبة الزرقاء هي الحياة كلّها من الأساس..

حسنًا..

لقد كذبت..

كل ما فات هو سببي التاسع..

بقي سبب واحد فقط..

إما أن أصل لنهاية الطريق.. أو لنهايتي أنا..

لا فارق..

"إنستا_حياة #حسين_عارف"

* * *

"انتي سببي في إني أكمل يا (لمى)"..

قالها (حسن) وهو يلتفت لها لأول مرة..

والتقت عيناهما..

نظرت له وكل ما حولها يدور، لأول مرة في حياتها ترى كل هذا العشق في عيني (حسن).. كل هذا الاحتواء.. عيناه وابتسامته الهادئة تعترف بأكثر مما يقول بكثير.. عيناه جعلت قلبها يدق بقوة وترتفع الدماء في وجنتيها وتشعر بحرارة رهيبة رغم برودة الجو..

عيناه سرقتها..

ما الذي يفعله بها؟ لماذا الآن؟ لماذا يحدث كل هذا الآن؟ رغمًا عنها دمعت عيناها وشعرت بارتباك في كل شيء.. عندما استيقظت منذ دقائق شعرت بغضب هائل لأنه أنقذها.. لكن كان هناك جزء بعيد في قلبها فرح برؤيته ويشتاق له.. لكن لماذا الآن فقط؟ لماذا يفعلون بها كل هذا؟

رافضة أن تصدّق كل شيء، ودموعها تنساب على وجنتيها في استسلام، صاحت في غضب لا يعبر عن حقيقة ما تشعر:

- هو فيه إيه؟ (عاصم) وانت حسستوني فجأة إني ملكة جمال سبأ.. فجأة حبتوني انتوا الاتنين؟ على إيه؟ أنا مفيش فيا ميزة واحدة تخليكم كده.. بنت عادية جدًا.. لا دمي خفيف ولا عميقة ولا ليا وجهة نظر في الحياة.. ولا حتى قمر وفظيعة وشقية.. بنت عادية لدرجة الملل.. إيه اللي حصل عشان كل ده؟

وقالت له بثقة، كأنها تحاول أن تطمئن نفسها:

- انت مابتحبنيش يا (حسن).. انت حسيت إنك هاتخسر حد عزيز عليك.. خفت عليا.. ولما خفت عليا حسيت

إنك بتحبني.. لكن انت مابتحبنيش.. انت و(عاصم) بس موهومين..

طوال الوقت كان ينظر لعينيها مباشرة، ابتسامته تحولت تدريجيًا لبسمته الساخرة، شعرت أنها ترى كل مشاعره الحقيقية من خلال عينيه، كانت تعرف أنها تكذب تمامًا.. (حسن) هو أكثر شخص يعرف كل شيء عن نفسه.. قلما يخطئ في تقدير شعوره وشعورها.. دائمًا ما كان على حق ودون استثناء... أشاحت بوجهها وهي تكمل محاولة إقناع نفسها:

- كل اللي بيحصل ده جنان أساسًا..

ظلّ يرمقها بنظرته العاشقة، قال آخر شيء توقعت أن يقوله:

- مش ملاحظة إنك من ساعة ما بقينا لوحدنا.. أول مرة تتكلمي بالعامية من ساعة ما جينا؟

ارتبكت من سؤاله، سألت وهي تحاول ألا تنظر له:

- قصدك إيه؟

هزّ كتفيه كعادته الأثيرة، وقال:

- كلامك بالفصحى كان انتماء لعالم (حسين عارف).. زي ما تقولي كده بتثبتي نفسك على القرار وبتقنعي نفسك بيه..

وأكمل بصوت حنون:

- بس معايا.. مش بتعرفي تنتمي لأي حاجة غيري..

هزت كلمته قلبها، ارتجف جسدها في برودة مفاجئة، تريده أن يصمت تمامًا وترغب في سماع كلامه أكثر، كررت ثانية بكل تناقضاتها:

- أنا بكرهك..

ليكرر هو باستمتاع:

- وأنا بحبك..

رفعت عينيها لترى عينيه الحانية، وتشعر أن كل شيء اختفى تمامًا من حولها.. ولم تبق إلا عيناه الواسعة.. تعرف تمامًا معنى أن يقول (حسن) ما يقول.. بل تعرف كم هو خائف الآن مما يقول..

وجدت شفتاها تتحرك رغمًا عنها.. وتقول رسالة واضحة لما تشعر به.. لما يخبرها عقلها به في إصرار:

- الموت هو المنتصر الوحيد..

لم يرد وإن اتسعت ابتسامته، لتسمع هي صوت (حسين عارف) يأتي من خلفها سائلًا بنبرة غاضبة، نزعتها من كل ما تشعر فجأة:

- من أخبرك بتلك الجملة؟

انتفضت في خوف والتفتت له، لتجده يقف خلفها وبجانبه (عاصم) الذي بدت على وجهه نظرة يائسة.. ارتبكت ولم تدر ماذا تقول، فقال (حسن) بهدوء:

- إحنا عارفين إنك كنت متجوز (فريدة المنياوي).. وإنها كتبت رواية.. وماتت غرقانة..

صمت (حسين) تمامًا وهو ينظر له..

اقترب كل شيء على الانتهاء..

فلماذا لا يتحدث أخيرًا؟

ارتسم على وجهه تعبير غير مفهوم، ثم اختنق صوته وهو يردد كأنما يلفظ روحه:

- تقصد ماتت منتحرة..

رغم يقين (لمى) من تلك المعلومة، لكن طريقة قوله للكلمة جعلتها تنظر له بتعاطف حقيقي..

جلس على الرمال بجوارهما.. ظلّ ينظر للبحر وصمت دقائق طويلة.. ثم قال كأنما قرّر أن يتخلّص من كل ذكرياته فجأة:

- أؤمن دائمًا أن هناك سببًا لكل شيء يحدث حتى لو كان صغيرًا..

والتفت لهم وهو يحاول أن يبتسم مكملًا:

- منذ أن أتت (لمى) وأنا أتساءل لماذا وافقتُ على قدومها معي، أي إنسان عاقل سيرفض وجود أي شخص في هذه اللحظة شديدة الخصوصية.. لحظة الموت..

ورفع رأسه للسماء وهو يكمل مبتسمًا:

- لكنني أدرك الآن أنني أردت أن أحكي عنها لآخر مرة.

جلس (عاصم) أيضًا، والتفتوا له جميعًا في تركيز.. شعرت (لمى)

أنها تريد أن تهرب من عيني (حسن) وكلامه وكل ذلك الضغط الذي يمارسه قلبها الآن عليها.. أكمل (حسين) وهو ينظر للبحر في مشهد تقليدي لكل من يتحدث عن ذكرياته:

- لن أحكي عنها سوى أنها كانت تريد دائمًا أن تثبت شيئًا ما.. التقيت بها في حفل زفاف أحد أصدقائي وشعرت بألفة غريبة.. شعرت أنني أعرفها طوال عمري.. هناك من نقابلهم ونشعر أنهم جزء منا على الفور.. نتحدث معهم كأننا أصدقاء طوال عمرنا في سهولة وراحة.. هذا ما حدث معها..

ثم التفت لهم قائلًا في بسمة:

- عندما تقابلون هذا الشخص تمسكوا به.. لأنه يدور في نفس فلككم.. يعيش نفس الآلام والأفراح.. ينتمي لروحكم بشكل ما.. فلا تتخلوا عنه أبدًا.. صديقًا كان أو حبيبًا..

نظر (عاصم) لـ(لمى) بعشق، ونظرت (لمى) لـ(حسن) بقلب خافق، وأكمل (حسين) بهدوء:

- لا أحب أن أحكي كثيرًا.. أشعر أنني تكلمت كثيرًا طوال الفترة الماضية.. فلم يعد في صدري مجال للحديث.. كانت تريد أن تكون مميزة في كل شيء.. باحت لي بسر في أول صداقتنا.. أنها تعشق الفصحى وتعشق الكتابة.. قلت لها مازحًا إنني الوحيد في هذا العالم الذي سيحدثها بالفصحى.. ورغم أنها كانت مزحة.. لكن فرحتها بالأمر جعلت الموضوع هو حياتي كلها فيما بعد.. كانت تعشق الفصحى فعشقت

الفصحى معها.. كانت تعشق الكتابة.. فقرات كل ما كتبت..

ورغم كل شيء قاله، إلا أنه نسي نفسه وأكمل الحديث ببسمة صافية:

- حتى فيما تكتب كانت تريد أن تكون مميزة.. كانت الكاتبة الوحيدة تقريبًا التي استخدمت اسمها الحقيقي في روايتها الأولى.. ورغم رفض كل من نعرفه حتى أنا هذا الموضوع.. إلا أنها أصرت عليه.. كانت تكره الزيف.. وكانت لها مقولة دائمة.. "كل الكتّاب يكتبون عن أنفسهم بأسماء مستعارة. أنا أريد أن أكتب عني أنا.. فلماذا لا أستخدم اسمي الحقيقي بدلًا من أن أزيف كل شيء.. ولماذا لا أكتب حياتي كما أتخيلها وليست كما الحقيقة المملة؟

تذكّرت (لمى) أن الأمر ضايقها بشدّة وهي تقرأ (الموت هو المنتصر الوحيد).. كيف تكتب كاتبة رواية البطلة فيها اسمها (فريدة) وتريد من القارئ أن يصدّق كل هذا الكلام الرائع عنها.. تجاهلت الموضوع وهو يكمل:

- ولأن روايتها تتحدّث عنها.. كانت هي مثل البطلة تمامًا.. تحاول أن تجد شيئًا واحدًا ينتصر على الموت.. الصداقة والحب والعمل وكل شيء ينتصر الموت عليه.. وفي كل مرة ينتصر الموت فيها يترك ألمًا لا يطاق في قلب كل من حولك.. وهي تكره الألم..

بدأ صوته بالاختناق ثانية، لكنه أكمل:

- تزوجنا بعد أن أقسمت لها إنني سأثبت لها أن الحب سينتصر على الموت. نشرت روايتها ولم تلقَ نجاحًا كبيرًا.. لكنها لم تهتم مع استمتاعها بالحياة معي.. لكن رغم سعادتها.. رغم حياتنا الرائعة.. كانت كل يوم تحبني فيه تخاف أكثر.. أذكر يومًا نامت في حضني باكية وهي تقول "لو مت قبلي فلن أستطيع البقاء".. زواجنا وفرحتها كانا سببًا في أن تخاف أكثر..

واستمر رغم ظهور علامات الحزن عليه واضحة:

- إثباتي لها أن الحب شيء رائع.. جعلها تتخيل كمّ الألم الذي ستشعر به لو ذهبتُ بعيدًا..

وأكمل:

في يوم ما.. كنت أقود مسرعًا عائدًا من عملي.. فارتطمت بعربة أخرى.. كسرت في تلك الحادثة ذراعي.. جاءتني المستشفى وهي تبكي بكاءً هستيريًا.. قالت إنني خنتها.. لأنني وعدتها أن أحافظ على نفسي.. وأنني جعلتها تواجه أكبر كوابيسها في الحياة.. هنا أدركت - متأخرًا - أن خوفها خوف مرضي.. لا تستطيع التحكّم فيه.. بدأت تخاف لو كلمتني في أي لحظة ووجدت الهاتف مغلقًا.. كانت توقظني من النوم ليلًا وتنظر لي بدموعها.. تطمئن أنني مازلت أتنفس.. لو تأخرت يومًا في عملي دون أن أخبرها كانت تشعر برعب.. سببت لي مشاكل كثيرة في العمل بسبب هذا الرعب.. كانت لأول مرة في حياتها تشعر بجنة العشق.. فتحوّل الأمر إلى خوف من ألم فقدانه..

ثم ابتسم:

- وكنت أعشقها بكل تلك التفاصيل.. كنت أحتوي كل هذا وأحارب كي أسعدها أكثر كل يوم.. عشقت تعلّقها بي وخوفها عليّ.. كنت مفتقدًا لهذا الإحساس في حياتي كلّها.. لذا ما يجده الآخرون مزعجًا فيها كنت أعشقه.. نصحني الأقارب أن أجعلها تذهب لطبيب نفسي.. لكني كنت طبيبها.. أنا أفهم إحساسها.. أفهم تمامًا كل ما تشعر به من رعب.. كنت أخاف مثلها.. ثم جاء اليوم الذي شعرت هي أنها تحرمني من أشياء كثيرة.. أني أرفض أعمالًا كثيرة من أجل البقاء جانبها.. لا أتعامل مع أنثى حتى لا أثير حفيظتها.. شعرت أنها تكره هذا التعلق المجنون بي..

صمت لحظات طويلة، يقاوم فيها دموعه، ثم أكمل:

- ليتغير كل شيء بعدها.. ظلّت تحاول أن تبقى وحدها.. بدأت تكتئب تمامًا لأنها تقاوم ذلك التعلّق.. ورغم مقاومتها كانت تشعر بخوف أكبر.. كل الأشياء المتناقضة التي جعلتها تكره نفسها وتكره حبها لي وتكره حتى إحساس السعادة الذي تشعره..

وتحشرج صوته:

- حتى سافرت ثلاثة أيام بسبب عملي.. ويوم عودتي وجدت خطابًا طويلًا تخبرني فيه أن الموت هو الفائز الأعظم.. وأن فقداني هو ألم لن تستطيع حتى أن تفكر في حدوثه.. لذا قررت أن تنهي حياتها..

تهدّج صوته وسط عيونهم المشفقة:

- تركت كل شيء وذهبت لها.. كنت أعرف أنها ستأتي هنا لأنه مكاننا المفضل.. لكنني تأخرت قليلًا.. جئت هنا لأجد جثتها طافية على البحر جانب هذا اللسان..

وضع يديه على عينيه وصمت، احترموا صمته تمامًا، وإن اختلفت مشاعرهم.. (لمى) نظرت له وهي تريد أن تربت على كتفه مهوّنة.. أدركت نوعًا ما الآن سبب كل ما حدث بعدها.. سبب اختفائه من العمل ثم ظهور الصفحة التي غيرت حياتها شخصيًا..

كانت (فريدة) هي سببه.. وانتحرت بسبب حبها له..

يا للسخرية المؤلمة..

بالتأكيد شعر بأن كل شيء فارغ.. كما كانت تشعر عندما رأت جسدها العاري يذاع أمام العالم كلّه بمنتهى الاستهزاء.. كل الأعين تنظر لكل ما هو مقدّس فيها..

سخرية فارغة تلعبها الحياة..

فأين السبب الذي يجعلها تستمر؟

هي ظلّت صامتة.. مختبئة خلف كل شيء..

هو قرر أن يبحث عن سبب ما..

قال (حسين) وهو ينظر لهم ثانية، كأنما قرأ أفكارها:

- اعتزلت كل شيء.. كنت أبكي كل يوم وهناك ذلك الألم المميت الذي لا ينتهي أبدًا.. وجدت نفسي أنشئ صفحة

(إنستا_حياة).. لم يهدأ الألم إلا عندما بدأت أكتب.. بدأت أتأمل.. وأبحث عن أسباب للاستمرار..

ونظر للسماء التي بدأت في الهدوء كأنما تواسيه هي الأخرى:

- ولكن الأسباب التسعة لم تعوّضني لحظة عن وجودها جانبي.. كانت كل أسبابي التي وجدتها أسبابًا عامة.. السبب العاشر الذي ظللت فترة أبحث عنه كان لابد أن يخصّني أنا وحدي.. لابد أن يجعلني أنهض وأترك حياتي السابقة تمامًا وأبدأ كل شيء من جديد..

ثم تنهّد كأنما تعب من كثرة الكلام، نظر لـ(لمى) بالذات، وابتسم قائلًا في سخرية:

- هل تعرفين مقولة "الحزن هو الوحيد الذي يولد كبيرًا ثم يصغر"؟.. مقولة حمقاء تمامًا.. مقولة تمّ تأليفها من أجل المواساة فقط.. حقيقة الأمر أن الحزن لا يصغر أبدًا.. الحزن يولد كبيرًا حتى نقتل نحن الجزء الذي يتألم داخلنا.. فننسى.. ونكمل حياتنا للأبد ناقصين..

أومأت برأسها إيجابًا توافقه بتلقائية..

رغم أنها لم يمت لها أحد.. رغم أنها تشعر أن آلامها مختلفة تمامًا عن كل ما مرّ هو به.. لكنها تنتمي لكلامه وتشعر أنه يقول ما لا تستطيع قوله..

أجل هي هذه الفتاة العادية التي تهزم روحها كل يوم تقليدية وروتينية الناس وكلامهم المعتاد..

وهي من تُجبر نفسها كل يوم على أن تُصدّق هذا الكلام الساذج وتقنع نفسها به..

حتى تستمر الحياة..

فقط كي تستمر..

وهي كرهت تمامًا ذلك القطار الوهمي الذي يخبرك الجميع أنه لابد أن يسير دون اختيار منك..

قطار تبدأ في آخر مقطورة فيه.. في كل مرحلة تنتقل من مقطورة إلى الأخرى.. أمامك ملايين البشر وخلفك أعداد لا تحصى.. كلهم يجلسون معك.. ينتظرون الانتقال للمقطورة التالية.. ثم التالية.. ثم التالية..

قطار سريع بلا محطات أو لحظة واحدة للراحة.. قطار بلا نوافذ حتى تستطيع أن تُخرج رأسك وتستنشق بعض الهواء.. قطار لا تنتهي رحلتك فيه إلا بموتك..

هي ملّت الجلوس في القطار.. كل ما تريده هو حرية القفز منه وقتما شاءت..

ساد صمت مخيف.. نظرت لـ(حسين) لتجده يُخرج هاتفه المحمول ويكتب شيئًا ما بسرعة.. مرت دقائق طويلة ثم التفت لهم وبدأ في قراءة ما كتب بصوت عالٍ:

- باقٍ من الزمن عشر دقائق.. أريد أن أخبركم أنني وجدت السبب العاشر.. أريد أن أخبركم أنني لن أفعل شيئًا.. ستُغلق

هذه الصفحة تمامًا ولن تسمعوا عني ثانية.. لأني وجدت السبب العاشر أخيرًا.. فدعوني أعيش حياتي بالاستمتاع الذي أستحقه.. كل ما أستطيع قوله هو: إن أردتم الحياة.. لا تتوقفوا عن البحث أبدًا..

كل ما أريده هو ألا تظلّ هكذا.. تبحث عن أسباب مؤقتة.. وعندما ينتهي وقتها تبحث عن أسباب أكثر سطحية.. أريدك أن تصل لعمر الستين دون أن تجد كل من حولك قد ابتعدوا لمجرد أنك راهنت رهانًا خاطئًا على ابن أو ابنة أو زوجة أو صديق.. أريدك أن تقابل الموت ـ الذي ينتصر على كل شيء ـ ببسمة راضية..

بسمة منتصرة..

لأنك عرفت "كيف تحيا بحق"..

#نهاية_إنستا_حياة #حسين_عارف.

(٢٢)

تملكتها الدهشة مما يقرأه (حسين). نظرت لـ(عاصم) لتجده ينظر له هو الآخر بغباء شديد..

هل حقًا يعني ما يقول؟

هل وجد السبب العاشر وسط كل هذا العبث الذي يحدث الآن؟

(حسن) هو الذي نظر لـ(حسين) نظرة طويلة، ثم قال بسمته الجانبية:

- هاتكدب على الناس؟

أومأ (حسين) برأسه إيجابًا بنعم، ثم قال مبتسمًا:

- ضميري لا يتحمل أن يفقد أحد حياته بسببي.. لن أتحمل أن يحدث لأي أحد ما فعلته (فريدة) بي..

شعرت (لمى) بانقباض في معدتها خوفًا.. لاحظت أول كلمة قالها (حسين).. "باقٍ من الزمن عشر دقائق".. نظرت لـ(حسن) بارتباك..

كل شيء كان أسهل وهو بعيد عن كل شيء..

القرار كان بسيطًا وسهلًا للغاية.. لكن الآن.. وهي تنظر له.. تشعر أنه أصعب قرار في الدنيا..

دمعت عيناها..

هي لا تريد أن تتركه..

خفق قلبها مستسلمًا لذلك الشعور الذي احتلّ كيانها كلّه..

هي تحبه..

منذ بداية كل شيء.. وهو في مكان خاص لا يقترب منه أحد.. كان يحدّثها دائمًا عن عشقه لصداقتهما وتميزها.. عرفت أنه لا يسمح لأحد بالاقتراب منها مهما كان.. أحب كثيرًا وارتبط كثيرًا لكنه دائمًا ما يقف في علاقاته عند مساحة لا يسمح لأي شخص بتجاوزها..

لكنه سمح لها بالاقتراب..

ائتمنها على كل شيء لأنها لن تكون حبيبته في يوم من الأيام..

وفرحت هي بهذه المكانة ونست تمامًا فكرة أنهما سيحبان بعضهما في يوم من الأيام..

لكن من يضمن ولو للحظة أنه لا يشعر بكل مشاعره الآن لأنه لا يريد أن يفقد عزيزًا..

اللعنة على كل شيء..

أغمضت عينيها لتهبط دمعتها على وجنتها للمرة الألف..

فجأة نهض (حسن)..

وقف بثقة وهدوء، تعرف (لمى) أنه يخفي وراءه كارثة..

وضع يده في جيبه ووقف أمامهم جميعًا بثقة.. تعلقت عينا (لمى) بعينيه المتحدّية لكل شيء.. تعجبت لحظات، في حين قال هو ببسمة:

- سأتحدّث بلغتك حتى تفهمني.. حتى مع شعوري بأنني في فيلم مدبلج سخيف.. لكنني سأتحدّثها..

كان يوجّه كلامه مباشرة لـ(حسين) الذي نظر له في لامبالاة..

قال بقوة لا تراها فيه كثيرًا:

- لم تبقَ إلا عشر دقائق كما قلت.. أنت تنوي أن تنهي حياتك في النهاية.. بالنسبة لك ولزوجتك رحمها الله ولـ(لمى) أن الموت ينتصر على كل شيء.. بالتالي لا فائدة من كل ما يحدث حولكم..

وأكمل موجهًا كلامه لـ(حسين) فقط:

- هل تعرفون ما هي المشكلة الحقيقية؟

لأول مرة ظهر على ملامح (حسين) اهتمام ما وهو ينظر لـ(حسن)، في حين خفق قلب (لمى) في قوة لا تعرف سببها و(حسن) يكمل:

- أنكم تعتبرون الموت عدوًا من الأساس..

سرت قشعريرة في جسد (لمى) و(حسن) يكمل ببساطة غريبة:

- أنتم تُذكّرونني بالرجل الذي يريد أن يحلب الثور.. تملأ الدنيا صراخًا أن الحياة يهزمها الموت.. أن الحياة ضعيفة لدرجة

سخيفة والموت أقوى من كل شيء.. رغم أن في الأصل.. لا توجد حرب بينهما حتى ينتصر أحد وينهزم آخر.. الحياة والموت مثل المرأة والرجل.. أنت الآن تريد أن تقول لماذا يمتلك الرجل عضوًا ذكريًا في حين أن المرأة لا تمتلك واحدًا.. الموت له خصائصه والحياة لها خصائصها، وفي النهاية يتحقق التوازن بينهما..

ونظر لهم جميعًا وهو يقول:

- ماذا ستفعل في أي شيء في حياتك لو كان كل شيء خالدًا؟ أنت تفعل كل ما تفعل من أجل أن تشعر بمتعة انتهائه.. أنت تفعله من الأساس لأنك تعلم أنه سينتهي.. سواء بنهاية ممتعة أو نهاية محبطة.. لكن لابد من نهاية.. وإلا أصبحت الحياة مملة للغاية!

ثم صمت قليلًا ليأخذ نفسًا.. لم تشعر (لمى) بأنه يضيف جديدًا، لكنه قال مكملًا في هدوء:

- السبب العاشر لكل منا كي نحيا هو الموت في حد ذاته.. خُلقنا جميعًا في الأساس كي نموت في النهاية.. متعة الحياة أن كل شيء ينتهي.. معضلة الحياة كلّها تتلخص في كلمة واحدة..

وأكمل وهو ينظر لـ(لمى) لأول مرة:

- كيف ستموت..

ثم ابتسم فجأة وقال مقاطعًا كل كلامه:

- تصدقوا الفصحى فعلاً خلت الكلام تقيل كده وتحسه قوي؟

لم يضحك أحد فيهم.. كانت تكره تلك الخصلة فيه عندما يذكر أي فكرة تأتي في عقله، دون تمييز لطبيعة الموقف أو أهمية الكلام.. أكمل بعد أن تنحنح:

- كل أسباب (حسين عارف) هي أسباب عادية.. هناك من يعيش حياته من أجل أن يترك أثرًا في الناس.. هناك من يعيش من أجل إرضاء ربه ويطمع في الجنة فقط.. هناك من لا يؤمن أن هناك حياة أخرى من الأساس لكنه يريد أن يستمتع بكل لحظة.. هناك من يعيش لمجرد أن كل ما يحدث حوله أمر واقع.. لكن في النهاية.. كلّهم يخططون من أجل اللحظة الأخير.. تعدّدت الأسباب والموت واحد.. فبدلًا من أن تشغل عقلك بكل تلك التوافه عن الحرب الدائرة بين الحياة والموت.. فكّر كيف ستخطط لموتك وكيف تريد أن تنتهي..

أشار لـ(حسين) مباشرة وقال:

- أنت شخص فقد السبب الذي يعيش من أجله.. فبدأ طريقًا رائعًا للبحث عن أسبابه الخاصة كي يستمر في الحياة.. وعندما وجدت تسعة أسباب شعرت أنها لن تعوضك عن سببك الوحيد.. كلّها أشياء تدفعنا للاستمرار دون روح.. في النهاية.. كذبت على كل متابعيك.. واستسلمت وانتحرت.. هكذا ستموت ضعيفًا يائسًا.. ويكون السبب العاشر "كيف

ستموت" هو أكثر سبب هزم كل ما تُفكّر فيه..

ثم نظر لـ(منى) وهو يكمل:

- وأنتِ.. أنتِ أمامك في كل لحظة فرصة كي تخلقي أسبابك الخاصة.. لكنك أضعف من أن تكسري كل القيود.. أضعف من أن تأخذي قرارًا ببدء رحلتك الخاصة.. وعندما تقررين الموت والذهاب معه.. فستموتين ضعيفة غبية.. ترفضين كل فرصة تتاح لكِ كي تجدي أسبابًا.. وتدفنين رأسك في الرمال..

وأشار لـ(عاصم) الذي تفاجأ بإشارته:

- هناك من يحبكِ ويريدكِ زوجة لمجرد أنكِ ضعيفة.. شعر بأنه يريد أن يرعاكِ ويداريكِ تحت جناح عشقه للحياة..

وأشار لنفسه وقد رقّ صوته رغمًا عنه:

- وهناك من عشقكِ لأنه يعرفكِ.. يعرف أنكِ زهرة ذبلت من الإهمال.. أنكِ روح ثائرة..

وأكمل ببسمة لم تر ما هو أحن منها:

- أنتِ لا تعرفين كم كنت أخاف من اقترابك مني لهذه الدرجة.. طوال عمري أخاف من ذلك الاقتراب.. لكني أدركت منذ ساعات قليلة أنكِ أنتِ من أبحث عنها وكنت أخدع نفسي كل هذا الوقت..

خفق قلبها وهي تنظر له، ليعتدل هو في وقفته، ويقول بابتسامة

حانية ناظرًا لهم جميعًا:

- اعتدت أن أنظر لكل شيء من أعلى.. وعندما أرانا الآن أرى مجموعة من الحمقى.. لن يقنع أحد فيهم شخصًا آخر بأي شيء غير ما يقتنع به.. كل حروب الدنيا وكل مشاكلها تتلخص في أن كل شخص يرى الحقيقة بعينه ولا يرغب في أن يرى حقيقة الآخرين..

وأكمل:

- لذا.. أحب أن أخبركم أنكم أضعف من أن تستمروا في الحياة..

ظهر الأمل على وجه (عاصم)، في حين قال (حسين) بلامبالاة:

- لم أتأثر.. لم تقنعني بأي شيء.. منطقك سفسطائي تمامًا و...

اتسعت ابتسامة (حسن) وقال يقاطعه بعدم اهتمام:

- أعرف..

وأخذ نفسًا عميقًا ونظرته الحنون تكمل:

- كل ما أعرفه أنكم أضعف من أن تواجهوا حقيقة ما تقولون.. لذا.. أنا الوحيد فيكم الذي سيموت من أجل إثبات شيء ما.. من أجل إثبات أهمية الحياة عند كل منكم..

وارتسمت الثقة على وجهه، لتشعر (لمى) أنه أشرق، وهو يقول:

- هذا هو سببي العاشر.. الذي يخصني وحدي فقط..

ونظر لـ(لمى) مباشرة، وأكمل:

ـ سأموت من آجل إنقاذك..

انقبض قلب (لمى) من كلماته، في نفس اللحظة التي ضرب فيها جرس هاتف (حسين) ليعلن عن أن الساعة الثانية عشرة بالضبط..

رفع (حسن) يديه جانبه واتسعت ابتسامته الواثقة وقال:

ـ من يرى منكم حقًا أن الموت هو الحل.. وأن الحياة بلا قيمة..

وهبطت يداه بجواره ثانية وهو يكمل في هدوء:

ـ فلا يحاول إنقاذي..

نهض (حسين) في توتر مع (لمى) و(عاصم)..

وحدث كل شيء بسرعة مجنونة..

انطلق (حسن) فجأة راكضًا باتجاه اللسان بأقصى سرعته..

تناثرت الرمال حوله تحاول إبطاءه، وهاج البحر في نشوة لقدومه..

الحياة..

والموت..

ارتبك كل شيء، تسمّر (عاصم) في مكانه يرمق ما يحدث بذهول في حين أسرع (حسين) خلفه في نية غير معروفة..

هل ذهب لإنقاذه..

أم للموت معه؟

شعرت (لمى) بروحها تنسحب منها مع ركض (حسن) المفاجيء، شعرت بالأرض تميل تحتها.. بل شعرت أن الرمال أثقل من كل شيء وأنها لا تستطيع الحركة..

تجمدت في مكانها، ثم لم تلبث أن خرجت منها صرخة جازعة بكل قوتها وهي تميل إلى الأمام في ذعر:

- (حسن)..

وانفجرت في البكاء وعيناها تتسع مما تراه وتصرخ ثانية:

- (حسن)..

...

...

الطريق..

١٢:١٠ بعد منتصف الليل

بداية

منشور في صفحة (ضد إنستا حياة).. الساعة ١٢:١٠ بعد منتصف الليل..

بتاريخ ١-١-٢٠١٥

"تم إغلاق صفحة (إنستا_حياة)..

قابلنا (حسين عارف) شخصيًا.. تحدثنا معه كثيرًا.. حتى وجدنا السبب العاشر..

هل تستحق الحياة أن نتخلى عنها؟

هل هناك هدف من الموت؟

هل الموت ينتصر أم إنه لا حرب من الأساس؟

سنختلف كثيرًا باختلاف تجاربنا.. باختلاف حقائقنا.. باختلاف انتهائنا.. لن نصل لنهاية مرضية لجميع الأطراف.. لكن في النهاية.. عرفنا أن هناك أسبابًا لكل من يريد أن يبحث..

لكل شخص يشعر أنه وحده الآن.. لكل من فقد الأمل.. اقترب

الآن.. استطعنا أن نقنع أشهر منتحر في مصر بالحياة.. اقترب وابحث معنا عن أسبابك الخاصة.. لا يهم قرارك في النهاية.. فقط يهمنا أن نعرف أنك بحثت عن الحياة في كل ركن بسيط في حياتك..

حتى لو كان سببك العاشر هو الموت ذاته..

فما عرفناه منذ لحظات أن الموت قد يكون هو السبب الوحيد للحياة وليس العكس.. كما عرفنا أن الحياة لا يعرف قيمتها إلا من رأى الموت يومًا..

تريد أن تعرف كيف؟ تريد أن تعرف هل نكذب عليك أم لا؟ تريد أن تطمئن علينا وعلى (حسين عارف) ولو بصورة ننشرها الآن؟

إذن فأنت تريد أن تنسى كل ما أنت فيه بنهايات مريحة..

الواقع لا توجد فيه نهايات مريحة..

الواقع يريدك فقط أن تستمر..

كما أدركت أنا أن الحياة هي ما نختار أن نحياه.. وليس ما يُفرض علينا أن نعيشه..

لذا قررت أن أستغل اسم صفحة (حسين عارف) لهدف أكثر نبلًا..

إنستا_حياة..

هل تعرف أن الله خلقك ووضع فيك صفة الإبداع والخلق؟

تستطيع أن تخلق كل شيء تريده.. تخلق حياتك وحقيقتك

وأحلامك.. فقط إن قبلت أن تتخلى عن كل شيء يجذبك في اتجاه مخالف.. لا ترغبه..

لو أنك مثلي ترفض كل شيء مفروض..

تشعر أنك خُلقت لهدف ما وتبحث عن الحياة كما تريدها في كل لحظة..

انضم لتلك الصفحة.. هنا ستجد آخرين يهتمون باختلافك.. هنا ستجد من يحاول أن يبحث عن "حقيقته" معك.. هنا ستجد من يريد أن "يكون"..

أخطأ (حسين عارف) عندما جعل رحلته شخصية تمامًا..

أخطأ عندما حاول الخروج عن حدود المفروض وحده.. هذه الحياة لن تكون إلا إذا حذفنا كلمة "مفروض" جميعًا من على وجه الخليقة..

سننشئ صفحة جديدة بنفس اسم صفحة (إنستا حياة).. سنفعل ما فعله (حسين عارف) ونحاول أن نبحث.. سنصوّر أنفسنا ونحن نفعل كل ما هو مجنون..

سنضع قواعد حقيقية لا تعرف الإجبار..

جملة معروفة يقولونها دائمًا "لكم في الخيال حياة"..

ونقول نحن.. "خارج كل الحدود حياة أفضل بكثير"..

فقط.. إن أردت..

#الأدمن #إنستا_حياة :

* * *

٥/٤/٢٠١٥

تمت

ف. م

* * *

شكر خاص

مروة مجدي

قيل لي ألا أشكرك ثانية.. في العام الماضي كنتِ خطيبتي والآن أنتِ زوجتي الحبيبة.. كما وعدت أوفيت.. مازلت متعباً مزاجياً أعيش داخل أبطالي، ومازلتِ تتحملين كل شيء..
شكراً لكل لحظة صبر.. "بحبك"..
شكراً لأنكِ أنتِ.. :)

أبي أحمد صادق، وأمي ماجدة الباز، وأختاي سها ونهى صادق..
كل رواية أقول لنفسي "لن أهديهم الرواية"، لكنكم تعلمونني كل يوم معنى كلمة عائلة.. الاهتمام والخوف والدقة والسند..
مازلتم تعلمونني الكثير عن "الحب الحقيقي" والتضحية المتواصلة.. لا أستطيع إلا أن أشكركم جميعاً.. :)

حسين هاشم.. شيماء المارية.. حسن الجندي.. أحمد عبد المجيد.. غادة قدري... أحمد نشأت ومنى عوض.. محمد متولي (دون تيتو)..

أتعبتكم بالقراءة المتواصلة وأخذ آرائكم.. أدعو الله أن يديم صداقتنا والمحبة الصافية بين قلوبنا..

هاني عبد الله

الرجل "النظيف" المحترم.. صاحب دار الرواق للنشر والتوزيع.. والجندي المجهول.. شكرًا على كل شيء تفعله وعلى إيمانك بي منذ البداية.. شكرًا على تعبك المتواصل.. :)

وأخيرًا ودائمًا.. القراء الأعزاء.. في انتظار رأيكم على أحرّ من الجمر، سواء بالسلب أو الإيجاب.. وأدعو الله أن أظل دائمًا عند حسن ظنكم بي.. :)

محمد صادق

محمد صادق

محمد صادق، روائي مصري من مواليد عام ١٩٨٧. صدرت روايته الأولى "طه الغريب" في عام ٢٠١٠، ثم "بضع ساعات في يوم ما" عام ٢٠١٢، وفي عام ٢٠١٤ صدرت روايته الثالثة "هيبتا" التي احتلت قوائم الأكثر مبيعًا منذ صدورها حتى الآن، كما سيتم تحويلها لفيلم سينمائي. وتعتبر رواية إنستا حياة هي روايته الرابعة.

للتواصل:

الصفحة الرسمية للكاتب:

https://www.facebook.com/MOHAMEDSADEK25

الصفحة الرسمية للرواية:

https://www.facebook.com/insta.hayah